المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية

إعداد الطالب

يحيى بن حسن بن أحمد الجعفري

إشراف الدكتور

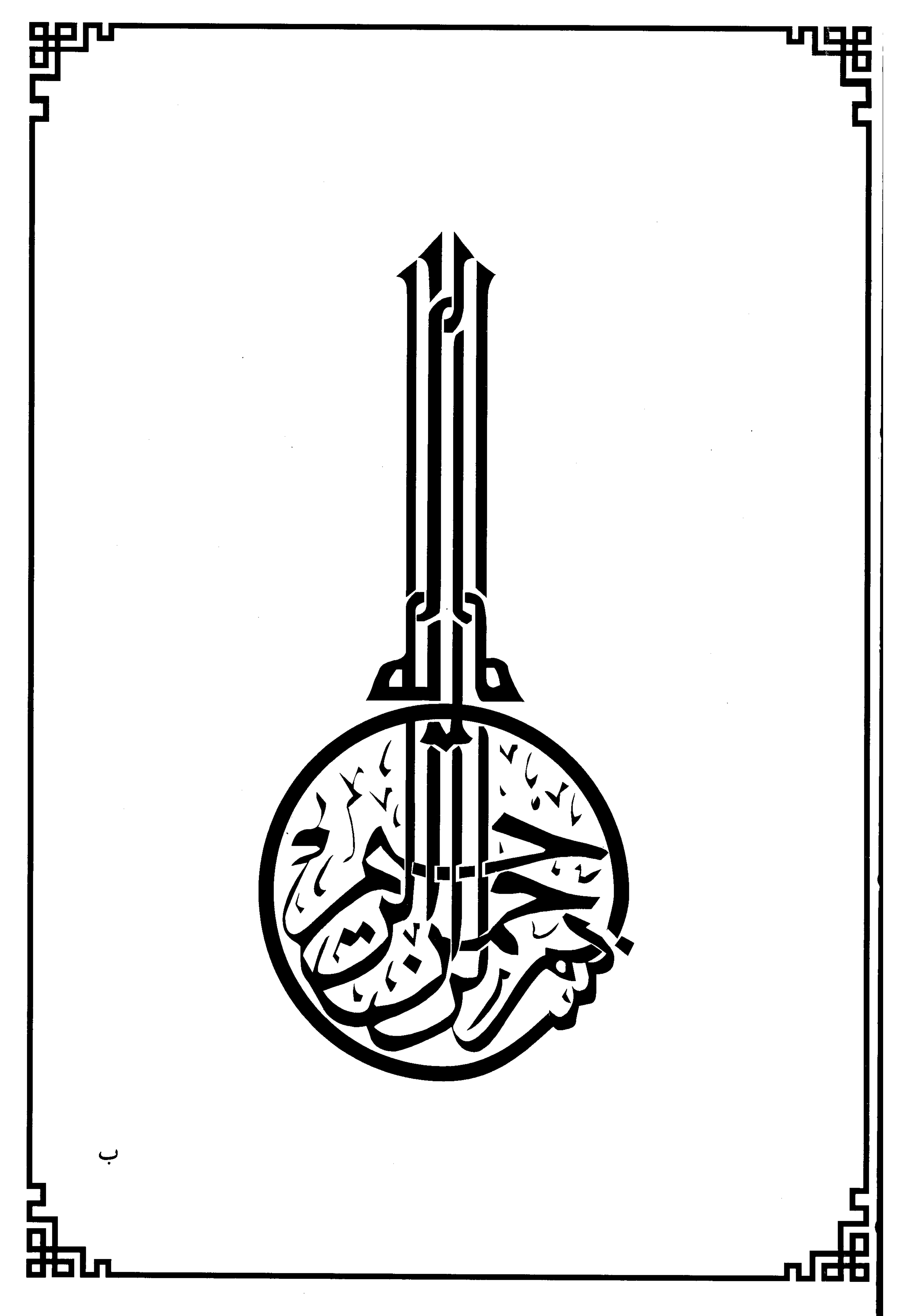
د/ السَّعيد محمود السَّعيد عثمان

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية

العام الجامعي

١٤٢٠-١٤٢١هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان البحث : الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

اسم الطالب : يحيى بن حسن بن أحمد الجعفري .

هدف البحث : يهدف البحث إلى توضيح مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي ، وبيان أهميته في ضوء القرآن والسنة ، كما يهدف إلى بيان أسسه ، ومظاهره ، وضوابطه وإبراز التزام بعض المربين المسلمين بذلك ، واقتراح بعض الأساليب التربوية التي تساعد على تحقيقه في التربية والتعليم من خلال : طرق التدريس ، والمقررات الدراسية ، والنشاط المدرسي .

منهج البحث : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، والطريقة الاستنباطية .

فصول الدراسة : يتكون هذا البحث من فصل تمهيدي يشمل خطة البحث ، وخمسة فصول أخرى ، الفصل الأول : وضح من خلاله مفهوم كل من : الانفتاح ، العقل ، ثم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي . وفي الفصل الثاني بين من خلاله أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم ، والسنة النبوية . واشتمل الفصل الثالث : على الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ، ثم المظاهر التي تدل عليه ، ثم الضوابط التي تتحكم فيه . وفي الفصل الرابع : أبرز فيه الباحث مظاهر الانفتاح العقلي عند كل من : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله ، والإمام الشافعي رحمه الله ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . وفي الفصل الخامس تضمن ذكر الأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال : طرق التدريس ، والمقررات الدراسية ، والنشاط المدرسي .

أهم النتائج :

١- أن العقل خلقه الله ليقوم بوظيفته التي خصه الخالق بها وفي الحدود التي حدها الشرع .

٢- للانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية أهمية تتمثل في : أنه يحقق للمسلمين بناء مجتمع متميز، وأنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري ، وأنه سبيل لبناء العادات الحسنة والتحرر من إسار التعصب والجمود .

٣- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية أسس يقوم عليها : الإيمان بالله ، الأمانة العلمية ، التواضع الشعور بالمسئولية ، تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية .

٤- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ضوابط تتحكم فيه منها : ما يتعلق بالشخص الذي يتصف بهذه الصفة، ومن ذلك : أن يكون صاحب عقيدة صحيحة ، ومنهج واضح ، راسخ في العلم قد امتزج نور الوحي بعقله ، وسمعه ، وبصره . ومنها ما يتعلق بالشيء أو المادة المراد تقبلها من الآخرين ومن ذلك :

أ- موافقة الأصول الإسلامية .　　　　ب- تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين .

التوصيات : ومن أبرز التوصيات التي أوصى بها الباحث في هذه الدراسة هي :

١- أن يتم إبراز مفهوم الانفتاح العقلي في مختلف مستويات الأهداف التربوية لجميع المراحل الدراسية .

٢- أن يتوفر للمؤسسات التربوية المناخ اللازم الكفيل بتنمية الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلال التفاعل والمشاركة في إدارة شؤون المؤسسة ، وحل مشكلاتها والتشاور وتبادل الآراء .

٣- أن تعمل المؤسسات التربوية على إيجاد برنامج تربوي منظم في شكل موضوعات ضمن المقررات الدراسية حيث يتم من خلالها توضيح أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية وغرس ذلك في نفوس التلاميذ.

الطالب	المشرف البديل	يعتمد ،،، عميد كلية التربية
يحيى بن حسن أحمد الجعفري	أ.د. محمود بن محمد عبد الله كسناوي	د/ صالح بن محمد السيف

الإهداء

يسعدني وقد منَّ الله تعالى علي بإتمام هذا البحث أن اهديه إلى الوالديـــن الغاليين أمد الله في عمرهما ، عرفاناً بفضلهما بعـــد الله تعالى في شحذ همتي والدعاء المستمر لي بالتوفيق والسداد .

وإلى أسرتي العزيزة التي طالما حرمها البحث الكثير من فرص الترفيه والمتابعة ،والاهتمام بشئونهم الصغيرة والكبيرة عسى أن يكون في ذلك عزاء لهم وتقدير لصبرهم .

وإلى الأخ المفضال الأستاذ : أحمد بن حسن بن أحمد الجعفـــري على ما بذله من جهد ووقت في سبيل إتمام هذا البحث .

الباحث

شكر وتقدير

أحمـــد الله تعـــالى على توفيقه وامتنانه ، وأشكره على إعانته وتيسيره ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه . أما بعد :

فانطلاقـــاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه**)[1] (أبو داود ،كـــتاب الزكاة ،باب عطية من سأل بالله ،ج١، ص٣٨٩) . وانطلاقاً من ذلك ، فإني أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان والتقدير إلى سعادة الدكتور / السعيد محمود السعيد عثمان المشرف على هذه الرسالة الذي فتح لي صدره ، ومكتبه ، ومتزله في أي ساعة من ليل أو نهار ، بل وربما أتصل بي هاتفياً : ليوجه ، ويتابع ، ويشجع منذ البدء في خطة البحث وحتى ظهر في صورته النهائية ، فوجدته ذلك المـــربي الفاضـــل ، والمشرف الحريص ، الذي يتسم بالأخلاق الفاضلة ، والعلوم الـــنافعة كما أتوجه بالشكر لمحكمي الخطة سعادة الدكتور/ نايف بن حامد بن همـــام الشريف ، وسعادة الدكتور/ محمد عيسى فهيم ، على ما قدماه من عون وتوجيه . كما لا يفوتني أن أشكر معالي مدير جامعة أم القرى سعادة الدكتور / سهيل قاضي ، وعميد الدراسات العليا سعادة الدكتور / أحمد بن ناصر الحمد ، وعمـــيد كلية التربية سعادة الدكتور/ صالح بن محمد السيف ، وذلك لما يقوم به الجمـــيع مـــن رعاية واهتمام لبرنامج الدراسات العليا ، كما أشكر رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة سعادة الأستاذ الدكتور / محمود محمد كسناوي ، على ما قدمه من عون ومساعدة كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من أعارني كتاباً ، أو أســـدى إليّ توجـــيهاً ، أو نبهني على خطأ ، وأخص منهم الأستاذ/ يحيى بن عبدالله الزبيدي ، كما أشكر كافة زملاء العمل وزملاء الدراسة . سائلاً الله العلي القدير أن يجزل لهم المثوبة إنه سميع مجيب الدعوات .

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٢ ، ص١٠٤١ ، برقم ٦٠٢١ ، وقال حديث صحيح .

قائمة المحتويات

الفصل التمهيدي

- مقدمة .
- موضوع الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- تساؤلات الدراسة .
- مصطلحات الدراسة .
- منهج الدراسة .
- الدراسات السابقة .

مقدمة

الحمـــد لله الـــذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والســـلام على معلم البشرية ، وخير البرية سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله خـــاتم الأنبياء والمرسلين ، وقدوة المربين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فلقد شرف الله تعالى الإنسان وكرمه وميزه على باقي المخلوقات ، فكان من أعظم ما شرفه ، وكرمه به العقل .قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الإسراء .

ويقول (القرطبي ،١٤١٣هــ):"والصحيح الذي يعوّل عليه في قوله تعـــالى: ﴿ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ ﴾ أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكـــليف وبه يعرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه ، وتصديق رسله" (ج٥، ص١٩٠) .

ويقـــول(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ) :"والعقل شرط في معرفة العـــلوم ، وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمُلُ العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك ؛ لكنه غريزة في النفس وقوَّة فيها بمترلة قوة البصـــر التي في العـــين ؛ فإن أتصل به نور الإيمان والقرآن ، كان كنـــــور العـــين إذا أتصـــل به نور الشمس والنار . وإذا أنفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها . وإن عزل بالكليَّة : كانت الأقوال والأفعال مع عدمه : أموراً حـــيوانية ، وقد يكون فيها محبّة ووجد ، وذوق كما قـــد يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأقوال

المخالفة للعقل باطلة ... لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها ؛ لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً ، وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعرضون عنه صدَّقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال ، وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بنى آدم على غيرهم ."(ج٣ ، ص ٣٣٨ – ص ٣٣٩) .

ويقول (ضميرية ، ١٤١٤هـ) : "فالعقل هبة الله العظمى ومنحته لهذا الإنسان ، به أكرمه وميزه على سائر المخلوقات ، فأعطاه المفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت ويدخل ساحة الإيمان بالله الذي سخّر للإنسان كل ما في السماوات والأرض" ص ١٨٦.

ولذلك أمتن الله تعالى على الناس بهذا العقل وجعله مناط المسؤولية فقال سبحانه وتعالى :﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الملك ،وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الإسراء . والمراد بالفؤاد في هذه الآيات هو العقل .

يقول (القاسمي ، ١٤١٥هـ) : عند قوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ " لا تتبعه في قول أو فعل، تسنده إلى سمع أو بصر أو عقل " (ج٤ ، ص٥٨٨) .

ويقول (القرضاوي ، ١٤١٦هـ): "وجاء الحديث عن العقل في القرآن باسم (الفؤاد)مفرداً ومجموعاً باعتباره وسيلة من وسائل العلم الأساسيَّة الثلاث : السمع ، والبصر ، والفؤاد " ص ٢٩ .

ولذلك كرّم الإسلام العقل حين جعله مناط التكليف، وكرّمه حين وجهه إلى النظر، والتفكر في النفس ، والكون اتعاظاً ، واعتباراً ، وتسخيراً لنعم الله ، واستفادة منها ، وكرمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه ولا يهتدي فيه على سبيل . وفي كل ما ذكر دلالة واضحة على أن الإسلام رفع من شأن العقل ومكانته ،ومدح الذين يستعملون عقولهم في إدراك الحق واتباعه قال الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الزمر .

وفي المقابل ذمّ الله المقلدين الذين لا يُعملون أذهانهم ، وحذّر من الجمود والتعصب يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ سورة البقرة .

والتعصب والتقليد الأعمى من أكبر الأدواء التي أصابت الأمة وفرقتها شيعاً وأحزابا ،وهو داءٌ مؤثر على الفرد في دنياه وآخرته ، ومؤثر في تقدم المجتمع وحركته الحضارية ولذا تواترت الأدلة في ذمِّه والأمر بضده وهو الاتباع ؛ ومن ذلك قوله تعالى :﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الأعراف .

ومن الأحاديث ما أورده الإمام مالك أن رسول الله ﷺقال :(**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**)[1] (ابن أنس،كتاب الجامع ،باب النهي عن القول بالقدر،ص٤٧١، رقم ٦٤٥.

[1] حديث صحيح أشار إليه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ ، ص٣٦١ .

والشرع إذ يرفض التعصب والجمود فإنما يجيز أخذ الحق من وجهة تنطلق من قواعد عقلية صحيحة ، و لم تصادم الثوابت الشرعيّة ، فالنبي ﷺ قبل الحق من يهودي لا يدين بالإسلام . فقد روى عبد الله بن يسار عن قتيـلة بنت صيفي الجهنية قالت :(**إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شـاء الله وشـئت ، وتقولـون : والكعبة ، فأمـرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولـوا : ما شاء الله ثم شئت**)[٢] . (النسائي ،كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالكعبة ، ج٧ ، ص٦ ، رقم الحديث ٣٧٧٣) .

قال (آل الشيخ ، ١٤١٢هـ) :" وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان " ص ٤٠٧ .

وبعد ذلك سلك الصحابة رضي الله عنهم هدي النبي ﷺ في ذلك فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف على منبر المسجد بعد أن فرغ من صـلاة الظهر ،ويقول :أيها الناس ، ما إكثاركم في صدقات النساء ؟

لقد كان رسول ﷺ وأصحابه يقللون ، وإنما الصدقات مـا بين أربعمائة درهم فما دون ذلك لو كان الإكثـار في ذلك تقـوى أو مكرمة لم تسبقوهم إليها ، فلا يزيدنّ رجـل في صداق امرأة على أربعـمائة درهم قال : فـترل فاعترضـته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين أو ما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ (سـورة النسـاء الآيـة ٢٠) .قال عمر : اللهم غفراً . كل النـاس أفقـه من عمر ! أخـطأ أمير المؤمنين وأصابت امرأة إني كـنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة

---

[٢] حديث صحيح صححه الحافظ ابن حجر في الإصابة ج٤ ، ص٣٨٩ .

درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت نفسه فليفعل . (ابن كثير ، ١٤١١هـ ، ج١ ، ص٤٦٧) .

وفي هذا الموقف يظهر عدم تعصب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرأيه ولا لنفسه أمام امرأة من عامة الناس حيث إنه اعترف بخطئه وصوب قول المرأة أمام الناس وعلى مرأى ومسمع منهم . أضف إلى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا منغلقين على ما عندهم من علم فنظروا إلى ما عند الآخرين ، وانفتحوا على الثقافات الأخرى . فهذا بن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة كما يقول (الذهبي ،١٤١٦هـ): "كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يمس العقيدة ، أو يتصل بأصول الدين أوفروعه وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ، ولم يكونوا يَقْبلون كل ما يُروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك بل كانوا يحكّمون دينهم وعقلهم ، فما اتفق مع الدين والعقل صدّقوه وماخالف ذلك نبذوه ." (ج١ ، ص٧٨) .

وهذه الدراسة تعتبر محاولة علمية متواضعة في هذا الجانب . سائلاً الله العلي القدير التوفيق والرشاد ، ومجانبة الهوى ومخالفة السداد ، موقناً بوعده الصادق في قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ (سورة فاطرالآية ٢). فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن .

موضوع الدراسة:

لقـــد حث ديننا الإسلامي على العلم ورغب فيه ونوه بمكانة أهله وأعـــلى من قدرهم ، وبيّن فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة ، وحض على التعلم والتعليم ووضع لذلك كله قواعد وأحكاماً ضابطة ، وأكد على ضـــرورة تفتح المسلم لاستيعاب متغيرات العصر فهذا المصطفى ﷺ يقف موقفـــاً يدل على تفتحه العقلي ويدعو إلى ذلك حيث نزل عند رأي أهل الخبرة والمعرفة ، ففي غزوة الأحزاب أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه عـــلى رســـول الله ﷺ بحفر الخندق حول المدينة ، فقبل النبي ﷺ مشورته وبـــادر بتنفيذها ، ولهذا لما أقبل فرسان المشركين تسرع بهم خيولهم حتى وقفـــوا عـــلى الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكـــيدها .(ابن كثير ، ١٤١٤هـــ ، ج٤ ،ص٩٤ - ص١٠٧) .

ويقـــول (القرضاوي ، د.ت) :"ولا عجب أن يقتبس المسلمون من أساليب الفرس أو الروم أو غيرهم مما يمتنعون به من عدوهم ، وما يمكنهم مـــن النصـــر عليه ، وكل ما يعود عليهم بالخير في حياتهم ، فالوسائل لا حكم لها في ذاتها ، وإنما لها حكم مقاصدها " ص٥١ .

ويقول (أبو العينين ، ١٤٠٧ هـــ) : "والمسلم اليوم في أمس الحاجة إلى هذه الروح في عصـــر مليء بالاختراعات والابتكارات ، فضلاً عن أنه لا بـــد أن يسهم فيها وفي حركتها " ص٦٠.

ومن صور الانفتاح العقلي عند المصطفى ﷺ التي تؤكد على جواز الاســـتفادة مـــن المخالفين ما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنهما قـــال : (**كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول**

الله ﷺ **فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة**[1] ... الحديث) (ابن حنبل ، مسند بني هاشم (عبد الله بن عباس) ، ج٤، ص٤٧) . فلم ير ﷺ حــرجاً في أن يتعلم أبناء المسلمين على أيدي المشركين وذلك حرصاً منه ﷺ عــلى تعليم أبناء المسلمين ودفع الجهل عنهم وتنوير عقولهم بالقراءة والكتابة ، وفي ذلك كله دفع للمجتمع الإسلامي في المدينة إلى الترقي في معارج الحضارة .

ومــن مواقفــه ﷺ التي تدل على بعده عن التعصب وعلى تفتحه العقــلي تنظيم علاقاته بغير المسلمين" وكان همه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء ، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد فســنّ في ذلــك قوانين التسامح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصــب ، وكان أول بنود تلك المعاهدة : إن يهود بني عوف أمة مع المؤمــنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، ومواليهم وأنفسهم كذلك لغير بني عوف من اليهود " (المباركفوري ، ١٤٠٠هـــ ، ص٢١٣) . وفي هــذا الموقــف يظهر عدم تعصب المصطفى ﷺ وجواز الاستفادة من المخالفين شريطة عدم الانسلاخ من الدين (وللمسلمين دينهم) .

وســيرة الرســول ﷺ تضــع المعْــلم البارز في حدود التفاعل مع الحضارات الأخرى ، وما يمكن اقتباسه والاستفادة منه ومالا يمكن اقتباسه . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتــى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فرآه النبي ﷺ فغضب فقال :(**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيــّة ، ولا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا**

[1] أورده الحاكم في المستدرك ج٢ ،ص١٤٠ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

أن **يتبعني**) (ابن حنبل ، مسند المكثرين (جابر بن عبد الله) ، ج١، ص ٣٨٧) . وإنمـــا غضب النبي ﷺ وتغير وجهه واشتد إنكاره ؛ لأن الأمر هنا أمر(دين) لا يؤخذ إلا من الصادق المصدوق ، أما علوم الحياة وفنونها وما يهتدي إليه الناس بعقولهم وتجاربهم فهو ملك عامّة البشر، نأخذه من أي وعـــاء خـــرج ونلتمســـه من الشرق أو الغرب ، ونقتبسه من المسلم والمشـــرك .(القرضـــاوي، د.ت ، ص ٥٣) . دون مساس بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف .

ويقـــول (الكيـــلاني ، ١٤٠٧هــ): والانفتاح على خبرات الجماعـــات الأخـــرى يرتبط مع عقيدة الإسلام نفسها فمراجعة هذه الخبرات يساعد على أمرين :

الأول : الـــتعرف عـــلى مكامن الخير وأصوله في كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها في الحوار الدائم مع الإنسانية .

الـــثاني : الـــتعرف عـــلى عوامـــل الانحراف والمرض في كل جماعة لتشخيصـــه وتحديـــد وســـائل علاجه وكل ذلك يساعد على تحقيق الأهداف البعيدة التي يعمل الإســـلام مـــن أجلها .ص٦٣.

ولـــــذلك فـــإن الفهـــم الصحيح للانفتاح المنضبط تجاه خبرات الآخرين أمر ضروري لتبادل الخبرات ؛لأن هذا الفهم "هو الذي يمكّن من الانـــتقاء والاستفادة العلمية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم والعقائد والمبادئ والهوية " . (أبو سليمان ، ١٤١٤هــ ، ص ١٦٩) .

وفي بيان أهمية ذلك يقول "(العزب ، ١٤٠٦هــ) : "على المتعلم أن يعـــي ثقافة عصره ليدير حواره مع مفردات هذا العصر مطالباً كذلك بأن يعي ثقافة كل العصور ، انطلاقاً من قضية مسلمة هي : أن الثقافة شجرة جذورهـــا غائصة في تربة الزمن ، وفروعها ضاربة في آفاق كل العصور " ص١٨١ . وانطلاقـــاً مـــن ذلك كان موضوع هذه الدراسة (الانفتاح العقـــلي في التربية الإسلامية) ذلك الانفتاح الواعي النافع المفيد ، وليس

الانـــبهار الفكري وما يحمله من سمات التسيب والخمول والتقليد الأعمى والتي تعتبر محاولة لإبراز منهج الإسلام في التفكير السليم ، ونبـــذ التعصب واتباع الهوى ،وقبول الحق من المخالفين ولا سيما في مجال التربية والتعليم - فـــنحن في أمس الحاجة إلى تكوين عقلية واعية متفتحة- وفي غيرها من المجـــالات حـــتى نستطيع من خلالها أن نميز بين الخير والشر وبين الغث والســـمين . عقلية تستطيع الاستفادة من غيرها فتأخذ ما كان فيه نفع لها ولأهلها دون مساس بعقيدتها وتعاليم دينها وتنبذ ما عدا ذلك لاسيما إذا كان فيه دعوة للانسلاخ من الدين فالأمّة المسلمة أمة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط .

أهميَّة الدراسة :

تتضح أهميَّة هذه الدراسة في النقاط التالية :

١- أنهـــا تبرز قدرة التربية الإسلامية على الاستفادة من تجارب الأمـــم الأخـــرى دون انتهاك للأسس والمعطيات المتميزة التي تقوم عليها التربية الإسلامية .

٢- أنها دعوة إلى التفكير السليم والاعتماد على الدليل، والبرهان ، ونـــبذ التعصـــب ،والجمود، والتبعية المذمومة ، وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية .

٣- أنهـــا حـــلقة من حلقات عملية التأصيل الإسلامي حيث يتم تناول هذا المصطلح(الانفتاح العقلي) وتأصيله في الكتاب والسنة .

٤- حاجـــة المؤسسات التربوية في العالم الإسلامي إلىهذا المفهوم (الانفتاح العقلي) لا سيما وأن هذه المؤسسات لديها من الوسائل المختلفة ما تؤثر به في نفوس أبناء الأمة .

٥- أنها تُكسب القدرة على مجابهة الاختلاف في المنهجيات والمذاهب الفكرية ، ووقوفه أمامها موقفاً إيجابياً ؛ موقف النقد والتمحيص والتحليل وأخذ ما يناسب ونبذ ماعدا ذلك .

٦ – أنها تمكننا من الوقوف على مدى فهم غيرنا من الباحثين غير المسلمين للنص الإسلامي ، وكيفية تطبيقهم لهذا النص ، ومعرفة السلبيات والإيجابيات في ذلك .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي :

١- توضيح مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

٢- بيان أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبويّة.

٣- بيان الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

٤- بيان بعض المظاهر التي تدل على الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

٥- بيان ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

٦- إبراز التزام بعض المربين المسلمين بالانفتاح العقلي وذلك من خلال :

إيراد نماذج لهؤلاء إما بنقل نصوص مباشرة ، أوالإشارة إلى مواقف تطبيقية لهم .

٧- وضع تصور مقترح للأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أ- أساليب وطرق التدريس الملائمة .

ب- المقررات الدراسية .

ج- النشاط المدرسي .

تساؤلات الدراسة :

تنطلق هذه الدراسة من خلال التساؤلات التالية :

س ١: ما مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي ؟

س ٢ : ما أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟

س ٣ : ما الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ؟

س ٤ : ما المظاهر التي تدل على الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ؟

س ٥ : ما ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ؟

س ٦ : ما أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند كل من :

١- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٢- الأمام الشافعي رحمه الله .

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

س ٧ : ما الأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أ - أساليب وطرق التدريس الملائمة .

ب - المقررات الدراسية .

ج - النشاط المدرسي .

مصطلحات الدراسة :

الانفتاح العقلي :

ويعـــرِّف (الشريف ، ١٤١١هـــ) هذا المصطلح بأنه : " هو البعد عن التزمت ، والجمود والتعصب وتحرير الذهن من الأفكار المسبقة وإعطاء النفس الحرية التامة في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق " ص ٧٥ .

والمراد به في هذه الدراسة :

رفض التعصب والجمود العقلي مع القدرة على التقبل ، والتعامل ، والتفاعل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيدسواء مادياً ، أو معنوياً شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية .

منهج الدراسة :

المـــنهج هـــو:" الطـــريق الواضحة التي ينتهجها العقل للتوصل إلى الكشـــف عـــن الحقيقة التي يريد الباحث الوصول إليها ، أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة مستعيناً بمجموعة من القواعد العامة يخضع لها العقل في عملية البحث ". (النقيب ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٠) .

وفي هـــذه الدراســـة اســـتخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية ؛ غير أن المنهج الوصفي التحليلي قد رافق الباحث في جميـــع فصول دراسته أمّا الطريقة الاستنباطية فقد كانت في جوانب من فصول دراسته كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى على النحو التالي :

أولاً : قـــبل الشروع في التوضيح والتفصيل يرى الباحث التعريف بالمنهج الوصفي وكذلك الطريقة الاستنباطية .

فالمنهج الوصفي يمكن القول بأنه هو :

" المنهج الذي يرتبط بظاهرة معينة بقصد وصفها وتفسيرها" (العساف ، ١٤١٦هـ ، ص ١٨٩) .

والطريقة الاستنباطية تعرف بأنها : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ، ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربويّة مدعمة بالأدلة الواضحة " (فودة ، عبدالله ، ١٤١٠هـ ، ص٤٢) .

ثانياً : التوضيح والتفصيل لكيفية استخدام المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية .

ففي الفصل الأول : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي عند استعراضه لمفهوم الانفتاح العقلي .

وفي الفصل الثاني : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية ، فالمنهج الوصفي التحليلي استخدمه عند استعراضه لتأصيل المفهوم في القرآن الكريم والسنة النبويّة حيث يجمع الآيات التي أشارت إلى الموضوع وكذلك الأحاديث ، ثم دراستها وتحليلها على ضوء التفاسير المعتمدة ، وشروح الأحاديث المعتمدة ، ثم عاد للطريقة الاستنباطية لاستنباط واستخراج أهميّة الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وفي الفصل الثالث والرابع والخامس : اقتصر الباحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي فقط .

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة:

تحقق الدراسات السابقة للباحث أهدافاً كثيرة رئيسية وفرعية :

أمـــا الرئيسية : فهي تكمن في التأكد من جدّية موضوع دراسته ، وأنه لم يبحث من قبل ، وأنه بدأ من حيث انتهى غيره ، وهذا بدوره يحقق فـــائدة لـــدى الباحث وهي طمئنته أن ما سوف يقوم به من جهد علمي ومـــادي ســـيكون بإذن الله له مردود واضح وسوف تحظى نتائجه بثقة جيدة وأهمية بالغة .

وأما **الأهداف الفرعية** فهي تتمثل في :

١- تحديـــد المشكلة : إن مراجعة الدراسات السابقة تعد بالنسبة للـــباحث أشبه بالمنظار الذي يرى بواسطته المسيرة البحثية من بدايتها إلى نهايـــتها مما يجعله يدرك قبل أن يبدأ مسيرته ما يتطلبه البـــحث من وقت وجهد ، وهذا كاف لتحديد مشكلة البحث طبقاً لما يمكنه أن يقوم به .

٢- طـــرق جوانـــب جديدة لم يطرقها غيره من قبل : فبمراجعة الدراســـات السابقة يستطيع الباحث أن يعرف ما تم التوصل إليه ، وما لم يتم التوصل إليه وهذه المعرفة توجهه لدراسة الجوانب الجديدة .

٣- تجـــنب النمطية في البحوث : إن مراجعة الدراسات السابقة توضح للباحث النمط الذي سارت عليه تلك الدراسات فيتجنبه ويسلك نمطاً آخر مختلفاً عنه .

٤- التبصّر في طرق البحث : إن مراجعة الدراسات السابقة تبصر الـــباحث بطرق البحث وأدواته ، وكذلك المجال الذي سلكه الآخرون في دراساتهم ، ومن ثم الاستفادة من ذلك لتحسين مستوى دراسته وبحثه .

٥- **الاستفادة من توصيات الباحث** : كثيراً ما يلحق الباحثون ببحوثهم مجموعة من التوصيات والاقتراحات لمن سوف يقوم ببحوث مشابهة ، وهذه التوصيات والاقتراحات ذات أهمية بالغة ؛ لأنه تم التوصل إليها بعد تجربة طويلة .(العسّاف ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٨ – ص٧٠) .

ويستفاد من هذه التوصيات في : عمل بحوث مشابهة لسابقتها . استكمال عمل جهد السابقين وتطويره ؛ فالعلم يتصف بالتراكمية .

وعليه يمكن إجمال الفوائد التي تترتب على الرجوع للرسائل العلمّية والدراسات السابقة فيما يلي :

١- لفت انتباه البعض إلى المشكلات التي يمكن أن يتخذوها موضوعاً للبحث.

٢- بلورة المشكلة وتحديدها .

٣- منع الازدواجية والتكرار في البحوث .

٤- تجعل الباحث يعي المشكلات التي صادفها السابقون في بحوثهم والأخطاء التي وقعوا فيها فيتحاشاها .

٥- إلقاء الضوء على المنهج والأدوات التي استخدمها الباحثون ، ومدى النجاح أو الخطأ في الاعتماد عليها.

٦- تجعل الباحث المستجد يحيط بالمراجع ذات الصلة ببحثه مما لا يكون قد صادفه أصلاً ؛ حيث يوثق الباحثون كتاباتهم ويشيرون في تقاريرهم إلى المصادر والمراجع التي استعانوا بها . (عريفج وآخرون ، ١٤١٩هـ ، ص٤٢) .

وبعد الرجوع إلى دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية بالرياض ومركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى تبين أن

الموضـــوع بكـــر ً حيث إن الباحث لم يجد دراسة تتحدث عن موضوع البحث الذي يقوم بدراسته ، لكنه وجد عدة دراسات معينة يستفاد منها في بعض جوانب موضوع البحث .

ومن تلك الدراسات :

الدراســـة الأولى (ميمني ، هدى عبد الرحيم ، ١٤٠٦هـ)

العنوان : التربية العقلية في القرآن الكريم - رسالة ماجستير— غير منشورة مقدمة إلىقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

ـــ استهدفت الدراسة :

إيضاح تربية الجانب العقلي للإنسان في القرآن الكريم ، وأهمية العقل الـــذي كرم الله به الإنسان على سائر المخلوقات لتحقيق خلافة الله له في الأرض، ثم محاولة تطبيق هذا المنهج الرباني في حياتنا الواقعية ، والاستفادة منه في تربية النشء على المنهج الإسلامي الصحيح .

وقـــد اســـتخدمت الباحـــثة في تلك الدراسة المنهج الوصفي،والمنهج الاستدلالي (الاستنباطي) وخرجت بالنتائج التالية :

١ـــ تقدير الإسلام للعقل واعتباره مناط المسؤولية .

٢ـــ وردت في القرآن الكريم بعض العمليات العقلية التي تبيّن مجال فعل العقل مثل التفكير ، والنسيان ، والاعتبار ، والاستنباط .

٣ـــ حـــث القرآن الكريم على استخدام العقل للتأمل في ملكوت الكون .

الدراســـة الـــثانية (الشريف ، نايف بن حامد ، ١٤١١هـ)

العـــنوان : التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي ـــ رسالة دكتوراه ـــ

غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

ــ واستهدفت الدراسة :

١- التعرف على طبيعة التفكير، وتحديد مفهوم واضح للتفكير العلمي ومحدداته .

٢- التعرف على تحديد التصور الإسلامي للتفكير العلمي في عناصره الأساسية .

٣- محاولة إبراز أصالة التربية الإسلامية في تناولها للتفكير العلمي وتنميته هدفاً ، ومحتوى، وطريقة .

وقد استخدم الباحث في تلك الدراسة المنهج الاستنباطي ، والمنهج المقارن ، وتوصل إلى عدة نتائج من أهمها :

١- أن المفهوم الصحيح للتفكير العلمي شامل ، ومتكامل لجميع مجالات الحياة،وجوانب المعرفة ،ويتطلب ضمانات وضوابط ليكون فعّالاً .

٢- أن مفهوم التفكير العلمي في الإسلام شامل ومتكامل ؛ لأن مصدره الوحي الإلهي .

الدراسة الثالثة (الصوفي ، حمدان عبدالله ، ١٤١٦هـ) العنوان : مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية -رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى مكة المكرمة .

ــ واستهدفت هذه الدراسة :

١- إيضاح مفهوم الأصالة والمعاصرة ، وإظهار طبيعة العلاقة بينهما من منظور إسلامي .

٢- إلقاء الضوء على أهم العوامل التي أدت إلى النزاع (المتوهّم) بين الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي .

٣- إلقـــاء الضوء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة واختلافاتها في تحديـــد العلاقـــة بين الأصالة والمعاصرة في الفكر التربوي وإظهار الاتجاه الصحيح من بين هذه الاتجاهات .

٤- إظهـــار أهـــم مقومـــات الأصـــالة التي تكفل للفـــــكر الـــتربوي الإســـلامي سلامة المنطلق ، والمحتوى ،والمنهج .

٥- بيان أهم مقومات المعاصرة التي تكفل للفكر التربوي الإسلامي الاســتفادة مـــن الجوانب النافعة في الفكر التربوي المعاصر دون وقوع في التبعية والتقليد .

٦- إبراز أثر مفهوم الأصالة والمعاصرة في مجال فلسفة التربية .

٧- إبـــراز أثر مفهوم الأصالة والمعاصرة في مجال أهداف التربية .

وقـــد استخدم الباحث في تلك الدراسة: المنهج الوصفي ، والمنهج الاستدلالي (الاستنباطي) . وقد توصل إلى عدة نتائج من أهمها :

١- هـــناك ترابط وتوافق بين الأصالة والمعاصرة في الفكر التربوي الإســـلامي ، وإنمـــا ظهر النزاع (المتوهم) بين الأصالة والمعاصرة عندما اختلت العلاقة بينهما لأسباب بعضها داخلية منها :

أ- ظهور فرق المعتزلة .

ب- الجمود .

وبعضها خارجية منها :

أ- الحروب الصليبية .

ب- الغزو الفكري .

٢- هـــناك مقومات للأصالة ومقومات للمعاصرة ينبغي أن تحكم سير الفكر التربوي حتى يكتسب صفة الجمع بين الأصالة والمعاصرة منها :

أ - المرونة .

ب- الوسطية (التوازن) .

ج - الاختيار الحر والانتقاء الواعي .

الدراســة الــرابعة :(التويم ، خالد محمد ، ١٤١٧هـ) العنوان: التــبعيّة الفكـــرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي ـــ رسالة دكتوراه ـــ غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

ـــ واستهدفت هذه الدراسة ما يلي :

١- التعريف بمفهوم التبعيّة الفكرية ، وإبراز معاييرها .

٢- التعرف على عوامل وأسباب ظاهرة التبعيّة الفكرية .

٣- توضـــيح آثار الظاهرة على المجتمع الإسلامي في ميدان التربية والتعليم ، والكشف عن طريقة التربية الإسلامية في معالجتها .

وقـــد استخدم الباحث في تلك الدراسة : المنهج الوصفي ، المنهج الاستنباطي ثم توصل إلى عدة نتائج من أهمها :

١- أن التبعيّة منها ما هو محمود وهو اتباع الكتاب والسنة واتباع الدليـــل من تجربة وبرهان عقلي في أمور الدنيا، ومنها ما هو مذموم وهو اتباع الآخرين دون حجة وبرهان .

٢- نشـــأة التبـــعيّة بسبب عوامل داخلية وخارجية ، من العوامل الداخـــلية عـــدم الالـــتزام بأحكام الدين ،ومن العوامل الخارجية الغزو العسكري والفكري .

٣- الاقتـــباس من الأمم الأخرى مشروع ولكن بضوابط منها ما يخص المقتبِس وهي العلم الشرعي وضوابط للمقتبَس وهو أن لا يخالف العقيدة ولا يهدد هوية الأمة ، وأن يكون فيه مصلحة للمسلمين .

التعليق على الدراسات السابقة :

تظهر الدراسات أن هناك اهتماماً كبيراً بتوجيه وتربية العقل المسلم عـــلى العـــودة إلى الأصول ذات المصادر الربانية ، ونبذ التبعيّة الفكرية وتربيته على التفكير السليم الذي يقوده إلى اكتساب صفة التفتح العقلي ، فدراســـة (ميمني ، ١٤٠٦هـــ) ركزت على جانب التربية العقلية ، كما أنهـــا لم تجعل محورها قضية الانفتاح ، ولم تبرز طريقة التربية الإسلامية في تأصـــيل وترسيخ مفهوم الانفتاح العقلي لأن هذا الانفتاح إنما هو رد فعل إيجـــابي للتربية العقلية السليمة التي يهدف الإسلام إلى إثباتها والإعلاء من شـــأنها . ويســـتفاد من هذه الدراسة في مفهوم العقل ومكانته في التربية الإسلامية .

أمـــــا دراســـة (الشريف ، ١٤١١هـــ) فقد ركزت على قضية التفكير العلمي وهذه القضية ليست هي المحور الأساسي في هذه الدراسة . ويســـتفاد من هذه الدراسة في الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي حيث يعتبرها الباحث عاملاً مساعداً على الانفتاح المنضبط .

وأمّـــا دراستا (الصوفي ، ١٤١٦هـــ) وَ (التويم ، ١٤١٧هـــ) فهمـــا مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بموضوع الدراسة غير أنهما لا تمثلان المحور الأساســـي لهـــذه الدراســـة . ويستفاد منهما في بعض مظاهر الانفتاح ، وكذلك الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم .

وتنفرد هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة بما هو آت :

١- بيان مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

٢- تأصيل مفهوم الانفتاح العقلي ، وإيراد نماذج لبعض المربين المسلمين وبيان أبرز مظاهر الانفتاح العقلي لديهم .

الفصل الأول

مفهوم الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية

مكانةالعقل في الإسلام .

أولاً : مظاهر تكريم الإسلام للعقل .

ثانياً : وظيفة العقل في الإسلام .

ثالثاً : العلاقة بين الوحي والعقل .

مفهوم الانفتاح العقلي .

أولاً : مفهوم الانفتاح .

ثانياً : مفهوم الانغلاق .

ثالثاً : مفهوم العقل .

رابعاً : مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

مكانة العقل في الإسلام :

ينوه الإسلام تنويهاً كبيراً بالعقل ، ويعلي من مكانته وقيمته ، ويحفل به وبوسائل الإدراك بعامّة ، ففي القرآن الكريم جاءت فيه مادة (ع ق ل) (٤٩مرة) ، (عقلوه) مرة واحدة ، (تعقلون) ٢٤مرة ، (نعقل) مرة واحدة (يعقلها) مرة واحدة ، (يعقلون) ٢٢ مرة .

ومادة (ف ك ر) وردت (١٨مرة) ، (فكّر) مرة واحدة (تتفكروا) مرة واحدة ، (تتفكرون) ٣مرات ، (يتفكروا) مرتين، (يتفكرون)١١مرة .

ومادة (ف ق هـ) وردة (٢٠مرة) ، (تفقهون) مرة واحدة ، (نفقه) مرة واحدة ، (يفقهوا)مرة واحدة ، (يفقهون) ١٣مرة ، (يفقهوه) ٣ مرات ، (يتفقهوا)مرة واحدة . (عبد الباقي ، ١٤٠٨هـ، ص٥٩٥ ، ص٦٦٦ ، ص٦٦٧) . وذلك تأكيداً للنهج القرآني الفريد في الدعوة إلى الإيمان ، وقيامه على احترام العقل .

وأما الآيات التي تحث على النظر ، والتفكر ، والتدبر ، والتبصر في آيات الله في الأنفس ، والآفاق ، وفي حوادث التاريخ ، وأحكام التشريع ، وتتوجه بالخطاب لأولي الألباب ... فقد بلغت من الكثرة حداً أعطى الإسلام ميزة بين كل المذاهب والشرائع .

> يقول (العقاد ، د.ت) : " والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآيات ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكرعلى إهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على

اخـــتلاف أعمالهـــا وخصائصها ، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته . فلا ينحصر خطاب العقل في العقـــل الـــوازع ولا في العقل المدرك الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كلّ ما يتسع له الذهن الإنساني في خاصة أو وظيفة ... " ص٧ - ص٨ .

ويقول (الصافي ، ١٤١٩هـــ) : " وبحثت في القرآن الكريم عن أية إدانة يوجهها إلى العقل تسوِّغ التوجس منه ، فلم أجد فيه غير التمجيدله والحث على إعماله ، والنهي عن تعطيله ، بل المسؤولية عن إهماله."ص٩ .

وفي الســـنة النبوية المطهرة نجد أحاديث عديدة وردت فيها ألفاظ (العقـــل) بصيغة الفعل ، والمصدر، كما وردت أحاديث أخرى صحيحة اســـتخدمت فيهـــا ألفـــاظ أخرى دالة على العقل مثل (الحلم) ، ونجد أحـــاديث أخرى تدل على فضل العقل ، ومكانته دون أن تستخدم هذه الـــلفظة أو مشتقاها ، ومنها قوله ﷺ : (**إن القلم رفع عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يدرك ، وعن النائم حتى يستيقظ**). (البخاري ، كتاب الطلاق ،باب الطلاق في الإغلاق والكره ، ص١٠٤٣، رقـــم الحديث ٥٢٦٨) . وفي رواية : (**رفع القلم عن ثلاثة :عن المجنون المغـــلوب على عقلة حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ ،وعن الصبي حتى يحتلم**) . (أبو داود،كتاب الحدود،باب في المجنون، يسرق ، أو يصيب أحـــداً ، ج٤، ص١٤١، رقم الحديث٤٤٦١) ." فهذا الحديث الشريف يعفـــي من لا عقل له ، ومن كان عقله غير ناضـــج من تحمل المسؤولية الكاملة عن السلوك غير السوي ؛ لأن المؤاخذ هو العاقل فقط " .(عبد الله ١٤٠٦هـــ (أ) ، ص١٩) ، ومن ثم فالعقل مناط التكليف .

والعقل نور خلقه الله تعالى ، وقسمه بين عباده على مشيئته فيهم ، وعلمه به . (الترمذي ، ١٤١٣هـــ ، ج٢ ، ص٦٠) .

وأما المذاهب الفلسفية والكلامية ، والتي أرادت تمجيد العقل ، والرفع من شأنه حسب زعمهم لم ولن يصلوا بحال إلى عُشر معشار ما بلغه الإسلام ، من تكريم للعقل ، وتشريف له ، هذا إذا لم نقل : أنهم أساءوا إلى العقل أيما إساءة ؛ حيث أوغلوا به في مفاوز لا يهتدي فيها إلى سبيل ، حتى صار أحدهم يأتي بالحكم ونقيضه ، وإن أصاب مرة تعثر مرات ! وأصحاب العقل - على ما بينهم من الاختلاف والتنازع - كلٌ يدعي استناده إلى العقل ، وقيام الحجة معه ، وظهور البرهان عنده ، هذا ، وكلهم مجمعون على أن حجة العقل قطعية ! لا يقوى دليلٌ على معارضتها فهم مختلفون فيه ، مخالفون له !! (حسن ، ١٤١٨هـ ، ج١ ، ص١٦٨) .

يقول (ابن قتيبة ، ١٣٩٣هـ) : " وقد كان يجبُ - مع ما يدعونه من معرفة القياس ، وإعداد آلات النظر - ألا يختلفوا كما لا يختلف الحسَّاب ، والمسَّاح ، والمهندسون ؛ لأن آلاتهم لا تدل إلا على عدد واحد ، وإلا على شكل واحد ... فما بالهم أكثر الناس اختلافاً ، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين " ص ١٤ .

وهذا شأن كل من أعرض عن الكتاب والسنة أن يكون أمره مختلفاً . قال تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ سورة البقرة .

والبشرية قد غلت في نظرتها للعقل ، ولا سيما بعد أن فتح الله للعقل مجالات رحبة ، وذلك من خلال اكتشاف الكثير من أسرار الكون التي كان يجهلها ، وظنت أن بإمكانها أن تستغني عمّا جاء به الأنبياء ،

فطــرحوا الشــرائع السماوية جانباً ، وسنّوا لأنفسهم الأنظمة ، وشرعوا لحيــاتهم القوانـــين ، وأحلوا ما اشتهته أنفسهم ، وحرموا ما اشمأزت منه نفوســهم ، اســتناداً على ما تمليه عقولهم القاصرة ، وخيالاتهم المريضة الفاسدة ، فحاربوا الدين السماوي بحجة تحرير العقل من قيوده ، وإفساح المجــال لــه ليقوم بواجبه ، من وضع الأنظمة وسن القوانين . والعقل في التصــور الإســلامي له وضع يليق به ، لا يرتفع ليكون إلها ، ولا يمتهن ليكــون صاحبه كسائر الحيوانات ، إذ من المسلَّم به أن العقل له قدرة في معرفة ما يصلحه وما يضره وقدرة في معرفة الحسن من القبيح .

يقــول (أبو سليمان ، ١٤١٤هـــ) : " والعقل هو الذي يميّز بين الوحي الخير، والصحيح الموثق ،وبين الدجل والخرافة ، والكهانــة الفاسدة الكاذبة الضالة ، وهو الذي يمكن الإرادة الإنســانية مــن الخيار ، ويضعــها أمام مسؤولــية المسلك والمصير ... ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي والتوجيه والعلم ولا مجــال لمسؤولية الخلافة والاعمار دون وجود العقل ... ودون فطرة العقل في معطياته وقدراته وبديهيا ته ، في الإدراك والفهــم والتمييز ، وما تدل عليه وتدعوا إليه من مقاصد الخير والعطاء " ص١١٩ .

ومــن ذلــك يظهــر أنه " ليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتعتز به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية ، وليس ثمة كــتاب أطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الإســلام ، بل إن القرآن الكريم ليكثر من استثارة العقل ليؤدي عــمله الذي يخلقه الله له " . (الرومي ، ١٤٠١هـــ ، ج١، ص٢٩) .

وعليه يمكن للباحث أن يبرز مكانة العقل في الإسلام من خلال :

أولاً : مظاهر تكريم الإسلام للعقل :

ولقد أبرز الإسلام مظاهر تكريمه للعقل واهتمامه به في عدة مواضع نذكر منها :

١- جعل الإقناع العقلي من ركائز الإيمان :

فلم يطلب الإسلام من الإنسان أن يطفئ مصباح عقله ويعتقد ، بل دعاه إلى إعمال ذهنه ، وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مقنعة في شؤون حياته ، وكل ما يتطلبه . ومن ذلك دعوته إلى التفكر والتدبر والنظر في :

أ- كتابه: قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة ص . وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة محمد .

ب- مخلوقاته : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ سورة آل عمران . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الروم ، ثم

يـــتحدى العقل بحواسه أن يجد خللاً في شيء منها ليزداد بعد عجزه إيماناً وتسليماً ، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ سورة الملك .

ج- تشـــريعاته : قـــال تعالى :﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ ﴾ سورة البقرة ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ ﴾ سورة الجمعة .

يقول (قطب ، ١٤١٢هـــ) : " فأمر بالتفكر في تلك التشريعات لـــتحري الحكمة فيها ، لأن الحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعدة التشـــريعية انطباقاً آلياً ، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة ، ومـــا لم يكن الإنسان مدركاً للحكمة الكامنة وراء التشريع وفاهماً لترابط التشريعات في مجموعها فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية " (ج١ ، ص ٨٧) .

د- وفي أحـــوال الأمـــم الماضية : قال تعالى :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾ سورة الأنعام.

هـــ- وفي الدنيا ونعيمها الزائل :قال تعالى :﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الكهف .

يقول (الرومي ، ١٤٠١هـ) : " وهذا التأمل والتدبر ليس هو المقصود لذاته ، وإنما ليؤدي ثمرة نافعة ، لا أعني بها فلسفة يتشدق بها الفلاسفة ، ويتبارون في إغماض الكلام فيها وإبهامه ، ثم لا ينتهون إلى شيء وإنما أعني بها الإصلاح ... إصلاح القلب ... إصلاح العقيدة ... إصلاح الحياة في الأرض على منهج الدين الصحيح " (ج١ ، ص٣٣) .

وحول التوجيه عموماً إلى التفكر ، والتدبر ، والنظر ، يقول (ابن تيمية ، ١٤٠٩هـ) : " وهذا كثير في القرآن : يأمر ويمدح التفكر ، والتدبر ، والتذكر ، والنظر والاعتبار ، والفقه ، والعلم ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والنطق ، ونحو ذلك من أنواع العلم وأسبابه وكماله ، ويذم أضداد ذلك" (ج٢ ، ص١٥٩) ، ويعلق ابن تيمية على ذلك بقوله : " فإذا تبين أن جنس عدم العقل والفقه لا يحمد بحال في الشرع ،بل يحمد العلم والعقل ويؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب" (ج٢ ، ص١٥٩) .

٢- حرية الإيمان :

ترك الإسلام للعقل الحرية في الخيار بين الإيمان والكفر قال تعالى :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾

(سورة الكهف الآية ٢٩) ، وقال الله تعالى :﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦) .

يقـــول (الســـعدي ، ١٤١٤هـــ) : " هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي ، وأنه لكمال براهينه ، واتضاح آياته وكونه دين العقل والعلم ، ودين الفطرة والحكمة ، ودين الصلاح والإصلاح ، ودين الحق والرشد ، فلكماله وقبول الفطر له لا يحتاج إلى الإكراه عليه ؛ لأن الإكراه ، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق " (ج١، ص٢٣٠) .

ويقول (الألوسي ،١٤١٥هــ) : " جيء بها إثر بيان دلائل التوحيد للإيذان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين ؛ لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه ، الدين خير كله " (ج٢ ، ص ١٤) .

٣- الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة :

حـــرص الإســـلام على قيام العلاقة بين العبد ، وربه على الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة ، وعدم تقييده له بعد اقتناعه وإيمانه بالرهبانيّة، فلارهـــبانية في الإســـلام ؛ لما فيها من تقييد للعقل ، ولما فيها من تعطيل لـــلطاقة والقوى البشرية ، والمخالفة لنظام الحياة مخالفة تقضى بالفناء على البريّة فيما لو اعتنق الناس الترهّب والانعزال ديناً (الرومي ، ١٤٠١هـــ ، ص٣٤ ، ص٣٥) .

ويعلق (الجمال ، ١٤١٤هــ) على الرهبانيّة بقوله : " والرهبانيّة عكس ما يقولون بأنها تفتح أفاق العقل وتزيد صفاءه .. والحقيقة أنها تظلم العقـــل ، ويخبو نوره لانطواء صاحبها على نفسه ، واعتزاله المجتمع ، فلا يرى النور ، والظلمة ، والخير ،والشر ، والإيمان ،والكفر في معترك الحياة " (ج١، ص٢٠٤) .

٤- المحافظة على العقل :

العقل من الضروريات الخمس التي أنزلت الشرائع للمحافظة عليها وهـــي : الدين ، والنفس ، والعرض ، والعقل ، والمال . فأوجب الإسلام

العلم وكل ما به قوام الحياة ، وهي تعود على العقل بالحفظ وحرّم كل ما يذهب العقل أو يزيله كالخمر والمخدرات وسائر المسكرات ؛ لأنها تصيب العقل بآفة تجعل صاحبه عبئاً على المجتمع ومصدر شر وأذى للناس .

والإسـلام يحـافظ على العقل : **إمّا بالحث على العلم والتعلم :** فكانت أول آية من كتاب الله تحث على العلم والتعلم قال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ **سورة العلق .**

يقول (العبد ، ١٤٠١هـ) : " إن العلم هو الذي ينهض بالإنسان ويوجهه نحو الخير ، والتفكر ، والتدبر ، في كون الله تعالى ، وفي شـرعه وهنـا يكون السـمو والتحضر والتقدم ". (ص ١٠ ، ص١١) .

ومـن هنا كانت كلمة (**اقرأ**) فتحاً جديداً للإنسان نحو الثقافة والفكر والبحث في أحوال المخلوقات .

وإمّـا بتحريم الاعتداء عليه : ومن محافظة الإسلام على العقل أنه حـرم الاعـتداء عليه فحرم على المسلم شراب المسكر والمفتر ، وكل ما يخامر العقل ويفسده قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ **سورة المائدة .**

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : **(كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب ، لم يشـربها**

في الآخــرة) (مسلم ، كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام ، ج٣ ، ص١٢٦٢ ، رقم الحديث ٢٠٠٣) .

كــل هــذا حفاظاً على العقل وعلى بقائه ، وجعل الإسلام الدية كاملة في الاعتداء على العقل وتضييع منفعته بضرب ونحوه .

قال (ابن حنبل ، ١٤٠٦هـ) : " سمعت أبي يقول في العقل دية ، يعنى إذا ضرب فذهب عقله " (ج٣ ، ص ١٢٥١) .

وقال (ابن قدامة ، ١٣٨٩هـ) : " لا نعلم في هذا خلافاً ، وقد روي عــن عمــر وزيــد رضى الله عنهما وإليه ذهب من بلغنا قوله من الفقهــاء؛ لأنه أكبر المعاني قدراً ، وأعظم الحواس نفعاً ، فإن به يتميز عن البهيمة ، ويعرف حقائق المعلومات ويهتدي إلى مصالحة ، ويتقي ما يضره ويدخل به في التكليف وهو شرط في ثبوت الولايات ، وصحة التصرفات، وأداء العبادات ، فكان بإيجاب الدية أحق بقية الحواس "(ج٨ ، ص٤٦٥).

وإما بالنهي عن الكهانة والخرافة :ولقد شدد الإسلام في النهي عن تعــاطي مــا تنكره العقول ، وتنفر منه كالتطير والتشاؤم بصفر ونحوه ، واعــتقاد الــتأثير في العدوى والأنواء وغيرها ، وكذا حرم إتيان الكهان وغيرهــم من أدعياء علم الغيب وحرم تعليق التمائم وغيرها من الحروز ، فعــن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :(**لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا نوء ولا صفر**) (مسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ولاصفر ، ولا نوء، ولا غول ، ج٤ ، ص١٣٩٠ ، رقم الحديث ٢٢٢٠) .

وعــن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا عدوى ولا طــيرة ولا غول**) (مسلم ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ، ولا طيرة ولا هامــة ولاصــفر ، ولا نــوء ، ولا غول ، ج٤ ، ص١٣٩٠، رقم

الحديـــث ٢٢٢٢) . وعن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ قال : (**من أتـــى عـــرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**) (مسلم ، كـــتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ج٤ ، ص١٣٩٧ ، رقـــم الحديـــث ٢٢٣٠) . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعـــت رسول الله ﷺ يقول : (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)[1] (أبو داود ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ، ج٤ ، ص ٢١٢، ص ٢١٣رقم الحديث ٣٨٨٣) .

هـــذا مـــع أمر الشارع العبد أن يأخذ بالأسباب ، ويتوكل على خالق الأســـباب كما قال ﷺ : (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**) (مسلم ، كتاب القدر ، بـــاب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ، ج٤، ص ١٦٢٩، رقم الحديث ٢٦٦٤) .

ثانياً: وظيفة العقل في الإسلام :

لقد كرم الإسلام العقل ، وشرفه ، وأعلى من شأنه ولكن في إطار إســـلامي خاص به ، وفي حجم معقول ، لا يتعداه ، وفي مجال على قدره حتى لايضل ، وفي ذلك أيضاً تكريماً للعقل حتى لايتزلق في مهاوي الردى مـــزالق الضـــلال . فالعقل له طاقاته ومدركاته ولكنها محدودة بحدود ، وملـــتزمة بقيود فهو لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة

[1] أورده الحاكم في المستدرك ج٤ ، ص٤١٨ وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين .

وطاقه على الاستيعاب ، والإدراك ، لذا فإنه سيظل بعيداً عن تناول كثير من الحقائق .

ولذا أمر الإسلام العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك .

" فـالعقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكـن له ، ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم ، تابع له ، ليس مؤثراً فيه " (ابن تيمية ،١٣٩٩هـ، ج١،ص ٨٨).

> يقول(قطب ،١٤١٢هـ): " إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسـالة (الوحـي) ، ووظيفـته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول . ومهمـة الرسول أن يبلغ ويبيّن ، ويستنفذ الفطرة الإنسانية مما يرين عـليها مـن الـركام ، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموجـبات الإيمان في الأنفس والآفاق ، وأن يرسم له منهج التلقي الصـحيح ، ومنهج النظر الصحيح ، وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العلمية ، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة .
> وليـس دور العقـل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصـحة والـبطلان ، والقـبول أو الرفض بعد أن يتأكد من صحة صـدورها عـن الله ، وبعد أن يفهم المقصود بها : أي المدلـولات اللـغوية والاصطلاحية للنص "(ج٢، ص٨٠٧) .

لـذا مـنع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه كالذات الإلهية، والروح في ماهيتها ونحو ذلك . قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الإسراء الآية .

وقـال ﷺ : (**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**)[1] (أبو نعيم ، د.ت ، ج٦ ، ص٦٧) .

[1] خرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ ، ص٣٩٦ وقال والحديث بمجموع طرقه حسن .

وقال ﷺ : (**لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا خلق الله فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيء فليقل آمنت بالله. وفي رواية زاد ورسله**) (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج١ ، ص١١١ ، رقم الحديث ١٣٤) .

ومن خلال هذه الأدلة يظهر للباحث تكريم الله سبحانه وتعالى للعقل وتشريفه حيث صرفه عن التيه في مجال لا دليل للفكر فيه ؛ لأنه ليس من شؤون العقل السؤال عنها ولا من مداركه ، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه .

وعلى هذه القواعد والأسس مضى المسلمون في العصر الأول من الإسلام ، عرفوا ما للعقل وما عليه ، فحفظوا ، ودرسوا ، وعقلوا ما للعقل ، وما كان ليس له اجتنبوه بل اجتنبوا من قال به ، أو قرب منه . فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أتاه صَبيغ بن عِسْل مرسلاً من قبل عمرو بن العاص حيث إنه سار بين أجناد المسلمين مثيراً الشبهات بسؤاله عن متشابه القرآن . فعندما رآه عمر قال له : سَبيلُ مُحدَثه . ثم ضربه وأعاده إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين . قال أبو عثمان النهدي : فلو جاء ونحن مئة لتفرقنا عنه . (ابن بدران ، د. ت ، ج٦ ، ص ٣٨٥) .

ولا يعني هذا أن عصر صدر الإسلام كان خالياً كل الخلو من الآراء الشاذة ، بل وجد في وقته ﷺ شيء من ذلك . فالمنافقون قالوا يوم أحد عن أخوانهم : ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٤) . وقولهم : ﴿ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا

هَٰهُنَا ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٤) وقولهم :﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٦) . فهل هذا إلا تصريح بإنكار القدر ؟ وقالت طائفة من المشركين ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ (سورة النحل الآية ٣٥) . وقول طائفة ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ (سورة يس الآية ٤٧) . فهل هذا إلا تصريح بالجبر ؟ (الشهرستاني ، د .ت ، ج١ ، ص٣٩) . بل إن منهم من جادل في ذات الله ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الرعد . وكانت تلك الآراء الشاذة يُقضى عليها في مهدها بمجرد أن نزل الوحي وبيّن الحق من الضلال . فهذا الإمام مالك عندما جاءه رجل فقال له : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ سورة طه . كيف ؟ ! غضب الإمام مالك واحمرّ وجهه وقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا رجل سوء ، وأمر بإخراجه ، وإنما أنكر عليه الإمام مالك ؛ لأنه أراد أن يخوض بعقله في صفة من صفات الله لا يعلم حقيقتها إلا الله . أراد أن يسأل عن الكيفية التي استوى الله فيها على عرشه والله تعالى استوى على عرشه كما شاء ، وكيف شاء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الشورى . فما أخبرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله آمنا به ، وما سكت عنه في أمر الغيب وفيما يتعلق في ذات الله المقدسة في أسمائه ، وصفاته لم نشغل عقولنا و لم نبحث و لم نتكلف في معرفة ذلك ونسلم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ سورة النساء .(نصر ، ١٤١٣هـ، ص٢٨) . والعقل خلقه الله سبحانه وتعالى ليقوم بوظيفته التي خصه الخالق بها وفي الحدود التي حدها الشرع الحكيم . وإذا تعطّل عمل هذا العقل عن القيام بما أختصه الله تعالى به ؛كان الجمود العقلي الذي تنطلق منه الانحرافات العقدية والتي يتفجر بها العقل فيكون أثرها التدميري في التربية الإسلامية . والواجب وضع العقل في موضعه ، فلاجمود مع تحقير العقل وإهمال عمله ،ولا افتتان بالعقل إلى حد تأليهه .

ثالثاً: العلاقة بين العقل والوحي :

وبعد أن بيَّن الباحث وظيفة العقل يجدر به أن يحدد العلاقة بين الوحي والعقل أو الصلة بينهما وعلى هذا نفهم ما ورد عن تظاهر العقل والشرع وعن التكامل بينهما كقولهم : " العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، وهو ليس مستقل بذلك ، ولكنه إنما غريزة في النفس ، وقوة فيها ، بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن ، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس " (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ، ج٣ ،ص ٣٣٨ – ص٣٣٩) .

والعقل لا يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لا يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأس ، والشرع كالبناء ولن يغنى أس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان ... والعقل بنفسه قليل الغناء ، لا يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته ، والشرع يعرف كليات الشيء

وجـــزئياته ، ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيئاً ، وما الذي هو معْد له في شيء شيئاً .

وعـــلى الجملة : فالعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات ، والشرع تـــارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل ، وتارة بتبنيه العاقل وإظهار الدليل حتى يتنبه لحقائق المعرفة . وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقد ، وتارة بالتعلـــيم ، وذلـــك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد . فالشرع نظام الاعـــتقادات الصـــحيحة والأفعـــال المستقيمة والدالُّ على مصالح الدنيا والآخـــرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل (الأصفهاني ، د.ت ، ص١٤٠ — ص١٤٢) .

ويقول (محمود ، ١٤١٢هـــ) : " إن الإسلام يربي العقل عن طريق الشـــرع ، ولا يمكـــن أن يتضمن الشرع شيئاً يناقض العقل ، وذلك أن الشرع دائماً في صالح الإنسان في دينه ودنياه ، ولا يتصور مع هذا تناقض بين الشرع والعقل " ص ٢٦٠ . ووفق المنهج الذي سلف في بيان حدود وظيفـــة العقل ، وكذلك هذه الأقوال التي بين أيدينا ظهر للباحث أنه لا يمكـــن أن يقـــع تعارض بين أحكام العقل الصريح ، والنصوص الشرعية الصـــحيحة . ومـــا قد يظهر من خلاف ذلك ، فينبغي عند ظهوره ألا نعـــارض نصوص الشرع بما قد نراه بعقولنا وآرائنا وأقيستنا ؛ فإن العقول تتفاوت ،وليس هناك العقل المطلق الكامل الذي نحاكم إليه هذه النصوص. كمـــا أن العقـــل نفسه محدود بحدود وظيفته ،ولا يستطيع أن يحيط بغير المحدود الذي يحيط به الشرع أو الوحي (ضميرية ،١٤١٧هـــ،ص١٩٥) .

ويقـــول (القرني ، ١٤١٩هـــ) : " وجماع منهج أهل السنة أهم لا يـــرون أمـــراً يجـــب اعتقاده والإيمان به لم ترد به النصوص ،كما أهم لا يردون النصوص الثابتة بدعوى التعارض بين العقل والنقل ، بل لا يسلمون

بإمكان التعارض أصلاً " ص ١٧٦.

يقـــول الإمام الزهري : " من الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم " (العسقلاني ، ج١٣، ص٥١٣) .

ومن خلال هذه الأقوال يظهر للباحث أن بينهما تكامل وانسجام تام لكـــن لا يعني هذا أنهما ندان متعادلان في يقينية ما يقدمانه ، فالوحي هو الأصل ؛ لأنه من علم الله عز وجل المطلق الصدق . والعقل تابع للأول ؛ لأنه مرتبط بالإنسان والإنسان طاقته محدودة فهو إذن محدود .

يقـــول (قطـــب ، ١٤١٣هـــ) : " ... ولكن يبقى أن الوحي والعقل ليسا ندين ، فأحدهما أكبر من الآخر وأشمل ، وأحدهما جاء ليكون هو الأصل الذي يرجع إليه الآخر ، والميزان الذي يختبر الآخر عنده مقرراته ومفهوماتـــه ، وتصوراته ، ويصحح به اختلالاته وانحرافاته فبينهما — ولا شـــك — توافق وانسجام ولكن على هذا الأساس . لا على أساس أنهما ندان متعادلان ، وكفو أحدهما للآخر ! " ص ١٩ .

وبعـــد أن اتضحت مكانة العقل في الإسلام يمكن للباحث توضيح مفهوم (**الانفتاح العقلي**) غير أن هذا المصطلح يتكون من كلمتين ، هما : (الانفتاح) وَ (العقل) ، وياء النسبة التي ربطت أولى الكلمتين بالأخرى .

وســـيعرّف الـــباحث - أولاً - كلاً من الكلمتين مفردة ، ثم يعرفه بصفته مركباً وسيكون ذلك على النحو التالي :

أولاً :مفهوم الانفتاح :

أ – في اللغة :

عند تحديد مفهوم كلمة الانفتاح لابد من إرجاع الكلمة إلى حروفها

الأصـليّة (ف. ت .ح) . والفتح : نقيض الإغلاق ؛ فتحه، يفتحه ، فتحاً ، وافتـــتحه ، وفتـــحه فانفتح . والمِفتح ، والمفتاح : مفتاح الباب وكـــل مـــا فتح به الشيء ، قال الجوهري :وكل مستغلق .وفي الحديث (أوتيـــت **مفاتيح الكلم**)، وفي رواية : (**مفاتـــح**) ؛ هما جمع مفتاح ، ومِفْـــتح وهمـــا في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصـــول إليها ، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلام ، وهو ما يسّر الله له من الـــبلاغة والفصـــاحة ، والوصـــول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ، ومحاسن العبارات ، والألفاظ التي أغلقت على غيره ، وتعذرت عليه، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه . والمَفْتَح والمِفْتَح: قـــناة المـــاء .وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتّح . وتفتح الأكمـــة عـــن النور : تشققها والفتح : النصر . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ .قال أبو إسحاق : معناه إن تستنصـــروا فقد جاءكم النصر .. (ابن منظور، د.ت ، ج٢، ص٥٣٦، ص٥٣٧) .

وقـــال (الفيومي ، ١٩٨٧م) :فتحت الباب فتحاً خلاف أغلقته ، وفتحته فانفتح فرجته فـــانفرج ، وباب مفتوح خلاف المردود والمقفل . ص ١٧٥.

وقـــال (الفـــيروز آبادي ،١٤١٦هـــ): فتح ، كمنع : ضد أغلق كفتّح وافتتح والفتح :الماء الجاري ، والنصر . ص ٢٩٧ .

وقال (ابن فارس ، ١٤١١هـــ) :(فتح) الفاء والتاء والحاء أصلٌ صـــحيح يدل على خلاف الإغلاق ، يقال : فتحت الباب وغيره فتحاً . (ج٤ ، ص ٤٦٩) .

وقــال (مصطفى ، ١٣٩٢هـ) :فتح بين الخصمين فتحاً : قضى وفي التنزيل العزيز :﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ وانفتح الشيء عن الشيء انكشف عنه ، والفتح عند أهل العربية نوع من الحركة يفتح له الفم .(ج٢ ، ص٦٧١) .

وعلى هذا فإن الانفتاح في اللغة يأخذ عدة معان ، ومنها :

١- ضد الانغلاق .

٢- النصر .

٣- الحكم بين الخصمين .

٤- الكشف عن الشيء .

٥- نوع من الحركة يفتح لها الفم .

والمقصود بالانفتاح في هذه الدراسة المعنى الأول والرابع .

ب – في الاصطلاح :

عرفه (ابن مانع ، ١٤١٢هـ) بأنه : عدم اتخاذ الفرد موقفاً سلبياً مما هو جديـد عـليه، سواء مادياً ، أو معنوياً لمجرد أنه جديد، بحيث يتقبل هذا الجديد ويتفاعل معه حتى يثبت له بطرق معقولة عدم فائدة التعامل مع هذا الجديد . ص ٧٨ .

و أشــار إليه (أبو سليمان ، ١٤١٤ هـ) في معرض حديثه عن شموليـة الـرؤية الحضـارية للمسلمين بقوله : الاستفادة العلمية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم ، والعقائد ، والمبادئ ، والهوية . ص ١٦٩.

ثانياً: مفهوم الانغلاق :

أ- في اللغة :

عــــنـــد تـــحديد مـــفهوم الانغلاق لا بد من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصلية (غ . ل .ق) .

قال (ابن فارس ، ١٤١١): الغين ، واللام ، والقاف أصل واحد صحيح يدل على نشوب شيء في شيء . (ج ٤، ص ٣٩٠) .

وقـــال (الفيومـــي ، ١٩٨٧م) : غلق الرجل غلقاً مثل ضجر ، وغضب ... وأنغلق ضد انفتح . ص ١٧٢.

وقال (مصطفى وآخرون ، ١٣٩٢هـــ) : أغلق عليه الأمر : لم ينفتح وأنغلق خلاف أنفتح . (ج٢ ، ص٦٥٩) .

وعلى هذا الانغلاق في اللغة يأخذ عدة معان ، ومنها :

١- ضد الانفتاح .

٢- نشوب شيء في شيء .

ب - في الاصطلاح :

عـــرفه (ابن مانع ، ١٤١٢هـــ) بأنه : عدم الالتفاف إلى ما حول الفرد من مستجدات مادّية، أو معنويّة بنظرة إيجابية وموضوعية فاحصة، مما يجعـــل عالم الفرد وخبرته تتسم بالثبات ، والتقادم فتزيد من انغلاقه على تلك الخبرة ، وعدم تجاوبه مع ما حوله من جديد . ص ٧٨ .

ويســـاهم الانغلاق مساهمة فعالة في تشكيل عقلية (البعد الواحد) والـــتي تعني : " التأكيد على عنصر واحد من ظاهره ذات عناصر متعددة

إدراكـــاً ، وتعـــاملاً ، وإبرازاً " (بكار ، ١٤١٣هـــ ، ص٢١٢) ، فقد يكـــون الانغلاق بضرب ستار حديدي يحول دون تمازج ثقافي بين دولة وأخرى ، وقد يكون انغلاقاً على مستوى التخصص العلمي ، وقد يكون عبارة عن شك المرء في كل ما حوله .

إن مـــن المسلّم به إن الجهل بما عند الآخرين سوف يحرمنا قطعاً من جـــزء مـــن وعينا لذاتنا الذي يتوقف على الوعي بما عند الآخرين ، ولن نـــدرك حجم ذلك إلا من خلال الانفتاح على خبرات الآخرين انفتاحاً يمكننا من رؤية نافذة إلى جوهر ما هم عليه، والانغلاق يحرمنا من ذلك ، وليس الانفتاح ضرورياً للوعي بالذات فحسب ، ولكنه ضروريٌّ أيضاً من أجـــل حل الأزمات الداخلية ،ذلك لأن كل ثقافة بل كل تخصص علمي يواجـــه أزمـــات داخلية تفقده كل طاقته الخاصة ، وحينئذ فلا مخرج إلا بإضـــافة عناصـــر وإدخـــال إمكانات أوسع للتغير نحو الأفضل . نعم إن الانغـــلاق قد يكون ضرورياً حين تتعرض ثقافة الأمة إلى تدفقٍ حضاري يخـــالف مكوناتهـــا الأساســـية ريثما تتمكن الأمة من استيعاب الوافدات الجديدة، وهضمها، وتمثلها، وتحديد الموقف منها ، لكن إذا دام الانغلاق فإنـــه سيعني وجوداً محروماً من النمو الطبيعي المتفاعل القائم على انتخاب أفضـــل ما عند الآخرين مما ينسجم مع أطرنا الثقافية . عموماً لم نشاهد انغلاقاً شديداً إلا رأينا بعده انفتاحاً غير متوازن لا يقل ضرره عن الانغلاق والنتيجة هي فقد التوازن في الحالتين . وأخطر ما في الانغلاق هو تشكيل العقل الذي يحمل الأفكار الخاطئة عن الواقع المعاش وعن الأفكار العالمية ، مما يجعله ينهار عند الاحتكاكات الجادة مع من يعيشون خارج دائرته وما ذلك إلا لأن نظرتهم الأحادية تنعكس على طرق تفكيرهم مما يحرمهم من التنوع والثراء ورؤية الكون على ما هو عليه . إن الانطلاق يولد الخبرة ،

والخبرة تولد الثقة بالنفس ، والمنغلقون على ما لديهم لا يستطيعون إلا أن يكونوا خائفين،ولا يستطيعون إلا أن يكونوا غرباء ،والخوف والغربة عامل من عوامل الاضمحلال . (بكار، ١٤١٣هـ ،ص٢٢٦ ، ص٢٢٨) .

ثالثاً : مفهوم العقل :

أ – في اللغة :

عند تحديد مفهوم كلمة العقل لابد من إرجاع الكلمة إلى حروفها
الأصليّة (ع.ق.ل) : العقل : هو مصدر (عَقِلَ) ، يعقل عقلاً ، فهو معقول ، وعاقل . وأصل معنى العقل المنع يقال : عقل الدواء بطنه أي أمسكه ، وعقل البعير :إذا ثنى وظيفه[1] إلى ذراعه وشدهما جميعاً بحبل ؛ لمنعه من الهرب . (ابن منظور ، د.ت ، ج١١، ص٤٥٨) .

وقال (ابن فارس ، ١٤١١هـ) : العقل : العين ، والقاف ، واللام أصل واحد مطرد يدل عُظْمُه على حبسه في الشيء ،أو ما يقارب الحبسة. من ذلك (العقل) وهو الحابس عن ذميم القول والفعل (ج٤، ص ٦٩) .

وقال (الفيروزآبادي، ١٤١٦هـ): العقل : العلم ، أو بصفات الأشياء من حسنها ، وقبحها ، وكمالها ، ونقصانها ، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ، أو مطلق لأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن ، ولمعانٍ مجتمعة في الذهن ص ١٣٣٦ .

---

[1] الوظيف من الحيوان : مقدّم الساق

وقال (الجرجاني ،١٤١٨هـ) : العقل : نور في القلب يعرف الحق والباطل ، وقال : هو ما يعقل به حقائق الأشياء ، وهو مأخوذ من عقال البعير ، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل . ص ١٩٧ .

وقال(الزبيدي، ١٣٠٦هـ): العقل أصل معناه المنع .(ج ٨ ،ص٢٥) وما تقدم من اطلاقات فهي تدور حول المنع ، ويستطيع الباحث أن يخرج من المفهوم أو المعنى اللغوي لكلمة(العقل) بملاحظات ونتائج أهمها ما يلي:

١- أنه ملكة معنوية، وليست شيئاً حسياً ، وبه يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات .

٢- أنه يمنع صاحبه عما لا يليق ويزجره .

٣- أنه يكشف لصاحبه عما ينبغي أن يفعله وعندئذ كأنه يتحصن به

٤- أن العقول متفاوتة بحسب فطرة الله التي فطر الناس عليها ، باتفاق العقلاء بل قد يحصل التفاوت في الشخص الواحد كما قال (الشاطبي، د.ت) : " فالإنسان وإن زعم أنه أدرك الأمر ، وقتله علماً لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل ، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك ، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عياناً ، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم ... " (ج ٢، ص٣٢٢) . وقال(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ):"كان الصواب عند جماهير أهل السنة - وهو ظاهر مذهب أحمد وهو أصح الروايتين عنه، وقول أكثر الصحابة - أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان" (ج١٠،ص٧٢١-ص٧٢٢) .

ب - في الاصطلاح :

العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان وفيما يلي تفصيل هذه المعاني :

الأول : الغريـــزة المدركة التي في الإنسان ، فبها يعلم ويعقل ، وهي كقـــوة البصر في العين ، والذوق في اللسان ، فهي شرط في المعقولات، والمعلومات ، وهي مناط التكليف ، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان، وقد جعل (المحاسبي ، ١٣٩٨هـــ) : هذا المعنى هو المعنى الحقيقي للعقل وإنما يطلق العقل على غيره من المعاني مجازاً . ص٢٠١ .

الثاني : العلوم الضروريّة ؛ وهي التي تشمل جميع العقلاء ، كالعلم بالممكـــنات والواجبات ، والممتنعات ،والفلاسفة والمتكلمون عرّفوا العقل بهـــا ومـــنهم من قسمها إلى قسمين : قسم يقع في الناس ابتداء ، والآخر يحصل بالاكتساب وخصّوا العقل بالقسم الأول .

الـــثالث : العـــلوم النظريّة ، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال ، وتفـــاوت الناس ،وتفاضلهم فيها أمر جليّ وواقع ، ويطلق بعض العلماء عـــلى هذا المعنى من معاني العقل : العلم ،كما ذكر ذلك (الأصبهاني ، ١٤١١هـــ) . ثم عقد مقارنة بينه وبين العقل بالإطلاق الأول مفضلاً العلم عليه ، أراد بذلك أن يقرر أن الدين يدرك بالعـــلم لا بالعـــقل . (ج٢ ، ص٥٠٣) . وهـــذا المعنى من معاني العقل هو الذي يسمّى فاقده والقاصر فيه غبياً ،وجاهلاً وأحمق ،ولايسقط التكليف عنه .(العريفي ،١٤١٩هـــ، ص٢٩) . والعقل بهذا المعنى أخص من العلم والمعرفة ؛ لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب ؛ ولأن الإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض ، فأولها الشعور ، ثم الفهم ، ثم المعرفة ، ثم العلم ، ثم العقل . (ابن القيم ، ١٤١٨هـــ ، ج١ ، ص١٨٥) .

الرابع : الأعمال التي تكون بموجب العلم ، ولهذا قال الأصمعيّ :
العقل : الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن . وقيل لـــرجل وصف نصرانيّاً بالعقل : مه إنما العاقل من وحّد الله وعمل بطاعته

وقال أصحاب النار : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الملك ، (حسن ، ١٤١٨هـ ، ج١، ص١٥٨ - ص١٥٩) .

ويرى الباحث أن هذا التعريف من أفضل التعريفات الاصطلاحية للعقل وفي كل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأنه جوهر قائم بنفسه خلافاً للفلاسفة ومن شايعهم من المتكلمين " فإن العقل عرض من الأعراض قائم بغيره ، وهو غريزة ، أو علم ، عمل بالعلم ؛ فليس العقل جوهراً قائماً بنفسه فيمتنع أن يكون أو المخلوقات عرض قائماً بغيره فإن العرض لا يقوم إلا بمحل فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان " (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ ، ج١٨، ص ٣٣٨) .

ويقول (ابن تيمية، ١٣٩٦هـ): في معرض رده على القائلين بأن العقل جوهر قائم بنفسه :" العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة ، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الحديد . ونحو ذلك ، مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً ، وإذا كان كذلك ، فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل الصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا ."(ص١٩٦،ص٢٧٦) .

ج – أقسام العقل :

للعقل قسمان : غريزي ، واكتسابي . فالغريزي : قوة متهيئة لقبول العلم . والاكتسابي : العلم الذي يستفيده بتلك القوة ، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

رأيت العقل عقليـــن فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسمـــوع إذا لم يك مطبـــوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنـــوع

(الأصفهاني ، ١٤١٨هــ ، ص ٥٧٧) .

ويقول (ابن القيم ، ١٤١٨هــ) : " العقل عقلان : عقل غريزي طــبعي ، هو أبو العلم ومربيه ومثمره ، وعقل كسبي مستفاد ، وهو ولد العـــلم وثمرته ونتيجته ، فإذا اجتمعا في العبد استقام أمره ، وأقبلت عليه جيـــوش السعادة من كل جانب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإذا فقدهما أحد فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه ، وإذا فُقد أحدهما أو انتقص انتقص صاحبه بقدر ذلك " (ج١ ، ص١٧٠) .

وقسم السعدي العقل إلى قسمين :

١- عقل غريزي: وهو ما وضعه الله في الإنسان من قوة الذهن في أمور الدين والدنيا .

٢- عقـــل مكتســـب: إذا انضمّ إلى العقل الغريزي ازداد صاحبه حزماًوبصيرة . فكما أن العقل الغريزي ينمو بنموِّ الإنسان حتى يبلغ أشده فكذلك العقل المكتسب له مادتان للنموِّ :

المـــادة الأولى : مادة الاجتماع بالعقلاء ، والاستفادة من عقولهم وتجارهم تارة بالاقتداء ، وتارة بمشاورتهم ومباحثتهم . فكم ترقى الرجل بهذه الحال إلى مراقي الفلاح . ولهذا كان اعتزال الناس يفوت صاحبه خيراً كثيراً ونفعاً جليلاً مع ما يحدثه الاعتزال من الخيالات وسوء الظن بالناس والإعجـــاب بالـــنفس الذي يعبر عن نقص الرجل ، وربما ضر البدن فإن مخالطـــة الـــناس تفـــتح أبواباً من المصالح تقوي القلب ، وتفتح الذهن ، وتكســـب صاحبها الخيرية قال ﷺ: " **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر**

على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهــم"[1] (ابن ماجة ، أبواب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، ج٢، ص٣٨٨ ، رقم الحديث ٤٠٨١) . وفي ضعف القلب، ضرر على العقل ، وضــرر عــلى الدين ، وضرر على الأخلاق،وضرر على الصحة وينبغي للإنســان أن يعامل الناس بحسب أحوالهم كما كان النبي ﷺ يحسّن خلقه مع الصغير والكبير قال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ ســورة الأعــراف . أي خذ ما صفى لك من أخــلاق الخلق ، ودع عنك ما تعسر منها .. فيجالس أبناء الدنيا بالأدب والمــروءة، والأكابر بالتوقير، والإخوان والأصحاب بالانبساط ، والفقراء بالرحمة والتواضع ، وأهل العلم والدين بما يليق بفضلهم .. فصاحب هذا الخلق الجليل تراه مبتهج النفس في حياة طيبة ..

المــادة الثانية : للعقل المكتسب فهي : الاشتغال بالعلوم النافعة : فيستفيد بكل قضية رأياً جديداً ، وعقلاً سديداً ، وما يزال المشتغل بالعلم يترقى في العلم والعقل والأدب .

والعــلم يقوم مقام الرياسات والأموال فمن أدرك العلم فقد أدرك كل شيء ، ومن فاته العلم فقد فاته كل شيء وكل هذا في العلوم النافعة .

أمــا كــتب الخرافات والمجون فإنها تحلل الأخلاق وتفسد الأفكار والقــلوب بحثها على الاقتداء بأهل الشر ، وهي تعمل في الإيمان والقلوب عمل النار في الهشيم . (السعدي ، ١٤١٩هـــ ، ص٣٣ - ص٣٤) .

وأشار (ضميرية ، ١٤١٦هـــ) إلى أن العقل يطلق على أمرين :

(١) خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغيروزيادته ، ج٢ ، ص١٠١٢٩ ، رقم ٦٦٥١ . وفي السلسلة الصحيحة برقم ٩٣٩ .

١- القوة الفطرية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان وخلقه عليها متهيئاً بسببها لقبول العلم وهي ما تسمى بالعقل الغريزي .

وهـــذا العقل هو محل التكليف ومناط الأمر والنهي ، فهو حجه الله تعالى على جميع الخلق ، وبه يكون التمييز والتدبير في أمر الدين والدنيا .

٢- العـــلم الذي يستفيده الإنسان لتلك القوة الفطرية السابقة بعد تجـــارب يمرُّ بها ، وعبر يستفيدها من ملاقاة الآخرين ، فإن ملاقاهم تلقيح للعقول وهذا ما يسمى بالعقل المكتسب . ص٢٨٠.

رابعاً : مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي :

غالـــباً ما يذكر هذا المفهوم تحت الاتجاهات العلمية كصفة للباحث المسلم . فهذا (عبيدات ، ١٩٩٦م) أشار إلى الانفتاح العقلي بقوله : أن " يحـــرر الباحث الذهن تماماً من جميع أفكاره المسبقة ويعطي لنفسه الحرّية في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق حتى لو كانـــت مخالفة لمعتقداته " ص ٣٧ .

كمـــا أشار إلى ذلك (الشريف ، ١٤١١هــ) بقوله : البعد عن الـــتزمت والجمـــود والتعصب وتحرير الذهن من الأفكار المسبقة وإعطاء النفس الحرية التامة في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق . ص ٧٥ .

كما أشار إلى ذلك (عريفج ، ١٤١٩هــ) بأنه : " الاطلاع باســـتمرار على جهود غيره من العلماء الذين يعملون في حقل اختصاصه عرباً كانوا أم أجانب " ص ٢٢.

أمـــا (عطيفة ، ١٤١٥ هــ) فقد أشار إلى التفتح الذهني بقوله : "رفض التزمت والجمود العقلي" ص ١١٥ .

وهناك من أشار إلى التفتح العقلي ومنهم (جابر ، ١٩٩٠م) بقوله :

" تحرر العقل والتفكير من التحيز ، والجمود ، والإصغاء إلى أراء الآخرين وتفهـــم هـــذه الآراء واحترامها حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية أو خالفتها تماماً " ص٣٤ . و(عسكر وآخرون ، ١٤١٨هـــ) بأنه : تحرر التفكير من التحيز والجمود وتقبل آراء الآخرين حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية . ص ٤٣.

وبعد استعراض الباحث لهذه التعاريف ظهر له **بأن الانفتاح العقلي من منظور إسلامي** : رفض التعصب والجمود العقلي مع القدرة على التقبل، والتعامل، والتفاعل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيد سواء مادياً أو معنوياً شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية .

والتربية الإسلامية تربية متفتحة مستعدة لإثراء غيرها وإفادته وتقويمه والـــتأثير الإيجابي فيه ، وقابلة للاستفادة من كل صالح ومفيد للإنسان من المعارف والعلوم أياً كان مصدرها أو مكانها ، ما دامت في حدود الشرع الإســـلامي ؛ لأنهـــا ليســـت مبنية على التعصب، والجمود، والانغلاق، والـــتقوقع ، فهي تربية متصفة بالحيوية ، والشمولية، والاستمرارية لتلبي حاجـــات الإنسان المتطورة والمستجدة وفق تطور حياة البشرية ، وتجدد ظروفها ، ومطالبها ، ومصالحها ، ولا عجب في ذلك فهي : مستمدة من كتاب الله تعالى الصالح لهداية البشرية قاطبة على تعاقب أجيالها واختلاف أمكنـــتها وأزمنـــتها .ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشارحة لأحكـــام القرآن والمطبقة لها في واقع الحياة الإنسانية.قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة طه . وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الإسراء . وقال ﷺ : (**الكلمة الحكمة**

ضـــالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها)[1] (الترمذي ،كتاب العلم ، بـــاب مـــا جاء في فضل الفقه على العبادة ،ج٥ ، ص٤٩ ، رقم الحديث ٢٦٨٧) . وخاصية التفتح في التربية الإسلامية لا تعنى أنها تربية ضعيفة غير راسخة القدمين ، عالة على غيرها ، بل هي تربية مستقلة ، ذات شخصية متميزة تستمد قوتها من القرآن والسنة ، ولكنها كتربية (إنسانية) موجهة إلى البشـــر كافة ، متفتحة على أفكارهم وتجاربهم وخبراتهم وعلومهم ، وكمـــا هـــي قـــادرة على إثرائها، وتهذيبها، وتقويمها ، فهي قادرة على اســـتقلاليتها وتميزها – على أن تأخذ منها كل ما يفيد الإنسان ويصلح شؤونه ويحسّن مستوى حياته ، ويحقق له أسباب القوة والتقدم شرط عدم تعارض ذلك مع مصادرها الربانية القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

[1] قال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

الفصل الثاني

الانفتاح العقلي في القرآن الكريم والسنة النبوية وأهميته

أولاً : العقل والفكر في القرآن والسنة .

ثانياً : معالم الانفتاح العقلي في القرآن والسنة .

ثالثاً : أهمية الانفتاح العقلي في القرآن والسنة .

أولاً :العقل والفكر في القران الكريم والسنة النبوية .

لقـــد زود الله الإنســـان بملكة عظيمة يستطيع بها أن يدرك صور المعارف ويفهم الكثير من حقائق الأشياء الماديّة ، وحقائق المعاني المجردة ، جعلته مسؤولاً عن التفكر في الأدلة الموصلة إلى الحقائق ، التي تكشف له طـــريقي الخير والشر في الدنيا والآخرة ، ومسؤولاً عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها ، وشهواتها ، ونزغاتها التي تتجه به إلى ما فيه شره ، أو خيره ، أو هلاكه في عاجل أمره ، أو آجله .ولذلك اهتم القرآن الكريم والســنّة النبويّة المطهرة بشأن العقل ، والفكر اهتماماً عظيماً ، وتواردت الأدلـــة على تمجيدهما ، والحث على إعمال العقل ، وإعلاء شأن الفكر ، وذمّت الذين يعطلون عقولهم ، وفكرهم الذين لا يأخذون بوسائل الفهم المتيـــنة ، وضوابطه الرصينة ، الذين يكتفون بالتقليد الأعمى ، وما أشبهه من حجج واهيات ، ويستمسكون بالباطل ويصرون عليه ، ولو قدمت لهم الحجـــج القاطعات ، والبراهين الساطعات ، على أن الحق في غير ما هم عـــليه وأن مـــا هم عليه من أمر باطل يجب رفضه ومقاومته لا الأخذ به والانتصـــار لـــه . وعليه يمكن للباحث توضيح ذلك الاهتمام من القرآن والسنّة النبويّة المطهرة من خلال استعراض الأدلة التالية :

أ- القرآن الكريم :

ففـــي مقام الحث على إعمال العقل ، وإعلاء شأن الفكر نجد أن القرآن يستعرض ذلك بصيغ متعددة وأساليب متنوعة ، ويمكن تصنيـــف ذلك على النحو التالي :

١- أسلوب التعجب الشديد من تعطيل العقل .

ومـــن صـــيغه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ وقد ذكرت هذه الصـــيغة في القـــرآن الكريم ثلاث عشرة مرة .(عبد الباقي ١٤٠٨هـــ ، ص٥٩٥) .

قال تعالى :﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة البقرة .

فهـــذا (ابن كثير،١٤١١هـــ) يقول في تفسيره لهذه الآية : " كيف يـــليق بكـــم يا معشر أهل الكتاب ، وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخـــير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه . أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عميانكم " (ج١، ص٨٢) .

وهـــذا (الألوســـي ، ١٤١٥هـــــ) :يفسر قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾مـــن هذه الآية ، يقول : " أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون سوء خاتمته ووخامة عاقبته ، أو أفلا تعقلون قبيح صنعكم شرعاً لمخالفة ما تتلونه في التوراة " (ج١ ، ص٢٤٨) .

ويقـــول (الزمخشـــري ، د.ت) : في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾" توبيـــخ عظـــيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصـــدكم اســـتقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه " (ج١، ص٦٦) .

ويقول (القرطبي ، ١٤١٣هـ) : في تفسيره لقوله تعالى :﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾" أي أفلا تمنعون أنفسكم من مواقعة هذه الحال المردية لكم " (ج١،ص٢٥١) .

ويقول (القرضاوي ، ١٤١٦هـ) : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾" صيغة استفهام إنكاري دالة على التحريض والإلهاب " ص١٣ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة آل عمران .

يقول (القنوجي،١٤١٠هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ " أي تتفكرون في دحوض حجتكم وبطلان قولكم حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ". (ج ٢ ، ص ٢٦٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ من هذه الآية ، " أي أفلا يكون لكم عقول ، بها تدركون ، أي الدارين أحسن بالإيثار . " (ج٢ ، ص٢٠) .

ويقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ): في تفسيره لقوه تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ " ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ... أي أتغفلون أو لا تتفكرون فلا تعقلون . " (ج٤ ، ص١٢٧) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) : في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ " أي أتغفلون فلا تعقلون أو أولا تتفكرون فتعقلون. "(ج٢ ،ص١٤١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة يوسف . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ سورة الأعراف .

وبعد استعراض الباحث لأقوال المفسرين حول قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ظهر له أن فيها إشارة صريحة واضحة إلى أن العاقل الواعي المتفتح هو الذي يعمل عقله ، ولا يتناقض معه ، فيعمل بما يعلم ، ولا يسوي بين الخبيث والضار والطيب والنافع .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم ، (عبد الباقي ، ١٤٠٨هـ ، ص٦٦٧) .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) : " قل لهم في بيان الفرق ، بين من قبل دعوتي ، وانقاد لما أوحي إليّ وبين من لم يكن كذلك ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فتترلون الأشياء منازلها وتختارون من هو أولى بالاختيار والإيثار "(ج٢ ، ص٢٧) .

وظهـــر للباحث أن التفكير يكون فيما يمكن للعقل التفكير فيه من عـــالم الشـــهادة مما يجعله طريقاً للإيمان بالله ، وهو على العموم بحث عن المعـــاني العقلية التي تدل عليها الأشياء ويقتضيها العقل ، وهذا يدل على أهمية العقل والفكر في القرآن الكريم .

وقو له تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ ، وقد وردت مرتين في القران الكريم (عبد الباقي ، ١٤٠٨هـــ ،ص٣٢٠) وقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة النساء . وقال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة محمد .

يقول (القنوجي ، ١٤١٠هـــ): " يقال تدبرت الشيء تفكرت في عاقبته وتأمّلته ثم استعمل في كل تأمل ، والتدبر أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما يصير إليه عاقبته . "(ج٣، ص ١٨٦) ، ودلّت هاتان الآيتان عـــلى وجوب التدبر للقرآن الكريم ليعرف معناه ، والمعنى أنهم لو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف صحيح المعاني قوي المباني ، بالغاً في الـــبلاغة إلى أعـــلى درجاتها ، قال ابن عباس : أفلا يتفكرون فيرون تصـــديق بعضـــه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي ، وأن أحداً من الخلق لا يقدر عليه . (القنوجي ، ١٤١٠هـــ ،ج٣ ، ص١٨٦).

ويقول (الألوسي ، ١٤١٥هـــ) : " وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواءً كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزاءه ، أو سوابقه وأسبابه ، أو لواحقه وأعقابه . "(ج٣ ، ص٨٩) .

ويقول (القاسمي ، ١٤١٥هـ) : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَان ﴾" أي أفلايتدبرهؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تتريله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون . " (ج٦ ، ص٢٥٩) .

ويقول(القرطبي، ١٤١٣هـ) : " تدبرت الشيء فكرت في عاقبته... والتدبير أن يدبّر الإنسان نفسه كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته ، وعليه تدل هاتان الآيتان على وجوب التدبر في القرآن الكريم ليعرف معناه " . (ج٣ ،ص١٨٧) .

وبعد استعراض أقوال المفسرين لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ ظهر للباحث : أن التدبر يدل على تفكير عميق مع ما يتبعه من تدبر العواقب ، وهو منتج للعلم الذي يدعو للالتزام . والتدبر من أهم أعمال العقل وأشرفها وأجلها ، وتدبر القرآن عبادة جليلة القدر ، فارقة بين المؤمنين والمنافقين ، فالمؤمن يقرأ القرآن بلسانه متفكراً في معانيه ، ودلالاته وحججه ، ويثمر ذلك عنده تصحيح النيّة والعمل وزيادة الإيمان ، وأما المنافق فلا يجاوز القرآن ترقوته ، يقرؤه قراءة ألفاظ فلا يصح له عمل ولا يوجد به إيمان لأن عقله غائب عن قراءته .

٢ – أسلوب التلطف والترغيب في استعمال العقل والفكر في مختلف المجالات .

ومن صيغه الدالة على إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة يوسف .

يقول (قطب ، ١٤١٢هـ) : حول قوله تعالى : ﴿ لَّعَلَّكُمْ

﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ "وتدركون أن الذي يسمع من الكلمات العاديةهذا الكتاب المعجز لايمكن أن يكون بشراً ،فلابد عقلاً أن يكون القرآن وحياً . والعقل هنا مدعو لتدبر هذه الظاهرة ودلالتها القاهرة "(ج٤ ، ص١٩٧٠) .

ويقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) : في قوله تعالى : ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ " أي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أنه خارج عن طوق البشر مشتمل على ما يشهد أنه مترل من عند خلاّق القوى والقدر " (ج٦ ، ص٣٦٧) .

ويقول (ابن الجوزي ، ١٤٠٧هـ) : عند قوله تعالى :﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ "قال ابن عباس : لكي تفهموا " (ج٤ ، ص ١٧٨) .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الزخرف .

يقول (القنوجي ،١٤١٠هـ): عند قوله تعالى:﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ " أي لعلكم تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون . " (ج١٢ ، ص٣٢٨) .

وبعد استعراض أقوال المفسرين لقوله تعالى :﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تبيّن للباحث ما يلي :

أ- أنّ العقل مدعو لتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه .

ب- أنّ العقل إذا انطلق من هدي القرآن الكريم فإن تفكيره يكون صحيحاً ومنضبطاً .

ج- أن للعقل حدوداً ، فهناك في القرآن ما يدركه العقل ، وهناك ما لا يدركه .

ففـــي الأول دليل على عظمة الله ووحدانيته .واثبات ذلك بالطرق الـــتي يتوصـــل العقل إلى فهمها وإدراكها فيصل بذلك إلى حقيقة كنهها وإثـــبات مـــا يثـــبت بها . أما ما لا يدركه العقل بالحدود التي مكنته من الاســـتنتاج في إطارها فهو مثبت أن العقول لابد أن تصل إلى درجة تعلن فيها التسليم ، وتوقن أنه خارج القوى العقلية وأنه يسمو عنها لأنه تتريل من عند خالقها تعالى . فالعقل أفادنا فيما استطاع فهمه وتوصل لمعرفته ، وما لم يتوصل لمعرفته سلم واستفاد قصوره عند القدرة الحكمة الإلهية .

ومـــن الصـــيغ أيضاً قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الحشر .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـــ) : "يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنـــه يضـــرب للناس الأمثال ، ويوضح لعباده الحلال والحرام ، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم ويبين لـــه طـــرق الخير والشر ... فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه . " (ج٥ ، ص٢١٥) . ويقول (قطب ، ١٤١٢هـــ) : عند قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " وهي خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير . " (ج٦ ، ص٣٥٣٢) .

ويقــول سبحانه وتعالى : ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾سورة النحل .

يقول (القاسمي ، ١٤١٥هـ) : في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾" أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين أويتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين."(ج٤،ص٥٢٢).

ويقــول (السعدي ، ١٤١٤هـ) : عند قوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه ، بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه . " (ج٣ ، ص٣٧) .

ويقــول(قطــب ، ١٤١٢هـــ) :عند قوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " في آيات الله وآيات القرآن فإنهما يدعوان دائماً إلى التفكر والتدبر وإلى يقظة الفكر والشعور . "(ج٤ ، ص٢١٧٣) . ومن الصيغ أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ " أي في الآيــات فتستنبطوا الأحكام منها وتفهموا المصالح

والمـــنافع المـــنوطة بها وبهذا التقدير حسن كون ترجي التفكر غاية لتبيين الآيات" (ج١ ، ص٥١٠) .

ويقـــول (الســـعدي ،١٤١٤هــــ)عند قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ " أي لكـــي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه وتعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا والآخرة . "(ج١ ، ص١٩٨) .

ويقول (رضا ،١٣٥٠هــ) عند قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ " فيظهــر لكــم الضـــار منها أو الراجح ضرره فتعلموا أنه جدير بالترك فتتركوه على بصيرة واقتناع بأنكم فعلتم ما فيه المصلحة ، كما يظهر لكم النافع فتطلبوه فمن رحمته بكم لم يرد أن يعنتكم ، ويكلفكم ما لا تعقلون لـــه فائدة وإرغاماً لإرادتكم وعقلكم ، بل أراد بكم اليسر فعلمكم حكم الأحكام وأسرارها وهداكم إلى استعمال عقولكم فيها ، لترتفعوا بهدايته عقـــولاً وأرواحاً، لا لتنفعوه سبحانه أو تدفعوا عنه الضر فإنه غنيّ عنكم بنفسه ، حميد بذاته ، عزيز بقدرته." (ج٢ ، ص٣٣٩) .

ويقول سبحانه وتعالى:﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقـــول (الـــبقاعي ، د.ت) : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ " أي ليكـــون حالكم حال من يرجى أن يحمل نفسه على الفكر ومن يكون كذلك ينتفع بفكره " .

قال الحرالي :" فتبنون الأمور على تثبيت ،لا خير في عبادة إلا بتفكر كما أن الباني لابد أن يفكر في بنائه .كما قال الحكيم : أول الفكرة آخر

العمـــل وأول ا لعمل آخر الفكرة .كذلك من حق أعمال الدين ألا تقع إلا بفكرة في إصلاح أوائلها السابقة ، وأواخرها اللاحقة ، فكانوا في ذلك صـــنفين .بما يشعر به ﴿لَعَلَّكُم﴾ مطابقين للمثل ، متفكر ، مضاعف حرثه وجنّته وعامل بغير فكره ، لتستهويه أهواء نفسه ، فتلحقه الآفة في عمله ، في حرثه وجنّته من سابقه ولاحقه .(ج٤، ص٨٨ ، ٨٩) .

ويقـــول (الألوســـي ، ١٤١٥هـــــ) عـــند قـــوله تعـــالى: ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ " أي لعـــلكم تعمـــلون أفكـــاركم فيما يفنى ويضمحل من الدنيا وفيما هو باقي لكم في الآخرة ولا تفعلون ما يحزنكم فيها "(ج٢،ص٣٨) .

وبعـــد اســـتعراض أقوال المفسرين في هاتين الصيغتين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾ تبيّن للباحث ما يلي :

١- أن المـــثل من المعطيات المحسوسة التي يقف العقل معها محللاً ، ومتأملاً ومفكراً ، ويأخذ بدلالاته القوية العقل إلى الصواب الذي قد لا يجده دون دليل مادي ، والمثل محفز لإعمال العقل وتحريكه لئلا يكون مجرد متقبل .

٢- الـــتفكر في آيات الله يقود العبد إلى الإيمان بالله ، وكلما أزداد تفكر العقل في بديع الصنع الإلهي وتناسقه ازدادت قناعته وإيمانه بقدرة الله ووحدانيته .

٣- أن القرآن لم يطلب من الفرد أن يكون مطيعاً دون وعي ، بل طـــلب منه أن يستعمل عقله في أسرار الشرع ومراميه ، فإن ذلك سبيل للإيقان بأن الشرع هو المناسب حقاً للحياة وذلك عن قناعة تامة .

٤- أن المطــلوب من المسلم هو حمل النفس على الفكر السليم ، ومحاولة الانتفاع من معطيات الفكر .

وقد حث القرآن الكريم على التفقه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقــول (القــاسمي ، ١٤١٥هــــ) عــند قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾" أي يفهمــون ويعتبرون ، فيكفوا عن كفرهم وعنادهم "(ج٣ ، ص٣٤٠) .

ويقول (السعــدي ، ١٤١٤هــ) عند قــوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ " أي يفهمــون ما خلقوا من أجله ، ويفقهون الحقائق الشرعية والمطالب الإلهية." (ج٢ ، ص٣٥) .

ويقول (الميداني ، ١٤٠٨هــ) : والفقه هو الفهم الصحيح لحقائق الأمور . ص١٣ .

ومن ذلك نخلص إلى أن التفقه : هو المعرفة الحقيقة والفهم الخالص والفطنة ومن ثم فهو أعمق من التفكر والتدبر . والتفقه في الدين ، وتعمق معانيــه واســتخراج كنوزه هو الخير كله ، والناس تتفاوت فيه حسبما يمــنحهم الخالق تبارك وتعالى ، ودلالته واضحة على مكانة العلم وقدره الــذي يعد من أهم مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً فيما بعد .

٣ – أسلوب المدح لأهل العقول وتخصيصهم بالخطاب :

ومــن ذلــك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي

ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ سورة البقرة .

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ " أي يتفكرون ، أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أن النّبي ﷺ لمّا قرأ هذه الآية قال: (**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**) . (ج١، ص٤٣١) .

ويقول (القاسمي ، ١٤١٥هـ) في قوله تعالى : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ " أي يتفكرون فيها وينظرون إليها بعين العقول ، فيستدلون على قدرته سبحانه ، القاهرة ، وحكمته الباهرة ، ورحمته الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به جلّ شأنه " . (ج١، ص٤٢٣) .

ويقول (قطب ،١٤١٢هـ) : حول قوله تعالى : ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ " نعم لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد ، ونظرة مستطلعة ، وقلب نوّره الإيمان ... أن هذا هو ما يصنعه الإيمان ، هذا التّفتح ، هذه الحساسية ، هذا التقدير للجمال والتناسق والكمال .. إن الإيمان رؤية جديدة للكون ، وإدراك جديد للجمال وحياة على الأرض في مهرجان من صنع الله آناء الليل وأطراف النهار ". (ج١، ص١٥٣) .

ويقول (السعدي ،١٤١٤هـ) : " والحاصل ، أنه كلما تدبر العقل في هذه المخلوقات ، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة ، علم بذلك ، أنها خلقت للحق وبالحق (ج١ ، ص١٤٤) . ومثل هذه الدعوة إلى إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر متنوع وكثير في كتاب الله فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الروم .

يقول (القنوجي ، ١٤١٠هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ "فإن من له نصيب من العقل يعلم أن ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة ، كيف والعقل ملاك الأمر ، وهو المؤدي إلى العلم فيما ذكر وغيره . " (ج١٠ ، ص٢٤٠) . وقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الجاثية . وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة النحل ، وقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الروم .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) : عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " أي يعملون أفكارهم ، ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شئ إلى شئ . " (ج٤ ، ص٨٠) .

يقول (القنوجي ،١٤١٠هـ) عند قوله تعالى : ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " إن قوام الدنيا بوجود التناسل لأنهم الذين يقتدرون على الاستلال لكون التفكر مادة له ، يتحصل عنه ، أو لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف عند المعاني المطلوبة من التأنس والتجانس بين الأشياء كالزوجين وأما الغافلون عن التفكر فما هم إلا كالأنعام ." (ج١، ص٢٣٧) . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الجاثية

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ " فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم ، في شكر نعمته ، وأن تتغلغل أفكارهم ، في تدبر آياته وحكمه ،ولهذا قال : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (ج٥ ، ص٩) .

ويقول (القنوجي ، ١٤١٠هـ) عند قوله تعالى : ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " خصّ المتفكرين لأنه لا ينتفع بها إلا من تفكر

فيهـــا ، فإنه يتنقل من التفكير إلى الاستدلال " ، وقوله سبحانه وتعالى :
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾سورة يونس.

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ): في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ " أي نبينها ونوضحها ، بتقريب المعـــاني إلى الأذهان ، وضرب الأمثال ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي : يعمـــلون الأفكـــار فـــيما ينفعهم . " (ج٢ ، ص٣٢٨) وقوله تعالى :
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقـــول (ابـــن كثير ، ١٤١١هـ) عند قوله تعـــالى : ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ " أي أيفقهون ويعون كلام الله ." (ج٢ ، ص١٥١) .

وبعد استعراض أقوال المفسرين لهذه الصيغ الذي يظهر عليها المدح لأهل العقول وهي :﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ توصل الباحث إلى ما يلي :

١- أن ثمر ة إعمال العقل والفكر في مخلوقات الله هو معرفة خالقها وهو الله سبحانه وتعالى ومن ثم زيادة إيمان المخلوق بالخالق .

٢- أن إعمال العقل والفكر يرتفع بالإنسان من مجرد أنه مخلوق مع سائر الكائنات إلى أنه مخلوق مميز عنها بقدرة استنتاج المعاني من النظر والتأمل في الأشياء .

٣ - أن إعمال العقل والفكر يؤدي إلى الوقوف عند المعاني المطلوبة من التأنس والتجانس بين الأشياء كالزوجين ، والمعطلون عقولهم ما هم إلا كالأنعام .

ومن الدعوات الصريحة في الحث على إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ **سورة الأعراف .**

يقول (ابن الجوزي ، ١٤٠٨هـ) : في تفسيره لهذه الآية فحثهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه بريئ من الجنون ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال :﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ سورة الأعراف .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) في معنى هذه الآية أي : أولم يعملوا أفكارهم ، وينظروا : هل في صاحبهم ، الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم من حاله شئ ، هل هو مجنون ، فلينظروا في أخلاقه وهديه ، وصفاته ، وينظروا فيما دعا إليه . فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها ولا من الأخلاق إلا أتمها ، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين . (ج٢ ، ص١٨٢) . وقوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ سورة الروم .

يقول (القرطبي ، ١٤١٣هـ) : في تفسيره لهذه الآية إنما أمروا أن يستعملوا التفكر في خلق السماوات والأرض وأنفسهم ،حتى يعلموا أن الله لم يخلق السماوات وغيرها إلا بالحق .(ج ٧ ، ص٧) . ويقول (القنوجي ، ١٤١٠ هـ) : في معنى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾" أن أسباب التفكر حاصلة لهم ، وهم أنفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانيته تعالى وصدق أنبيائه ". (ج١٠ ، ص٢٢٩) . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة سبأ .

وللباحث وقفة مع هذه الدعوة الصريحة في الحث على إعمال العقل والفكر لينظر ماذا قال المفسرون وأهل العلم في ذلك .

وقبل الشروع في أقوال المفسرين يحبذ الباحث أن يشير إلى أن هذه الموعظة موجهة إلى مشركي قريش ، وبسبب اتهامهم لرسول الله ﷺ بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى ، دون تفكر أو تدبر ، شأنهم في ذلك شأن الذين يتبعون أهوائهم ، ويقتفون آثار آبائهم ومتبوعيهم دون دليل وقد أقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق ؛ وهي في الآية : كون النبي ﷺ رسولاً من عند الله سبحانه وتعالى ، ونذيراً لهم بين يدي عذاب شديد ، وليس كما يزعمون ويرددون دون وعي أو نظر بأنه ساحر أو كاذب أو مجنون ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ

شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ **سورة سبأ** . ولكي يحصل الانتفاع بهذه الموعظة العظيمة، فلابد من الأخذ بجميع المقومات التي قامت عليها ، وهي :

١- القيام لله تعالى ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ ، والتجرد في طلب الحق .

٢- مراجعة النفس والخلوة بها أو مع شخص ثانٍ : ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ .

٣- التفكر فيما يقوله المخالف : ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ . (الجليل ، ١٤١٨هـ ، ج١ ، ص٦١- ص٦٢) .

وبعد هذه الإشارة إلى وجهة هذه الموعظة في الأصل وسبب توجيهها والتعرف على مقوماتها التي يحصل الانتفاع بالأخذ بها وتطبيقها ، بقي على الباحث أن يشرع في ذكر أقوال المفسرين -رحمهم الله - حتى تظهر أهمية مقومات هذه الموعظة أو حتى تظهر أهمية هذه المقومات :

فهذا (الشوكاني ، ١٤١٢هـ) يقول حول هذه الآية : " أي أحذركم بواحدة ، وأنذركم سوء عاقبة ما انتم فيه ،وأوصيكم بخصلة واحدة ؛ وهي﴿ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾ وهذا تفسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أي هي : قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً ؛ لأن الاجتماع يشوش الفكر وليس المراد القيام على الرجلين بل المراد القيام لطلب الحق وإصداق الفكر فيه ؛ ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ في أمر النبي ﷺ وما جاء به من الكتاب فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ؛ وذلك لأنهم كانوا يقولون : أن محمداً مجنون ؛ فقال لهم : اعتبروا أمري بواحدة ؛ وهي أن تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين ، فيقول الرجل لصاحبه : هلم

فلنصـــدُق ، هل رأينا بهذا الرجل من جنة - أي جنون - أو جربنا عليه كذباً ، ثم ينفرد كل واحدٍ عن صاحبه ، ليتفكر ولينظر ؛ فإن في ذلك ما يـــدل عـــلى أن محمداً ﷺ صادق ، وأنه رسول من عند الله ، وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون " (ج٤ ، ص٣٨١ ، ص٣٨٢) .

ويقـــول (السعدي ، ١٤١٤هـــ) في تفسيره لهذه الآيـــة : " أي أعظكم بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في ســـلوكها ، وهي طريق نصف لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي ولا إلى تـــرك قولكـــم من دون موجب لذلك وهي ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخـــلاص لله عـــز وجل ، مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك ، فإذا قمتم لله مثنى وفرادى واســـتعملتم فكركم وأجلتموه وتدبرتم أحوال رسولكم هل هو مجـــنون فيه صفات المجانين ؛ من كلامه وهيئته ووصفه ، أم هو نبي صـــادق مـــنذر لكم ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوها لتبين لهم أكثر من غيرهم أن رسول ﷺ ليس بمجنون ؛ لأن هيئته ليست كهيئة المجانين وخنقهم واختلاجهم ..فكل من رأى أحواله وقصده استعلم هل هو رسول الله أم لا ؟ سواء تفكر وحده أم مع غيره ؛ جزم بأنه رسول الله حقاً وتبين صدقه " (ج٤ ، ص١٩١) .

ويقول (قطب ، ١٤١٢هـــ) حول ظلال هذه الآية :

" وهـــنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق ، ومعرفة الافتراء من الصدق ، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ إنمـــا دعوة إلى القيام لله عز وجل بعيداً عن الهوى ، بعيداً عن المصلحة ، بعيداً عن ملابسات الأرض ، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تستجر في القلب ، فتبعد به عن الله ، بعيداً عن

التأثيرات السائدة في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة . دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولامع العبارات المطاطة التي تبعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها ، دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي بعيداً عن الضجيج ، أو الخبط ، أو اللبس ، والرؤية المضطربة ، والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة ، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة ، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات ، وعلى مراقبة الله عز وجل وتقواه . وهي ﴿ بِوَٰحِدَةٍ ﴾ إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق : القيام لله ، لا لغرض ، ولا لهوى، ولا لمصلحة ، ولا لنتيجة ، التجرد والخلوص ، ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجه القائمون لله المتجردون . ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر ، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ ، لتتبع الحجة في هدوء وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة ،وما يقول شيئاً يدعوا إلى التظنن بعقله ورشده ، إن هو إلا القول المحكم القول المبين (ج٥ ، ص٢٩١٤) .

وبعد هذا الاستعراض المبسط لأقوال بعض المفسرين يعمد الباحث إلى توضيح مقومات هذه الموعظة العظيمة ، وشروط الانتفاع بها على النحو التالي :

١ - ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ فالقيام لله عز وجل هو المنطلق لصحة العمل إذا اقترن ذلك بالمتابعة فيه للرسول ﷺ .

٢ - ﴿ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾وفي ذلك حكمة وفائدة عظيمة وهي أن الالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق

كغوغائية المجتمعات والتقليد الأعمى ؛ فاتباع كل ناعق قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس متهماً نفسه ، ظاناً أن الحق مع الأكـــثرية ، دون أن يــــدري أن هذه الحركة الغوغائية قد غطت الحق ، وضيعت معالمه .

٣ - قَلَّ ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ وهذه هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحـــق ، بعد الالتزام بالشرطين السابقين ،والتفكير ، والعلم ، وإعمال الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق ، وهذا الشرط يقودنا إلى إقامة الدليل والبرهان على ما يعتقد أنه الحق ، والكفار الذين خوطبوا مباشــــرة بهذه الآية لم يكن لديهم الدليل فيما يعتقدونه ، وكان المطلوب منهم التفكير بحال الرسول ﷺ وإقامة الدليل على مايتهمونه به؛ فإذا كان الآمر بالتفكير مع الكفار بهذه الصورة ، فإن الأمر بالنسبة لطالب الحق في المسائل الشرعية والعقائدية آكد . (الجليل ، ١٤١٨هـــ ، ج١، ص٦٥، ص٦٨) .

ومـــن أروع ما هدى إليه القرآن في جانب الفكر والعلم : تنويهه بأولي الألباب والنهى أي أصحاب العقول الواعية الصافية ،وإلى ذلك يشير (القاسمي ، ١٤١٥هـــ) : بأنهم ذوو العقول والأفهام (ج١، ص٥٠٣) .

ويقـــول(البريكان ، ١٤١٨هـــ) : إن الله لا يخاطب إلا العقلاء لأنهم الذين يفهمون عن الله شرعه ودينه قال تعالى: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ **سورة ص** . ص٤٩ .

وقد وردت كلمة ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أو ﴿ أُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ في القرآن الكريم ست عشرة مرة (عبد الباقي ، ١٤٠٨هـــ، ص٨١٨) .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقـــول : (رضا ، ١٣٥٠هـــ) : في تفسيره لهذه الآية : " فحض بالـــنداء أصحاب العقول الكاملة ، مع أنه عام للتنبيه على أن ذا اللب هو الـــذي يعـــرف قيمة الحياة والمحافظة عليها ، ويعرف ما تقوم به المصلحة العامـــة وما يتوصل به إليها ... وكأنه يقول : أن ذا اللب هو الذي يفقه ســـر هـــذا الحكم ، وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة ، فعلى كل مكـــلف أن يستعمل عقله في فهم دقائق الأحكام ، وما فيهما من المنفعة للأنام " (ج٢ ، ص١٣٣) .

ويقول (القنوجي، ١٤١٠هـــ) : في معنى ﴿ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ " أي يا ذوي العقول الكاملة جعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولي الألباب ونـــاداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لأنهـــم هم الذين ينظرون في العواقب ويخافون ما فيه الضرر العاجل ... والألـــباب جمـــع لب ، وهو العقل الخالي من الهوى ، سمي بذلك لأحد وجهـــين إما لبنائه من لب المكان أقام به وإما من اللباب وهو الخالص " (ج١ ، ص٣٥٧) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) : ﴿ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ " أي ذوي العقول الخالصة عن شوب الأوهام خوطبوا بذلك تنشيطاً لهم إلى التأمل في حكمة القصاص ." (ج١ ، ص٢٣٢) .

ويقـــول (السعدي ، ١٤١٤هـــ): " ولما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقـــته إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة خصهم بالخطاب دون

غيرهــــم ، وهــــذا يــــدل على أن الله تعالى ، يحب من عباده ، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم " (ج١ ، ص١٦٠) .

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقول (البقاعي ، د.ت) :﴿ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ " أي العقول الصافية والأفهام النيرة الخالصة التي تجردت عن جميع الخلائق الجسمانية ، فأبصرت جلالة التقـــوى ، فلزمتها " (ج٣ ، ص٣٢) .

ويقول (السعدي ، ١٤١٤هــ) " أي يا أهل العقول الرزينة اتقوا ربكـــم الـــذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول ، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأي " (ج١، ص١٧٩) .

ويقـــول (القنوجي ،١٤١٠هــ) : ﴿ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ فيه التخصـــيص لأولي الألباب بالخطاب بعد حث جميع العباد على التقوى ، لأن أربـــاب الألباب والعقول هم القابلون لأوامر الله الناهضون بها ولب كل شئ خالصه . (ج١ ، ص٤٠٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة المائدة .

يقـــول (الألوســـي ، ١٤١٥هــ) :﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ " في تحري الخبيث وأن كثر وآثروا عليه الطيب وأن قل فإن

مدار الاعتبار هو الخيرية والرداءة لا الكثرة والقلة ، وفي الأكثر أحسن كل شئ أقله ، ولله در من قال :

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف إن أمرٌ عنا "

(ج٤ ، ص٣٧) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت): ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ " في تحري الخبيث وأن كثر وآثروا عليه الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الخيرية والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان أخبث ".(ج٢ ، ص٩٤) .

ويقول (القرضاوي، ١٤١٦هـ) : إن كثيراً من الناس يهتمون بالكم والعدد ،ولا يهتمون بالكيف والنوع ، ولكن أولي الألباب هم الذين يعنيهم الكيف ، ويهمهم الطيب وأن كان قليلاً ، لهذا أمرهم الله بالتقوى رجاء الفلاح في الدنيا والآخرة . ص٢٣ . وقال تعالى :﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ سورة البقرة . وهذه الآية ترشد إلى أن من أحق من ينتفع بالحكمة هم أولىالألباب وهم أهل العقول الوافية والأحلام الكاملة ، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه ، والضار فيتركونه . (السعدي ، ١٤١٤هـ ،ج١ ، ص٢٤١) .

ويقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) :﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ سورة البقرة . أي ما يتعظ أو ما يتفكر في الآيات إلا ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم وظلم اتباع الهوى وهؤلاء هم الذين أوتوا الحكمة .(ج٢ ، ص٤١) ، وفي ختام سورة يوسف ورد ذكر أولي

اللباب في مقام استفادتهم من عبر التاريخ ومن قصص القرآن ، وما اشتمل عليه من بيان سنن الله في الناس والحياة ، فالغافلون تمر عليهم الأحداث فلا تنبه فيهم غافلاً، ولا تحرك منهم ساكناً ، كما قال الله تعالى في أواخر هذه السورة : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة يوسف .

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) :﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ أي غير متفكرين فيها ولا معتبرين . (ج٧ ، ص٦٣) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) :غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها (ج٣ ، ص١٤٢) . أما أولوا الألباب فهم الذين يحسنون قراءة القصص القرآني ، وقراءة التاريخ وبالتالي قراءة الواقع : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف .

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) في تفسيره ﴿ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ ﴾ : " أي لذي العقول المبرأة عن الأوهام الناشئة عن الألف والحس . " (ج٧ ، ص٦٩) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) : " ذوي العقول المبرأة عن شوائب أحكام الحس ." (ج٣ ، ص١٤٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ سورة آل عمران .

يقـــول (أبو السعود ، د.ت) : ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ " أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل سبق من جهته تعالى مدحاً للراسخين بجودة الفهم وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس ." (ج١ ، ص٣٣) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ سورة آل عمران .

يقول (أبو السعود ، د.ت) ﴿ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ : " أي لذوي العقـــول المجلوّة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفســـانية المتخلصـــين من العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكـــام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائـــع صـــنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في النفس والآفـــاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود ". (ج١، ص٤٦٤) .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الزمر .

يقول (أبو السعود ، د.ت) : إنما يتعظ بهذه البينات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل. (ج٤ ، ص٤٦٠) .

ويقـــول (القـــنوجي ، ١٤١٥هـــ) : إنما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويـــتفكر فيـــه أصحاب العقول الصافية ، والقلوب النيرة وهم المؤمنين لا الكفار ،فإنهم وإن زعموا أن لهم عقولاً فهي كالعدم ...(ج١٢،ص٨٩) .

ويقول (السعدي ، ١٤١٤هـــ) ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ :

" أي أهل العقول الزكيّة الذكية . فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى ، فيؤثـــرون العـــلم على الجهل ، وطاعة الله على مخالفته ، لأن لهم عقولاً ترشدهم للنظر في العواقب بخلاف من لا لب له ولا عقل ، فإنه يتخذ إلهه هواه" (ج٤ ، ص٢٩٥) . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ **سورة الزمر** .

يقـــول (الألوســـي ، ١٤١٥هـــــ) : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ " أي هـــم أصـــحاب العقـــول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى ، المستحقون للهداية لا غيرهم ، وفي الآية دلالة على حط قدر التقليد المحض ولذا قيل :

شمّر وكن في علوم الدين مجتهداً ولا تكن مثل عَيْر قاد فانقاد "

(ج١٢ ، ص٢٤٣) .

ويقول (القنوجي ،١٤١٠هـــ) :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ " أي هـــم الذين أوصلهم إلى الحق ، وهم أصحاب العقول الصحيحة ، لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم ، و لم ينتفع

مـــن عداهم بعقولهم ... وفي الآية إشارة إلى إيثار الإتباع وترك التقليد ، لأن الله قد أثنى على المتبعين بكونهم مهدين ، وسماهم أولي الألباب ، ولم يـــثن عـــلى التقليد ولا على أهله في موضع من القرآن الكريم ، بل ذمه وذمهم في غير موضع " (ح١٢، ص٩٧ ، ص٩٨) .

ويقـــول (قطب ، ١٤١٢هـــ) في ضلال هذه الآية :"وهؤلاء من صـــفاهم أنهم يستمعون من القول، فتلتقط قلوبهم أحسنه وتطرد ماعداه" (ح٥،ص٣٠٤٥).

والعقل السليم هو الذي يقود صاحبه إلى الزكاة وإلى النجاة .

ويقول (السعدي ،١٤١٤هـــ) في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾ أي العقـــول الزكيّة ومن لبهم وحزمهم ، أنهم عرفوا الحسن وغيره ، وآثروا ما ينبغي إيثاره على ما سواه . وهذا علامة العقل ، بل لا علامة للعقل ، سوى ذلك ، فإن الذي لا يميز بين الأقوال ، حســـنها ، وقبـــيحها ، ليـــس من أهل العقول الصحيحة أو الذي يميز (ج٤ ، ص٢٩٩) .

هـــذا مـــا يتعلق بأولي الألباب أما أولو النهى ، فالنهى : جمع نهيه وهي اسم للعقل ، يقول (الرازي ، ١٩٨٨م) : (النهية) بالضم واحدة (النهى) وهي العقول لأنها تنهى عن القبيح . ص٢٨٤ .

وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم مرتين كلتاهما في سورة (طه) (عبد الباقي ، ١٤٠٨هـــ ، ص٨٩٢) .

قـــال تعالى :﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن

نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة طه .

يقـــول (السعدي ، ١٤١٤هـــ) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ " أي لذوي العقول الرزينة ، والأفكار المســـتقيمة ، عـــلى فضل الله ، وإحسانه ، ورحمته ، وسعة جوده ، وتمام عنايـــته ... وخص الله أولي النهى بذلك ، لأنهم المنتفعون بها ، الناظرون إليها نظر اعتبار .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) : ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ النهى جمع نهيـــه سمـــي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمي بـــالعقل والحجـــر لعقله وحجره عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية . (ج٣ ، ص٤٦٩) .

وقال تعالى :﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة طه

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـــ) ﴿ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ : " أي لـــذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه هؤلاء المنكر عليهم من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي " (ج٨ ، ص٥٨٨) .

٤- أسلوب الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها :

وفي المقابل ذم الله الذين يعطلون عقولهم وفكرهم فقال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقول (رضا ، ١٣٥٠هـ) : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ " ... أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم في كل حال وفي كل شئ ولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً من عقائد الدين إذ يسلكون طريق العقل بالاستدلال على أن ما هم عليه من العقائد والعبادات حق ولا يهتدون في أحكامه وأعماله بوحي من الله جاءهم به رسول من عند الله .." (ج١ ، ص ١٢٠) .

وقال البيضاوي :" أي لو كان أباؤهم جهلة لايفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم" (ج٢ ، ص٩١) .

ويقول (قطب ، ١٤١٢هـ) في ظلال هذه الآية : " وسواءً كان هؤلاء الذين تعنيهم الآية هم المشركون الذين تكرر منهم هذا القول كلما دعوا إلى الإسلام ... أو كانوا هم اليهود الذين كانوا يصرون على ما عندهم من مأثور آبائهم .. سواءً كانوا هؤلاء أم هؤلاء فالآية تندد بتلقي شئ في أمر العقيدة من غير الله ؛ وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا أدراك : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ أولو كان الأمر كذلك ، يصرون على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ؟ فأي جحود هذا وأي تقليد ؟ ومن ثم يرسم لهم صورة تليق بهذا التقليد وهذا الجحود ، صور ة البهيمة ، التي لا تفقه ما يقال لها .. بل هم أضل ..فالبهيمة ترى ، وتسمع ، وتصيح وهم صم بكم عمي .
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً

وَنِدَآءً صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ سورة البقرة . صم ، بكـم ، عمـي ولـو كانت لهم آذان وألسنة وعيون ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون ، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها ، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون . وهذا منتهى الزراية لمـن يعطـل تفكيره ، ويغلق منافذ المعرفة والهداية ، ويتلقى في أمر العقيـدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقىمنها أمر العقيدة والشريعة (ج ١ ، ص١٥٥- ص١٥٦) .

ويؤكـد ذلك (السعدي ، ١٤١٤هـ) بقوله : " لَمّا بيّن تعالى ، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل ، وردهم لذلك ، بالتقليد ، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ، ولا مستجيبين له ، بل كان معلوماً لكـل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم . أخبر تعالى ، أنّ مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها وليس لهـا عـلم بما يقول راعيها ومناديها ، فهم يسمعون مجرد الصوت ، الذي تقوم به عليهم الحجة ، ولكنهم لا يفقهون فقهاً ينفعهم فلهذا كـانوا صماً ، لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول . عمياً لا ينظرون نظـر اعتـبار . بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم والسبب الموجب لذلك كله تعطيلهم لعقولهم وفكرهم" .(ج١، ص١٥٠) .

وقـال تعالى في بيان أباطيل المشركين وما فعلوه في تحريم ما أحلّ الله من الأنعام : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة المائدة .

يقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) : ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ " إنهم المقلدون لأسلافهم المفترين من معاصري رسول الله ﷺ، وهذا بيان لقصـور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم ". (ج ٤، ص٤٣) .

ويقـول (أبـو السـعود ، د ، ت) : "إنه افتراء باطل حتى يخالفوهم

ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم ". (ج ٢، ص ٩٧) .

وقال تعالى في وصف الّذين عطلوا عقولهم وفكرهم :﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الأنفال .

يقول (البغوي ،١٤١٧هـ): سمّاهم (دواب) لقلة انتفاعهم بعقولهم (ج٣ ، ص٣٤٣) . ويقول (الألوسي ، ١٤١٥هـ) عند قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾" تحقيقا لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتدي إلى بعض مطالبه ، أمّا إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فقد بلغ الغاية في الشرّية وسوء الحال ، وبذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها ." (ج٥، ص١٧٦) .

ويقول (أبو السعود ، د.ت) :﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ " تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأمّا إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فهو الغاية في الشّرية وسوء الحال ، وبذلك يظهر كونهم شراً من البهائم حيث أبطلوا مابه يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله فصاروا أخس من كل خسيس ." (ج٢ ، ص٣٥٤) .

ويقول (السعدي ،١٤١٤هـ) :﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ما ينفعهم ، ويؤثرونه على ما يضرهم (ج٢ ، ص٢٠٥) .

وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة يونس .

ويقول (أبو السعود ، د ، ت) :﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات . (ج٢ ص ٥٣٠) .

"وقد جعل الله عليهم الرجس : أي النجاسة والقذر ، وهو رجس معنوي وعقوبة قدرية ، جزاء تعطيل العقول " (القرضاوي،١٤١٦ هـ، ص ١٨)

ويقول (ابن كثير ،١٤١١ هـ) : " فكل الأنفس قابلة للإيمان والاهتداء إلا أنفس الذين ألغوا عقولهم فقد جعل الله عليهم الرجس ، وهو الخيال والضلال" (ج٢ ،ص ٤١٥) .

وقال سبحانه وتعالى في وصف اليهود :﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة الحشر .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) عند قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بَيْنَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ " أي لا عقل عندهم ولا لب .فإنهم لو كانت لهم عقول ، لآثروا الفاضل على المفضول ،ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين ولكانت كلمتهم مجتمعة ، وقلوبهم مؤتلفة فبذلك يتناصرون ويتعاضدون ، ويتعاونون على مصالحهم الدينية والدنيوية ." (ج٥ ، ص٢١٢) ، إ ذ العقل الواعي يقتضي من أهله أن تجتمع قلوبهم على هدف واحد ، ومنهج واحد لا أن تجتمع أجسامهم

وقـــلوبهم متفرقة (القرضاوي ، ١٤١٦هـــ ، ص١٩) والملاحظ أن هذا الأسلوب سلك فيه القرآن سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها ، حيث أنكر عليهم أن يغلقوا عقولهم ، ويهملوا أفكارهم ،وهو بهذا يريد أن تكـــون لهم شخصية كريمة واعية متفتحة تجعل لهم حياة مستقلة ،تأبى عـــليهم أن يفـــنوا في غيرهم ،وترتفع بهم عن أن يصبحوا إمّعات تتلاشى عقولهم بجانب من يقلدونهم .

وبالنظر لهذه الآيات وغيرها في كتاب الله عز وجل يخلص الباحث إلى عدم ورود لفظة (العقل) بصيغة الاسم ، وإنما وردت بصيغة الفعل (عقلوه ، يعقلون ، نعقل) .

يقـــول (الصـــافي ، ١٤١٩ هـــ) : "وفي ذلك إشارة إلى أنه فعل يمـــارس وليـــس مجرد عضـــو يستخدم أو يعطل ".ص٩ . لكن وردت مـــرادفات له مثل : الألباب ، والنهى ، إضافة إلى الألفاظ التي تدعو إلى التفكر ، والتدبر ، والتفقه ، وغيرها من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها .

كما أنه لا يوجد كتاب أطلق للعقل نشاطه ، واهتم بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم لقد جاءت دعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل والإعلاء مـــن شأن الفكر في آيات كثيرة وهذه الآيات تفيض بالدعوة إلى إعمال العقل والإعلاء من شأن الفكر بأساليب متعددة :

١- فـــتارة يظهـــر الـــتعجب الشديد من تعطيل العقل ومن ذلك ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ .

٢- وتـــارة يتـــلطف ويرغّب في استعمال العقل والفكر في مختلف المجالات ، ومن ذلك ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

٣ – وتـــارة يمـــدح أهـــل العقل ويخصهم بالخطاب ، ومن ذلك ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

٤ – وتارة يسلك سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها ، ومن ذلك ﴿ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ .

هـــذه الأساليب المختلفة في الدعوة إلى إعمال العقل تؤكد مكانة العقل في القرآن الكريم ، وتنبه الإنسان إلى أن من أخص خصائصه التفكير والـــتدبر ، والـــتفقه ، والتعقل ، فلا ينبغي له التنزل عن أخص خصائصه بتعطيله ، وإلا فقد تنزّل عن إنسانيته ، وصار كالأنعام .

إن هـــذه الدعوة القرآنية للعقل من شأنها أن تفتح المدارك ، وتثير التفكير ، وتحمل على الاستزادة من العلوم والمعارف ، وتفصل بين الحقائق والأوهام ؛ ذلك أن الإنسان إنما يحدث له الرقي العلمي والتقدم الحضاري – الـــذي هو ثمرة من ثمار الفكر الناضج والانفتاح العقلي – إلا بالعمل العقلي .

إن دعوة القرآن إلى إعمال العقل هي منهج العلم في أصدق أصوله وأرســـخ قواعـــده ، وهي العامل الأساسي الذي فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ، وسخر للناس ما لم يكونوا يحلمون به .

والعقـــل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الواعي المتفتح الذي يدرك الحقائق ، ويميز بين الضار والنافع ، والخير والشر ، وهو العقل الذي يقابله الجمود ، والعنت ، والضلال .

ب – السنة النبوية المطهرة :

وكمـــا مر معنا أن القرآن الكريم منبع التربية الإسلامية الأول يظهر مكانـــة العقل بالحث على إعمال العقل والفكر ، والنهي عن تعطيلهما ، فكذلـــك السنة النبوية المطهرة المنبع الثاني للتربية الإسلامية ، والشارحة، والموضـــحة لكلام الله عز وجل تظهر مكانة العقل بالدعوة إلى إعماله ، كما أنها وضعت له حدوداً وضوابط لا يخرج عنها ولا يتعداها . فعن أبي هريـــرة رضـــي الله عـــنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**كرم المرء دينه ، ومـــروءته عقله ، وحسبه خلقه**)[1] (الحاكم ، كتاب العلم ، فصل في توقير العالم ، ج١ ، ص١٢٣) . فالإسلام في جملة أحكامه وتعاليمه دين العقل والحكمة ، يجعل أتباعه دائماً في تدبر ، وإمعان للنظر في كل ما يحيط بالإنسان في الكون ، والحياة . وعن علي رضي الله عنه قال :(ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ، ولا في عبادة ليس فيها تفقه) (الجمال ، ١٤١٤ هـــ ، ج١، ص١٩٨) .

ومـــن الدعوات الصريحة إلى إعمال العقل والإعلاء من شأن الفكر قـــول المصطفى ﷺ : (**تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله ، فإنكم لـــن تقدروا قدره**)[2] . (أبو نعيم ، د. ت ، ج٦، ص٦٧) ، وفي هذا الحديث تحديد لمسار العقل الذي يطيق السير فيه ، مع إعفائه مما لا يطيق ، وكـــل مـــن تعـــدى ذلك من المفكرين المسلمين وغيرهم انتهى للإفلاس والاعتراف بالفشل ؛ لأنهم أقحموا عقولهم فيما لم يخلقها الله له ، ولا هيأ لها التفكير فيه ، ولا أعطاها القدرة على الوصول من ذلك إلى طائل .

---

[1] قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ثم وافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ج١ ، ص٣١ .

[2] سبق تخريجه ص٣٥

يقول (الزنيدي ، ١٤١٥هـ) : " وقد أدى هذا بالمسلمين إلى زيغ عن الحق ، وضلال في الاعتقاد ، لدى كثير ممن تجاوز هذا الضابط ، وإلى تقهقر وانكماش للحضارة الإسلامية نظماً ، وعمراناً لانصراف الجهود الفكرية عن مجالاتها الصحيحة " (ص٦٩) . غير أن ذلك ليس معناه أن الإسلام يحجر على العقل أو الفكر ، وإنما معناه تحديد مسار العقل حتى لا يدخل في متاهات تضره ولا تنفعه وإنما فعل الإسلام ذلك عصمة للعقل عن الضلال والضياع ، وإقناعاً له بأن من الحق أن يتوقف عند حدود ما فطره الله عليه ومكّنه منه ، والوقوف عند هذه الحدود هو منهج المصطفى ﷺ حيث قال : (**لا يزال النّاس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله**) (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، ج١ ، ص١١١ ، رقم الحديث ١٣٤) .

وفي رواية لمسلم أيضاً أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ، ولينته**) (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ،ج١، ص١١١ ، رقم الحديث ١٣٤) . وإذا كنّا في حياتنا لا نفهم أشياء كثيرة نعايشها كالروح ، والحواس وحدودها ، والعقل وماهيته ، والمشاعر، والنفسيات ، وكثيراً مما يحتويه الجسم من وظائف ، وأعضاء دقيقة ... فإن هذا مما يمنعنا من التطاول فوق حدود المعقول .(الحميدان ، ١٤١٨هـ ، ص٢٨) ، والإسلام سمح للعقل أن يفكر في أمور عديدة ، مما يحيط به ، ومما تقع عليه حواسه ليؤمن بقدرة الله ، وعظيم خلقه ، وأوجب عليه أن يفكر في أمور الدنيا ليعمر الأرض .

يقـــول ســــبحانه وتعـــالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة هود .

ويشير (محمود ، ١٤١٢هـــ) إلى ذلك بقوله : " إن المسلم الذي يمتـــنع عـــن هذا التفكر ، وهو قادر عليه ، آثم عصى الله سبحانه فيما أوجب عليه من إعمار الأرض ، ولو فقه المسلمون اليوم هذا المطلب لما ســـبقهم أحد من النّاس إلى كشف أو اختراع ، كما كانوا كذلك يوم كانوا على هذا الفقه للدين فخلفوا للإنسانية في مجال العلم ، والكشف ، والاخـــتراع ما استطاع الغرب أن يقيم على أسسه نهضته العلمية ثم زاد عليها "(ص ٢٦٩) .

أمّا عن مواقفه ﷺ التي تدل على إعماله المستمر لعقله وفكره ، بل تدل على أنه صاحب عقلية واعية متفتحة ، و منضبطة تحترم آراء الآخرين عـــلى حد سواء دون تعصب لشخص دون آخر أو لجماعة دون أخرى ومن ذلك استشارته لأصحابه في القتال في معركة بدر الكبرى . قال ابن إســـحاق : وأتاه - يعني رسول الله ﷺ - الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنع عيرهم فاستشار النّاس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عـــنه فقـــال وأحســـن ، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحســـن ، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال :يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ســـورة المائدة ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه

فقــال لــه رسول الله ﷺ **خيراً ودعا له بخير** . " وقد أخرج قول المقداد رضـــي الله عنه الإمام (البخاري ، ١٤١٩هـــ) : من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (**شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكـــون صاحبه أحبّ إليّ مما عدل به**) ثم ذكر نحوه . (كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ ، ص ٧٥٢ ، رقم الحديث ٣٩٥٢) .

" وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين ، وهم أقليّة في الجيش ، فـــأحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار ، لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش ، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم ، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم " (المباركفوري ، ١٤٠٠هـــ ص٢٣١) . ثم قال رسول الله ﷺ : (**أشيروا عليّ أيها النّاس**) وإنما يريد الأنصار ، وفطن ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : **أجل** ، قال : فقد آمنّا بك ، فصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلـــك عهودنـــا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فـــنحن معـــك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضـــته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً إنّا لصُبُرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء ، لعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك ، فسرْ بنا على بركة الله وفي رواية أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فأضعن حيـــث شئت ، وصل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت وخذ من أموالـــنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما

تركت ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فوالله لأن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنّ معك ، ووالله لأن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .(ابن القيم ،١٤٠٦هـ ، ج٣ ، ص١٧٣) فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك، ثم قال : (**سيروا أبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم**) (ابن كثير ، د. ت ، ج٣ ، ص٦٦٢ص٦٦٣) .

إنها كلمات معدودة صدرت من هؤلاء القادة لكن كان لها أثر عظيم في النفوس ، وأيقاظ المشاعر نحو التجرد من حظ النفس ، والاندفاع بقوة نحو نصرة دين الله تعالى .

ويصف (الحميدي ، ١٤١٨ هـ) ذلك الموقف من الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "وإنه لتخطيط محكم من رسول الله ﷺ حيث لم يقدم بهم على دخول المعركة وأمر إقدامهم غير واضح إذ أنهم لم يخرجوا أصلاً لقتال ، فاستشارهم في الأمر ليتثبت منهم، وليدفع أقوياء الإيمان إلى المشاركة في إنهاض الهمم ، وشحذ العزائم "(ج ، ص٩٣) .

ومن مواقفه ﷺ في ذلك أيضاً اهتمامه بمعرفة واقع العدوّ قبل لقائه في هذه المعركة ، حيث قام بنفسه بعملية الاستكشاف ومعه رفيقه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وبينما هما يتجوّلان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب ، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : **إذا أخبرتنا أخبرناك** . قال : أذاك بذاك ؟ قال : **نعم** ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله ﷺ ،وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ،

فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي فيه قريش ، فلمّا فرغ من خبره ، قال ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ :**نحن مـــن ماء** ، ثم انصرف عنه ، فقال الشيخ :ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ (عبد الوهاب ، د. ت ، ص٢٥٥) ، وهكذا استفاد النبي ﷺ من ذلك الأعــــرابي فأخذ منه خبر قريش ، بينما عمّى عليه خبر جيش المسلمين فلم يعرف عنه شيء وفي هذا توجيه منه ﷺ لقادة أمته كي يستفيدوا من كل مـــن يواجهونـــه في طريقهم لرصد أعدائهم مع الاحتفاظ الكامل لأسرار الجيش الإسلامي .

وما قام به ﷺ من معاملة ذلك الرجل داخل في التوجيه العام الذي جاء في قوله ﷺ : (**الحرب خدعة**) . (البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحرب خدعة ، ص ٥٧٩ ، رقم الحديث ٣٠٣٠) .

ومن مواقفه ﷺ في هذه الغزوة (غزوة بدر الكبرى) ا لتي تدل على إعمالـــه لعقله ، وفكره ، وعدم تعصبه ، نزوله ﷺ عند رأي الخبراء وأهل المعـــرفة : "وســـار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، وسبق قريشا إلى بدر . ومنع قريشا من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم و لم يصب منه المسلمين إلا ما لبّد لهم دهس الوادي وأعانهم ، فترل ﷺ عـــلى أدنى مـــاء من مياه بدر إلى ا لمدينة ، فأتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المترل مترل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأ خر عنه ، أم هو الرأي ، والحرب والمكيـــدة ؟ فقـــال ﷺ : (**بل هو الرأي ،والحرب ،والمكيدة**) ، فقال : يارسول الله إن هذا ليس بمترل فانهض بناحتى نأتي أدنى ماء من القوم فنترله ونغوّر ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : **لقد أشرت بالرأي** فنهض

رسول الله ﷺ ومن معه من النّاس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نـــزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغوّرت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عـــليه فمـــلئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . (ابن هشام ، د.ت ، ج٢،١، ص٦٢٠). وهذا يصور مثلاً من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه حيث كان أي فرد من أفراد ذالك المجتمع يدلي برأيه حتى في أحلك المواقف ، وأخطر القضـــايا ، ولا يكون في شعوره احتمال غضب الرسول ﷺ أو تعصبه لـــرأيه ، أو عدم الإلتفات إلى رأيه وعليه فإن هذه "الحرية التي ربّى عليها رسول الله ﷺ أصحابه مكّنت مجتمعهم من ا لاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد ، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً وإن كان حديـــث السن لأنه لم يكن يفكر لمجرد آراء عصبية مهيمنة عليه قد تنظر لمصـــالحها الخاصّة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامّة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده ... (الحميدي ، ١٤١٨ هـــ ، ج٤ ، ص١٠٨) .

ويصف (الشامي ، ١٤٠٥هـــ) كلمة الحباب التي جاءت مقدمة لاقتراحه بقوله : " هي الفقه كله ، فهي تمثل منهج الإسلام ، وتحدد مجال الـــرأي ، فما كان أمراً من الله فلا مجال للتقدم عليه أو التأخر عنه ، إذ لا مجال للعقل والرأي في هذه الدائرة ، وإنما الواجب إزاء ها التنفيذ والإلتزام وحيـــث لا يوجد النص فالواجب ا لاجتهاد وإعمال العقل " (ص١٩٦- ص١٩٧) .

ومن مواقفه ﷺ التي تدل على إعماله المستمر لعقله وفكره بل تدل أنـــه صاحب عقلية واعية متفتحة ، موقفه ﷺ من قضية تأبير النخل فعن موسى بن طلحة عن أبيه رضي الله عنهما قال : مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل ، فقال ﷺ :(**ما يصنع هؤلاء ؟**) فقالوا : يلقحونه يجعـــلون الذكر في الأنثى فيُلقح ، فقال رسول الله ﷺ (**ما أظن يغني ذلك**

شيئا) قالوا : فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : (**إن كـــان ينفعهم ذلك فليصنعوه .فإني إنما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به .فإني لن أكذب على الله عـــز وجل**) (مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شـــرعا ،دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، ج٤، ص ١٤٦٤، رقم الحديث ٢٣٦١) . وفي رواية رافع بن خديج قال : قدم نبي الله ﷺ المديـــنة وهـــم يأبرون النخل يقولون يلقحونه النخل . فقال : **ما تصـــنعون ؟** قـــالوا كـــنا نصنعه قال :(**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا**) فـــتركوه ، فنقضت أو فنقصت ، قال : فذكروا ذلك له ﷺ فقال : (**إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر**) (مسلم ، كتـــاب الفضـــائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، ج٤،ص١٤٦٤، رقم الحديث٢٣٦٢) . وفي رواية أنس أن الـــنبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون ، فقال : (**لو لم تفعلوا لصلح**) قال : فخرج شيصاً[1] فمرّ بهم فقال : (**ما لنخلكم ؟**) قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : (**أنتم أعلم بأمور دنياكم**) (مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ماقاله شرعاً ، ج٤ ، ص١٤٦٤، رقم الحديث ٢٣٦٣) . وفي هذه القصة تظهـــر صفة الانفتاح العقلي عند المصطفى ﷺ جليّة حيث إنه لم يتعصب لـــرأيه ، ولم يقطـــع فيها برأي كما هو ظاهر من الحديث وإنما قال ﷺ : (**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظناً وإنما أنا بشر ، أنـــتم أعـــلم بأمور دنياكم**) . بل ترك الناس يتصرفون في أمور دنياهم بمعرفتهم ،لأنهم أعلم بها وأخبر بدقائقها .(قطب، ١٤١٢هـــ ، ص١٧٢).

---

[1] أي بلحا غير ملقّح وهو مرّ لا يؤكل

يقول (القرضاوي ، د.ت):فالقانون الذي يجب الخضوع له هنا: هو القانون الذي تنتجه الخبرة ، والممارسة ، أو المشاهدة ، والتجربة ، ويكفي العقـــل الإنساني في هذه الأمور هاديا ودليلا، أما الوحي فحسبه أن يضع للـــناس القيم والمبادئ العامة والضوابط ، ثم يدع البشر يتصرفون تبعا لما يعلمون، وحسبهم هذه الكلمة الجليلة " **أنتم أعلم بأمور دنياكم**" ص٢٩.

ومـــن مواقفه ﷺ التي تدل على أنه صاحب عقلية واعية ومتفتحة توجيهـــه لأصـــحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين على المســـلمين في مكـــة المكرمة ، ولقد واجه المسلمون ذلك الأذى بالصبر الجميل ولكن المشركين أصبحوا يضاعفون من ذلك الأذى كلما تقدم بهم الزمن ورأوا أن كفة المسلمين تعلو شيئا فشيئا بدخول بعض أشراف أهل مكـــة في الإسلام ، فلما رأى النبي ﷺ زيادة إيذاء المشركين على أصحابه وجههـــم إلى الهجـــرة ليسلموا من الأذى وليعبدوا الله تعالى في حرية ، وليقوموا بنشر الإسلام في بلاد أخرى ،وقد اختار لهم الحبشة لما اشتهر عن حاكمها من العدل والرحمة (الحميدي،١٤١٨هـــ ،ج٢ ص٨٥) ، لقد أدرك الرســـول ﷺ ذلـــك بحنكته ، وفطنته ، وعقليته ، الواعية والمتفتحة تصميم العدو على استخدام أي أسلوب لوقف الدعوة عند حدها وخنقها وهـــي بعد في المهد ،ورأى أن يمنح المعذبين من أصحابه فترة من الوقت يستردون فيها أنفاسهم ، ويستعيدون قواهم النفسية ، والجسدية ويعودون ثانية إلى ساحة الصراع وهم أقدر وأصلب وعسى الله أن يحدث – خلال ذلك – أمرا كان مفعولا ، فأشار عليهم ﷺ بالهجرة إلى الحبشة . (خليل ، ١٤١٨هـــــ ، ص٦٤) . قائلا لهم : (**إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحـــد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه**) (ابن هشام ، د.ت ، ج١، ص٣٢١ ، ص٣٢٢) ، " وكان اختيار الحبشة

داراً لهجـــرة المسلمين خطوة موفقة من خطوات الرسول ﷺ المدروسة ، فهناك ، إضافة إلى الصفة التي وصف بها ملكها في الحديث المروي عن النبي ﷺ ، تيسُّـــر السـفر إلـــيها بالسفن ومساعدة الرياح الموسميّة لهذا السفر الـــبحري في ظـــروفه ، فضــــلا عن العلاقات المذهبية الطيبة بين الإسلام والنصرانية.." (خليل ، ١٤١٨هـــ ، ص٦٥) .

وبالـــنظر والـــتأمل في هذا الموقف يظهر للباحث : أن على الراعي (المسئول) إذا وجد رعيته في خطر على حياهم أو معتقداهم أن يهيئ لهم مكاناً يأمنون فيه من عدوان المبطلين . أن الرسول ﷺ وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض (القرضاوي ، د.ت ، ص٤٦) .

ثانياً : معالم الانفتاح العقلي في القرآن الكريم والسنة النبوية .

ومـــن المعلوم أنه لا يمكن أن ينشأ علم صحيح إلا في مناخ نفسي وفكري يهيئ للعقول أن تفكر ، وللأفكار أن تتفتح ، وللآراء أن تناقش، ولصاحب الحجة أن يدلي بحجته ، وهذا ما يعمل القرآن الكريم على إيجاده وذلك بدعوته القوية ، وتوجيهاته المتكررة على تكوين عقلية واعية متفتحة مدركة لما يقال لها ويعرض عليها عقلية لا ينهض العلم إلا على عاتقها ، وقـــد وضح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المعالم الأساسية التي تقوم عليها هذه العقلية على النحو التالي :

١ – رفض الظن في موضع اليقين :

إن العقلـــية الواعية والمنضبطة بضوابط الإسلام ترفض الظن في كل موضع يتطلب فيه اليقين ، ففي القضايا الكبرى : القضايا الاعتقادية ، لا يكفي فيها الظن ، بل لابد فيها من العلم واليقين .

يقـــول (القرضـــاوي ، ١٤١٦هـــ) :" قد يكفي الظن في قضايا الفروع والجزئيات ، التي تقوم عليها تعاملات الناس بعضهم ببعض ولهذا تقبل شهادة الشهود مع احتمال الخطأ والكذب ...أما القضايا الكبرى فلا يستغنى فيها عن اليقين " ص٢٥٠ .

ومن هنا أنكر القرآن على المشركين اتباعهم للظن في هذه القضايا فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ **سورة يونس .** وقال سبحانه : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) ﴾ سورة النجم .

يقـــول (الســـعدي ، ١٤١هـــ) والمشركون إنما يتبعون في ذلك القول القبيح ، وهو : الظن الذي لا يغني من الحق شيئا ، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة . (ج٥، ص١٣٠) .

ويقول (أبو السعود د.ت) : " إن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم ، والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية ، وإنما يعتد به العمليات وما يؤدي إليها"(ج٥ ، ص٦٤٧) . وقال سبحانه في شأن المشركين عموما ، ودعوتهم للأصنام من دون الله :﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦) ﴾ ســورة يونس . وردّ القرآن الكريم مزاعم اليهود والنصارى في صلب عيسى علـــيه الصلاة والسلام فقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى

ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ **سورة النساء .**

ومن السنة النبوية المطهرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال :(**إياكم والظن . فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا**) (مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ، ج٤، ص١٥٧٦، رقم الحديث ٢٥٦٣) .

إن العقلية الواعية المتفتحة ترفض الظن لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل ومنها :

١ – أن الظن لا ينبني على قاعدة ولا يستند على دليل وهو الشكوك التي تعترض للبشر والآراء التي يرتؤونها مما لا يستندون فيه على دليل شرعي ثابت ، فيجعلونها حقاً ويقيناً وهي حدْس وأوهام .

٢ – أن اتباع الظن لا ينتهي بالإنسان إلاّ إلى الضلال والابتداع .

٣ – أن التفكير إذا بني على الظن كان نتيجته الحتمية الضلال والزيغ .

٢ – عدم اتباع الهوى :

الهوى : ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع . (الجرجاني ،١٤١٨ هـ ، ص٣٢٠) وبذلك يهوي الإنسان في دركات الضلال ، في الدين والدنيا ، لأنه مخالف لطريق الهداية المستقيم

الذي يرسمه له الوحي ، ولقد جاءت الآيات القرآنية تحذر من اتباع الهوى وتبين آثاره فقال تعالى في خطابه لداود عليه السلام : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦) ﴾ سورة ص .

يقول (السعدي ، ١٤١٤هـ) : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ " فتميل مع أحد لقرابته ، أو صداقته ، أو محبته ، أو بغض للآخر " (ج٤، ص٢١٧) . ويقول (القاسمي ،١٤١٥هـ) : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ " أي هوى النفس من الميل إلى مال، أو جاه ، أو قريب ، أو صاحب " (ج٦، ص٩٥) . ويقول تعالى في ذم الهوى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ سورة الجاثية . ويقول سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ سورة النساء .

وفي هذا المعنى يرى ابن حزم أن العاقل لا يدرك الأشياء على حقائقها إلا إذا جرّد نفسه من الأهواء كلها ، ونظر في الآراء كلها نظراً

واحداً مستوياً لا يميل إلى شيء منها ، وفتش أخلاق نفسه بعقله تفتيشاً لا يترك من الهوى والتقليد شيئاً البتة...والتجرد من الهوى شرط أولي لصحة الأحكام ونزاهة الاستدلال . (محمود،١٩٧١-١٩٧٢م، ج٣،ص٣٢٨) .

ويقول (بن تيمية د.ت) : " وأضل الضلال : اتباع الظن والهوى كما قال تعالى في حق من ذمهم:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة النجم.

وقال في حق نبيه ﷺ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ سورة النجم . فنزهه عن الضلال والغواية ، اللذين هما الجهل ، والظلم ...وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس ، بل هو وحي أوحاه الله إليه ، فوصفه بالعلم ، ونزهه عن الهوى " ص٦٩ ، وقال رسول الله ﷺ : (**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فقال :ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل في الغضب والرضا**)[1] (أبو نعيم، د.ت ،ج٢، ص٣٤٣) ، ولذلك كان يستعيذ ﷺ بالله من منكرات الأهواء فيقول :(**اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء والأعمال ، والأدواء**)[2] (الحاكم ،كتاب الدعاء ،ج١، ص٥٣٢) .

---

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج١ ،ص٥٨٣ ، برقم ٣٠٣٩ وقال حديث حسن . وأورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٤ ، ص ٤٢١ .

[2] قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم .

إن العقلية الواعية المتفتحة ترفض اتباع الهوى لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل ومنها :

أ – أن الهوى هو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع ، وبذلك يهوي الإنسان في دركات الضلال ، في الدين والدنيا ؛ لأنه مخالف لطريق الهداية المستقيم الذي يرسمه له الوحي .

ب – أن اتباع الهوى مخالفة صريحة واضحة للمقصد الأساسي للشريعة ، وذلك أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة وبيان الأحكام هو إخراج المكلف من داعية هواه ، حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً .

ج – إذا كان الهوى هو الحاكم استغلق وسُدت منافذ التفكير ، فلا قيمة بذلك للآيات البينات ، والدلالات الواضحات ؛ لأن الهوى يرد ذلك كله ويعرض عنه ، فيصبح المرء أسيراً لسلطان الهوى ، وتختلط بين يديه الدروب والمسالك ، وتظلم في طريقه سبل الحق والهداية .

د – اتباع الهوى من معوقات التفكير والبحث العلمي ، فإذا دخل الهوى في مسار التفكير أو البحث فستؤول نتائجه إلى الفساد والخطأ .

٣– رفض التقليد ، والجمود العقلي :

رفض القرآن الكريم الجمود والتقليد في كل صوره يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ سورة البقرة . ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

(١٠٤) ﴾ سورة المائدة .

ويقول تعالى :﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ﴾ سورة الزخرف .

يقول (أبو السعود، د.ت) : في تفسيره لهذه الآيات : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) ﴾: " أي لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم ،﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ﴾ استئناف لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره " (ج٥، ص٥٤٠) .

ويقول (السعدي ،١٤١٤هـ) : " .. وهذا الاحتجاج ، من هؤلاء المشركين الضالين ، بتقليدهم لآبائهم الضالين ، ليس المقصود به ، اتباع الحق والهدى ، وإنما هو تعصب محض ، يراد به نصرة ما معهم من الباطل " (ج٤ ، ص١٤١٥) .

ويشير (الصافي ، ١٤١٩هـ) إلى ذلك بقوله : " وانبنى التنديد القرآني بالموقف الآبائي على أن هذا الموقف يعكس رؤية منغلقة على ذاتها،

رافضة للنظر في أطروحات الخطاب المترل وتعقل مضمونه ، والحكم عليه من خلال تقويم محتواه قياسا بمحتوى التصور الموروث عن الآباء " ص٨٦.

وقد واجهت هذه المشكلة (التقليد والجمود العقلي) إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه .

يقول (زين العابدين ،١٤٠٩هـ) : " أهم مشكلة كانت تواجه إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه : الجمود ، وشدة التعصب لعقيدة الآباء ، والأجداد والإصرار على عدم التغيير والتجديد ، فعندما كان إبراهيم يحاول إقناع أبيه آزر يسوق له الحجج الدامغة والأدلة المفحمة ، كان الوالد المشرك قد عطل عقله ، وأنكر على ابنه مخالفته لعقيدة الآباء والأجداد ،قال : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة مريم . ص١٠٥ . وكان رد قومه عليه لا يختلف عن رد أبيه . قال تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة الشعراء . وقال تعالى :﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة الأنبياء . ورحم الله الزمخشري إذ

يقـــول : " ما أقبح التقليد ، والقول المتقبل بغير برهان ، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفـــروا لها جباههم ، وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهـــبهم ، مجادلون لأهل الحق عن باطلهم ، وكفى أهل التقليد سبّة أنّ عبدة الأصنام منهم" (العدوي ، ٥٤ ، نقلا عن زين العابدين (١٤٠٩هـــ ، ص١٠٦) .

والباحث يشير هنا إلى أن التقليد عند علماء المسلمين على قسمين :

أ – تقليد محمود : وهو المستند إلى أصل من كتاب ، أو سنة ، أو إجماع ، أو نظر صحيح ، فهذا تقليد بالحق وهو أصل من أصول الدين .

قال (القرطبي ، ١٤١٣هـــ) : " أما التقليد الحق فأصل من أصول الديـــن وعصمة من عصم من المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر " (ج٢، ص١٤٢) .

ب – تقلـــيد مذمـــوم : وهو الذي لا يستند إلى دليل ، ولا نظر صحيح ، ولا إلى سؤال أهل العلم ، ولا إلى شهادة عدول ،...وإنما نوع من اتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء والشيطان ، أو ثقة فيمن سبقه وقد غلطـــــوا ، أو تعصباً ، أو تشبهاً ، أو غيرذلك...وقد ورد القسمان في حديـــث (**إن الله لا يترع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه مـــنهم مـــع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهّال يستفتون فيفتون برأيهم فيُضلون ويَضلون**) (البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ، ص١٣٩٤ ، برقم ٧٣٠٧) .

" والحديث ذم من أفتى مع الجهل ، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال ، وإلا فقـــد مدح من استنبط من الأصل ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ سورة النساء ، فالرأي إذا كان مستندا إلى أصل من الكـتاب ، أو السـنة ، أو الإجماع فهو المحمود ، وإذا كان لا يستند إلى شـيء منها فهو المذموم (ابن حجر ، ١٤٠٧هـ ،ج١٣، ص ٣٠١) . وبعض العلماء يسمون التقليد المذموم بالتقليد الأعمى ، وصدقوا فكم جرّ من الويلات على الأفراد والجماعات ، وعلى الدول والحكومات في الحياة وبعد الممات، فالتقليد ليس طريقا للسلامة ولا للكرامة .لأنه جهل .

يقـول (القـرطبي ، ١٤١٣هـ) :" التقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصـلاً لـه ، لا في الأصول ولا في الفروع ، وهو قول جمهور العقلاء والعلماء ... " (ج٢ ، ص١٤٢) .ثم ذكر ابن عطية " أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد"(القرطبي ، ١٤١٣هـ،ج٢،ص١٤٣).

والمقصـود أن التقلـيد المحمود لا يصلح في العقائد ، فإنه يلزم كل مكلـف أن يؤمن بالله ، وملائكة ، وكتبه ، ورسله ...حق الإيمان وأن يعـتقد ذلك اعتقاداً جازماً لاشك فيه أما التقليد المذموم فإنه في الأصول والفروع ، ثم يعود الباحث إلى إبراهيم عليه السلام ودعوته لقومه . هل أصـابه مـا أصابهم من الجمود والتقليد ؟ أم أنه استطاع بما أتاه الله من حكمة ووعي وبصيرة أن يحرك عقولهم المعطلة بطريقة استدراجية منطقية رائعـة تـدل على عقليته الواعية والمتفتحة هذه الآيات القرآنية تبين لنا وتوضـح الكيفـية التي سلكها إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه ،قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ

أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة الأنعام .

استطاع إبراهيم عليه السلام بما أتاه الله من حكمه أن يحرك عقولهم المعطلة ، فعندما رأى كوكباً بعد أن أرخى الليل ستاره .قال بأسلوب المتهكم الذي يتحدث بمنطقهم ويسوق أقوالهم ليرد عليها : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ فلما غاب ذلك الكوكب قال :﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ ثم ترقى معهم من الكوكب إلى القمر فلما غاب أكد لهم أنه لا يصح أن يكون إلهاً ؛ لأنه يبزغ تارة ويغيب تارة أخرى ، ثم ترقى معهم إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناءً وبهاءً فبين بعد أن أفلت أنها مسخرة ميسرة مقدرة مربوبة ، وبعد أن افلت الكواكب كلها _والقوم يشاهدون هذه الظاهرة _ أعلن إبراهيم عليه السلام براءته من كل ما يعبده قومه من دون الله من أصنام وأوثان وكواكب ، وطغاة متجبرين بأنها لا تنفع ولا تضر ، ولم يبقى أمام إبراهيم عليه السلام إلا زعمهم بأن آلهتهم ستلحق به الأذى إذا استمر في نقدها وتجريحها .. وهذه المقولة فندها عليه السلام ، وتحداهم إن كانت هذه الأصنام قادرة على الدفاع عن نفسها ، ورد الضرر الذي يلحقه الآخرون بها فكيف تنظرون أن تكون قادرة على إلحاق الضرر بي ؟! والواقع يشهد على أن إبراهيم عليه السلام مضى عليه سنوات وهو يهاجم هذه الأصنام فأين ضررها عليه ؟! ومن قبل ما كان قوم إبراهيم عليه السلام يسمحون لعقولهم أن تفكر بأقوال هذه الكواكب

أو بـــتفاهة تلك الأصنام ؛ لأن القضية عندهم غير قابلة للحوار وهل همْ أكـــثر فهماً وأرجح عقلاً من زعمائهم وأجدادهم ؟!وهاهو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يحرك عقولهم المعطلة بطريقة استدراجية منطقية رائعة قـــال تعالى :﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقـــول (السعدي ، ١٤١٤هــ): في تفسيره لهذه الآية ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ ﴾ : أي علا بها عليهم ، وفلجهم بها .؟ . (ج٢، ص٤٢) . وكما أن القرآن الكريم يرفض التقليد والجمود ، فكذلك السنة النبوية المطهرة ترفض ذلك ، فعن حذيفة رضي الله عـــنه قال : قال رسول الله ﷺ: (**لا تكونوا إمعةً تقولون إن أحسن الناسُ أحسنَّا ، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلوا**)[1] (الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ،ج٤، ص٣٢٠،رقم الحديث (٢٠٠٧) .

والتربـــية الإسلامية ذات فكر تربوي إسلامي متميز ، لا يمكن أن تبهت شخصيته بمؤثرات خارجية "وأساس هذا التميز الأساس الرباني الذي تقوم عليه وهو الوحي الإلهي ، الذي يعلو به فوق الفكر البشري المخالف كله ؛ لأنه يرتكز على حقائق مطلقة الصدق لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ثم إن الشمولية التي استمدها من شمولية الوحي الإلهي أغنته عن الحاجة إلى استمداد مقومات حياة من سواه "(الزبيدي ، ١٤١٥هــ ،١٣٠) .

وعمومـــاً فالعقلـــية الواعية المتفتحة ترفض التقليد والجمود العقلي لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل :

---

[1] قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

أ- أن التقليد والجمود يعود صاحبه على الإلف والعادة والموروثات الاجتماعـية الـتي يتناقلها النّاس جيلاً بعد جيل ، ويقود ذلك إلى التقليد الأعمى .

ب- انحـباس العقل عن البحث والنظر ، فالتقليد من أكبر عوائق البحث والتفكير العلمي .

ج- تعطـيل العقل ، فالتقليد يعني قبول الحق بالآراء والأقوال دون معـرفة برهانها وفي هذا تعطيل للعقل ، ومن ثم يضعف العقل شيئاً فشيئاً كلما قل استخدامه .

د- التقليد ليس طريقاً للسلامة ولا للكرامة ؛ لأنه جهل .

هـ- التقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له ، لا في الأصول ولا في الفروع .

٤- النظر العقلي :

والمراد بالنظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص ، وهو الرويّة (الأصفهاني ،١٤١٨هـ ، ص ٨١٢) .

والمراد بالنظر العقلي: هو الذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمل والاعتبار ، بخلاف النظر البصري ، فهو الذي يستخدم الإنسان فيه عينه (القرضاوي ،١٤١٦هـ ، ص٢٥٨) .

والقـرآن حافل بالآيات التي تحث على النظر وتدعو إلى التفكر ، ويقوم المنهج الصحيح للنظر العقلي على :

أ - دعوة العقل إلى الأخذ بأسباب العلم وتحري المنهج العلمي :

دعا القرآن الكريم إلى الأخذ بأسباب العلم ،ودعا إلى أن يستزيد المسلم من العـلم مـا استطاع ، ودعا إلى أن يلجأ المسلم إلى الأسلوب العلمي في

التعامل مع الدين والدنيا قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الزمر .

وقال تعالى : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة طه .

ومن دعوة الإسلام إلى تحري المنهج العلمي أنه وجه النقد إلى أولئك الذين يناقشون أمراً لا علم لهم به ، ولم يتحروا جميع مفرداته أو معطياته ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة آل عمران . يقول (ابن كثير ، ١٤١١هـ) في تفسيره لهذه الآية : " وهذا إنكار على من يحاج في ما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما لهم به علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لايعلمون فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد مالا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها ، ولهذا قال : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ " (ج١، ص٣٥٢) .

" ومن التأكيد على أن الإسلام يدعو إلى تحري المنهج العلمي أنه جعل المنهج التجريبي كذلك من مطلوباته ، بل نصّ على أولئك الذين

يتوصلون إلى العلم من غير طرقه الأساسية ، التي أهمها الإدراك الحسي ، والإدراك العقلي نعى عليهم ذلك بل نهاهم عنه كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الإسراء . إذ المنهج التجريبي في جوهره هو الاعتماد على الحواس في إدراك المحسوسات ، وعلى العقل في إدراك المعقولات ، وذلك هو الأصل وعلى كل إنسان اتباعه ،بل إن الإنسان مسؤول بين يدي الله تعالى إذا لم يستخدم أدوات المعرفة التي أتاحها الله له من سمع وبصر وعقل " (محمود ،١٤١٢ ، ص ٢٧٢) . وعليه فإن دعوة الإسلام العقل إلى الأخذ بأسباب العلم لتؤكد أنه يشجع على العلم ولا يحاربه ؛ لأن الإسلام لا يخشى من العلم ، ولا مما يكشف عنه من مخترعات ، بل يعتبر ذلك تأكيداً له ، ولما يدعو إليه . إن الإيمان الذي يدعو إليه الإسلام إيمان يقوم على العلم والمعرفة ، لا على التسليم الساذج المقلد لأنه لا يرضى بالتقليد في الإيمان .

وهناك من يتهم الإسلام بمحاربة العلم ، فلا شك أن اتهامه باطل لا يقوم على دليل ولابرهان ، وخير مانرد به على أولئك التعرف على التاريخ الحضاري للإسلام ، فلقد كانت الحضارة التي أقامها المسلمون باسم الإسلام تضمنت بناء نهضة علمية عميقة وواسعة شملت كل مرافق الحياة الإنسانية ، وهيأت للمسلمين ولمن يعيش في ظلالهم من غير المسلمين حياة إنسانية أكثر تحضراً ورقياً من كثير من الحضارات الأخرى ، لقد كانت حضارة شهد بها التاريخ الإنساني من المسلمين وغيرهم .

يقول (بريفولت) مؤلف كتاب (بناء الإنسانية) : " لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج. إن العبقريّة التي ولّدتها ثقافة العرب في أسبانيا لم تنهض في

عنفوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظـلام ، و لم يكـن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ،بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحـياة الأوروبـية فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحـي الازدهـار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسـلامية بصورة قاطعة "، ويستطرد فيقول :" إنما يدين به علمنا لعلم العـرب[1] ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بـل يدين هذا العلم للثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسـه فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود ... أما ما ندعوه العلم فقد ظهـر في أوروبـا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ... وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي " ويقـول أيضا :" إن روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلم الغربي ، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس وليس لروجر بيكون ولا سميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إلـيهما الفضـل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية "(إقبال ، ١٩٦٨م ، ص ١٤٩- ص١٥٠) . فميلاد هذا المنهج كان أثرا مباشرا من تـأثير القـرآن والسنة النبوية على استبدال المنهج التجريبي وجعله المنهج الرئيس في ميدان البحوث الطبيعية بمنهج التفكير السائد قبل الإسلام وهو المـنهج التأمـلي اليوناني والذي يعتمد على مجرد التصور العقلي والقياس المنطقي المجرد . (المبارك ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٢٥) .

---

(١) حينما يطلق المؤرخون والباحثون الغربيون ومن درج على طريقتهم كلمة (العرب)فإنما يريدون بها المسلمين سواء كانوا عربا أم غير عرب .

ويقول جوستاف لوبون : "ومن العوامل الفعّالة في أصول المدنية التي وضـع العـرب أساسها ، شدة ما كانوا عليه من الذكاء فإنهم ما كادوا يخـرجون مـن صحارى بلادهم حتى اتصلوا بالمدنية اليونانية واللاتينية ، فاستغربوا شأنها ثم ما لبثوا أن راضوها على أسلوبهم وطريقتهم ، تحمس العرب لدراسة العلم الجديد الذي خرجوا إليه بنفس الحماسة التي اندفعوا بها فاتحين ، ولم تعقهم أثقال عادات وأوضاع قديمة ، فإن الحرية في البحث كانـت أحد العوامل التي أسرعت بانطلاقهم في طريق الرقي ، ولم يمض زمـن قصير حتى طبعوا الهندسة والفنون والعلوم بطابعهم الشخصي الذي تعـرف بـه آثارهم من أول وهلة "(الشرقاوي ،١٤١٦هـ، ص٣٩) .

ويتكلم لوبون عن المسلمين في الأندلس فيقول : " لم يكد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى بدؤوا يقومون برسالة الحضارة فيها فاستطاعوا في أقل من قـرن أن يحيوا ميّت الأرضيين...، ويقيموا أفخم المباني ، ويوطدوا وثيق الصـلات التجارية بالأمم الأخرى ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم ، والآداب ، ويـترجمون كتب اليونان ، واللاتين ، وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمنا طويلا ..."(الميداني ،١٤١٨هـ ص١٢٨) . ويعترف (مسيو أوليري) بفضل الحضارة الإسلامية ، حيث يقول : " لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوربيّة في أوربا بضعة قرون ، وإنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعات فرنسا "(الجندي ،١٤٠٥هـ، ص١).

وهـذا (مايـرهوف) يقول : " إن المسلمين والعرب أسدوا جليل الخدمات إلى بحوث الضوء ونظرياته ، هذا العلم الذي يتجلى لنا في عظمة الابتكار الإسلامي ، ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن "(الجندي ، ١٤٠٥هـ ،ص١٧).

وهكذا نجد أن الأمة الإسلامية هي التي قدمت لأوربا زاد نهضتنا العلميّة ، وأن النهضة العلميّة التي وصل إليها المسلمون لا يزال العالم يعيش في ضلالها وآثارها إلى اليوم .

ب – دعوة الإسلام إلى التأمل والنظر في سنن الله في خلقه :

إن مخلوقات الله تعالى في هذا الكون كثيرة ، وإن على رأس هذه المخلوقات الإنسان نفسه ، وإن الإسلام دعا الإنسان إلى التأمل في هذه المخلوقات جميعا ليهتدي بذلك إلى الحق ،وليصبح أقوى إيماناً ، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الذاريات .

يقول (السعدي ،١٤١٤هـ) في تفسيره لهذه الآيات :" هذه دعوة إلى التفكر والاعتبار ، وتلك الدعوة شاملة لنفس الأرض وما فيها ، من جبال وبحار ، وأنهار ، وأشجار ، ونبات ، تدل المتفكر فيها ، المتأمل لمعانيها ، على عظمة خالقها ... وكذلك في نفس العبد من العبر ، والحكمة ، والرحمة ، ما يدل على أن الله واحد ، صمد ، وأنه لم يخلق الخلق سدى ." وكذلك مادة الرزق من الأمطار وصنوف الأقدار ، فلما بين الآيات ونبّه عليها تنبيها ، ينتبه به الذكي اللبيب ، أقسم تعالى على أنه وعده وجزاءه حق ،وشبه ذلك ،بأظهر الأشياء لنا وهو النطق فقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، كما يدعو القرآن الكريم إلى السير في الأرض للنظر في

سنن الله من خلقه ، فيقول تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الأنعام .

يقـــول (ابن كثير ،١٤١١هـــ) في تفسيره لهذه الآية :" فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخره لهم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين"(ج٢، ص١١٨) .

ويعلـــق (الســـعدي ،١٤١٤هـــ) عند تفسيره لهذه الآية بقوله : " وهـــذا السير المأمور به ، سير القلوب والأبدان ، الذي يتولد منه الاعتبار وأما مجرد النظر من غير اعتبار ، فإن ذلك لا يفيد شيئا " (ج٣، ص٢٨) .

ويفســـر (القـــاسمي ،١٤١٥هـــ) هذه الآية بقوله :" أي سيروا في الأرض لـــتعرفوا أحوال أولئك الأمم ، وتفكروا في أنهم أهلكوا لما كذبوا الرســـل وعـــاندوا فتعرفوا صحة ما توعدون به ، وفي السير في الأرض ، والســـفر في البلادومشاهدة تلك الآثار _ الخاوية على عروشها _تكملة للاعتبار ، وتقوية للاستبصار " (ج٣، ص٢٨) . ويقول تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ سورة آل عمران ، ويقول تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ

ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة الروم .

ويقول تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الروم ، وهذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكرهم في الآثار ، وتأملهم لمواقع الاعتبار .(القنوجي ، ١٤١٥هـ، ج١٠ ، ص٢٣٠) .

وفي بيان أهمية السير يقول (بكار ، ١٤١٣هـ): " وقد بنى الإسلام عقلية الانفتاح عند المسلم بأمره بالسير في الأرض ، وباطلاعه على تجارب الأمم الماضية ومواقفها مع أنبيائها " (ص٢٢٨) . وبالسير في الأرض والنظر في مخلوقات الله وفي سيرة الأولين ومسيرتهم يكتسب الفرد حسن التعامل مع حاضره وحسن التوجه إلى مستقبله .

٥ – الاعتماد على الدليل والبرهان :

لقد طالب القرآن الكريم والسنة النبوية بالدليل والبرهان ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى ، عن دعوى أهل الكتاب : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة البقرة .

يقـــول (القـــنوجي ،١٤١٠هـــــ) عـــند تفســـيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ " أي حجتكم عـــلى دعواكـــم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم ، والبرهان الدليل الذي يحصل عنده اليقين ... قال الرازي دلت الآيـــة عـــلى أن المدعـــي سواء ادعى نفياً ، أو إثباتاً فلا بد له من الدليل والبرهان " (ج١، ص ٢٥٤) .

ويعلق (السعدي ، ١٤١٤هـــ) على ذلك بقوله : " وهكذا كل مـــن ادعى دعوى ، لابد له أن يقيم البرهان على صحة دعواه ٠ وإلا فلو قلبت عليه دعواه ، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما فالبرهان ، هو الذي يصدق الدعوى أو يكذبها "(ج١، ص ٩٥) ، ومثلها قوله تعالى :﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة النمل .

يقـــول (أبو السعود د.ت) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ " أي هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً وفي هذا تبكيت لهم وتهكم بهم "(ج٤، ص٢١) ويقـــول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الأحقاف .

يقول (القاسمي ،١٤١٥هـــ) في تفسيره لهذه الآية : " هذا تبكيت لهـــم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بســـند عقلي والمعنى : أي ائتوني بكتاب إلهي من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحـــيد ، وإبطـــال الشرك ، دال على صحة دينكم ، أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في دعواكـــم ، فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقـــلي أو سلطان نقلي . وحيث لم يقم عليها شيء منهما ، وقد قامت على خلافهما أدلة العقل والنقل ، تبين بطلانها"(ج٦ ، ص٢٣٠) . وعليه يتبين أن الله تعالى طالبهم بالتثبت في دعواهم وإقامة الدليل عليه والبرهان عـــلى صـــحة مـــا يدعون . فإذا كان قولهم مبناه على النقل والخبر فأين الكتاب ؟ وإذا كان قولهم مبناه على العقل والنظر فأين البرهان ؟ فهو عز وجـــل قـــد طالـــبهم بتقديم البرهان النقلي أو البرهان العقلي ، فإن كان مستندهم هو النقل ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ ، وإن كان مســـتندهم هـــو النظر والعقل ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ ، وما دامت دعواهم خالية من نقل صريح وعقل صحيح ، إذن فهي دعوى ساقطة ، ليس لها سند ولا دليل .(صابر، ١٤١٨هـــ ، ص١٢٩- ص١٣٠) . ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (**لو يعطى الـــناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ،ولكن اليمين على المدعى عليه**) (مسلم ، كتاب الأقضية ، باب اليمين على المدعى عليه ، ج٣، رقم الحديث١٧١١) .

ويقـــول في شـــرحه لهذا الحديث : وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعـــد أحكـــام الشرع ،ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد

دعواه ، بل يحتاج إلى بيّنة أو تصديق المدعى عليه .(النووي ، ١٤١١هـ، ج١٢، ص٣) . والمسلم مسئول أمام الله عز وجل عن كل ما عرفه واقتنع به بحيث يجب عليه أن يتثبت منه ، وأن يجد على صحته الدليل والبرهان ، قبل أن يأخذه ويجعله سلوكاً له ." وإن التماس الدليل والبرهان في الإسلام مطلب عام في كل الأمور، العقديّة والعباديّة، والأخلاقيّة، والعاديّة ، وما لم يجد المسلم الدليل النقلي اتجه إلى الدليل العقلي ، فإن قام على الأمر دليلان من العقل والنقل فلن يتعارضا أبدًا "(محمود،١٤١١هـ،ص٢٦٦). وبالاعتماد على الدليل والبرهان تتساقط كل الخرافات والضلالات الفكريّة التي ليس لها حظ من الأثر أو النظر ، وتسلم العقول والبصائر من الانتكاس والانحدار .

ثالثاً : أهميَّة الانفتاح العقلي في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

يكتسب الانفتاح العقلي أهميته من قيمة العقل والفكر ، أو من قيمة الفكر الذي يصل إليه العقل ، وأثره على حياة الإنسان ، وعليه وبعد استعراض بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى إعمال العقل والفكر ، وكذلك المواقف النبويَّة التي تتضح فيها هذه الصفة بصورة جليَّة ، يمكن بيان تلك الأهميَّة في النقاط التالية :

١- إن واقعنا المعاصر يعيش صراعاً فكرياً بالدرجة الأولى ، وعقدياً وتشريعياً بل وتقنياً ، ومن ثمَّ يلزم وجود عقلية واعية متفتحة ، ومنضبطة بضوابط الإسلام تخلق فكراً إسلامياً إيجابياً ، يحقق للمسلمين بناء مجتمعهم المتميز على الكتاب والسنة ، وتحصنهم من سهام الفكر الغازي لديارهم وعقولهم وإعطاءهم قوة وقدرة على التعامل مع هذا الغزو وعلى بصيرة من دينهم أخذاً ورداً .

٢- أنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري : الإسلام ينظر إلى التقدم العلمي ، والازدهار الحضاري على أنهما ثمرة من ثمار الفكر الناضج والانفتاح العقلي ، ودعوة الإسلام إلى الأخذ بأسبابها واضحة جليَّة ، فآيات الحض على التزود من العلم ، والنظر في نواحي الكون كثيرة وكلها تلفت نظر العقلاء بشده إلى التأمل في كل شيء : في خلق السماء ، وفي خلق الأرض ، وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما ، وفي الفلك التي تجري في البحر ، وفي السحاب ، والمطر ، إلى غير ذلك من كل ما يتناوله البحث العلمي بالدراسة والتأمل .(الميداني ، ١٤١٨هـ، ص٣٢٢ - ص٣٢٣) . ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ سورة البقرة .

فهذه الدعوة الربانية إلى إعمال العقل وتوجيهه الدائم إلى التدبر ، والتفكر في كل جوانب الكون للتعرف على الحقائق بشمول وعمق هي منهج البحث العلمي في أصدق أصوله ، وأرسخ قواعده . (الخطيب ، ١٤١٨هـ ، ص٢٢٠) . وهي العامل الأساسي الذي فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ، ويسر للدنيا هذه الكشوف الجلية لأسرار الوجود وسخر للناس مالم يكونوا يحلمون به . (الغزالي ، ١٤١٦هـ، ص٢٢٦) . فتقدير الإسلام وتوجيهه لأدوات الفكر إلى النظر والتأمل والتفكر

والاعتبار واضح في الإسلام لا يحتاج إلى تكرار أو تأكيد فالتفكر في الإسلام قرين العبادة وهما صفتان يتصف بهما أولو الألباب ، والفكر وسيلة للرقي العلمي والتطور العمراني ، فالإسلام كما حض على الترقي العلمي دفع الفكر إلى العمل الصناعي والعمراني ، فهما المجال التطبيقي للجانب العلمي الذي لا يتم التقدم الحضاري إلا بهما . (الميداني ، ١٤١٨هـ ، ص٣٤٣) .

والإسلام حينما يوجه الفكر إلى البحث العلمي أو التقدم العمراني ، لا يقصر توجيهه على جانب من جوانبهما ، فكل ما يؤدي إلى المزيد من العرفان ويوثق صلة الإنسان بالله وبالوجود ويفتح آفاق أبعد من الكشف والإدراك ويتيح له السيادة في العالم ، والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة وينبغي على المسلم أن يتطلع إليه ويتضلع منه .(الغزالي ، ١٤١٦هـ ، ص٢٣٠) . ويفضل هذا الشمول في التوجيه الإسلامي للعقل والفكر يمكن للمسلم أن يصل إلى نتائج علميَّة تناسب طبيعة تكوينه ورسالته في الحياة ، بحيث تمكنه من بناء حضارة متقدمة في جميع جوانبها .

٣- أنه سبيل لبناء العادات الحسنة والتحرر من إسار التعصب والجمود : إن العقل البشري لقي احتقاراً وازدراء في مجتمع الكنيسة ، وكذلك في المجتمع العربي قبل الإسلام و لم يجد تقديره ورعايته إلا في الإسلام الذي كسر عنه طوق الجمود وحرره من قيود الجاهليَّة وأغلالها ، ودفعه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق فيها من مخلوقات وحثه على السير في الأرض وتأمُّل حوادثها واستنتاج سننها ، وعلى التبصر في طبيعة نفسه وتركيبها ، و لم يكن الكون والنفس غاية مطافه وعمله ، بل أوجب على العقول الناضجة أن تنظر في الأدلة لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة ، فلم يُحل تقديس الشريعة وصيانتها

دون التفكر في أدلتها ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة محمد . وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فأجتهد ثم أخطأ فله أجر**) . (مسلم ، كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد ، فأصاب أو أخطأ ، ج٣ ، ص١٠٨١ ، رقم الحديث ١٧١٦) .

" والإسلام يهدف إلى تنشئة الشخصية المستقلة ، لذا يرعى العقول على الذاتية المهتدية بنور الإيمان والمنتفعة بتشريعاته ، وينميها على الحذر من الانسياق مع فكر غيرها بالتقليد والتبعية ؛ لأنهما من مظاهر فقدان الشخصيَّة وتعطيل العقل عن العمل ".(الحليبي ، ١٤١٩هـ، ص٢٧٤) . " ويحرص على تكوين العقل الاستدلالي ، أو البرهاني الذي لا يتقبل فكرة دون تمحيص ، ولا يؤمن بعقيدة ما لم يتحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعي ضمانًا للحريَّة الفكريَّة وعاصماً للإنسان من التفريط فيها بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة" (الجوهري ، خيَّال ،١٤٠٠هـ ، ص٥٩) . ولقد ذم الله المقلدين ، ونهى عن التسرع في الأمور دون تمحيص وأمر بإقامة الحكم على الدليل والبرهان ، واسقط كل استبداد خارجي يقهر العقل عن طريق أحبار أو رهبان أو كهان،ومن طبيعة هذا الدين أنه : "يفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة مثقفه مدركة واعية ؛ لأن حقائقه ... من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات ... بتفاصيلها الدقيقة وأصولها العميقة ليست طقوساً مبهمة تنتقل بالتقليد والوراثة ... ، وليست تمائم وتعاويذ تُحمل بغير فهم أو إدراك ... ، وليست سحراً وشعوذة يعتمد على الإيحاء والإيهام ...،ولكنه وحي ثابت محدد ، يقيني ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...وقامت الأدلة على

صدق وحيه " (النّجار ، ١٤١٠هـ ، ص١١٦- ص ١١٧) ، فلا بد من أن يعم الوعي الفكري جميع أفراد أمَّة الوحي الصادق وأيّاً كان قدر هذا الوعي فإن العناية به فكريّاً ومتأكد لبناء أجيال قادرة على الإبداع والرقي .

٤- أنه وسيلة للإقناع الإيماني : إن الإيمان بشموليته وتفاصيله يمازج العقل ويقيمه دليلاً هادياً إليه ، مما لا يبقى أثراً لتوهم أن الإيمان على الدوام تسليم بما يأباه العقل ، أو قبول محض ليس للعقل اجتهاد في الحكم على أدلته ، إن الإيمان هنا نتيجة لعمل العقل غاية جهده ، وليس نتيجة لإهماله وإبطال وجوده . (العقاد ، ١٩٧٤م ، ص٤٠٣) . " فالإيمان في الإسلام ليس رموزاً باهته لا يعلم لها معنى ولا حكمة ، وليس قضايا ساقطة يأباها العقل الصحيح ، أو تعاليم مزورة يرفضها العلم ، ويثبت بطلانها ، بل الإيمان يتخذ من العقل وسيلة للعروج إليه ، وأساساً لمبادئه وأصوله ويساير فطرة العقل ورغبته في التأمل واستكشاف العلل والأسباب " (الحليبي ،١٤١٩هـ ،ص٢٦٥) .

وكما دعا القرآن الناس إلى الإيمان بالله و صفاته ، وجههم إلى بلوغه عن طريق إعمال العقل واستخدم أدوات المعرفة التي لديهم للتفكر في دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته وعدله وسائر صفاته الدالة على وجوده (الميداني ، ١٤١٨هـ ص٣٢١) . ولم يقتصر القرآن على دفع الحواس إلى تأمل مخلوقات الله تأملاً استدلالياً بل استعمل ضروب الإقناع العقلي الأخرى ، فالعقل الإنساني فطر على البحث عن الأسباب فهو يؤمن بداهة بأن لا حادث من غير محدث سؤال مفحم قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الطور . فهل يمكن أن يوجد الإنسان نفسه ؟ هذا محال عقلاً ؛ إذ لا بد له من موجد ، وفطر العقل في البحث عن الغاية والهدف من وراء كل تنظيم وإتقان وإبداع ، فهذا الكون العظيم حتماً وراءه متقن ، وهذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم لم يخلقه عبثاً ، قال تعالى :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ سورة المؤمنون . وهذه الأدلة تثبت بوضوح أن الفكر وسيلة مثلى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بآثاره ، فالعقلاء العالمون هم الذين يصلون ببصيرتهم إلى هذه المعرفة عندئذ يخشونه حق خشيته ويتعظون بالحوادث والأمثال وينتفعون بم فيها من عبر وحكم قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة العنكبوت . فلا خوف على الإيمان من البحث العلمي ، فالحقيقة لا تخشى البحث ، والإسلام على يقين من أن البحث العلمي السليم والتأمل السديد لا بد من أن يوصلا أصحابهما إلى نفس النتائج التي قررها . (الميداني ، ١٣٩٩هـ ، ص١٠٠) .

الفصل الثالث

الانفتـــاح العـــقلي في التربيـــــة الإسلامـــيـــة

أسسه ، ومظاهره ، وضوابطه

أولاً : أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

ثانياً : مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

ثالثاً : ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

أولاً : أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية :

مقدمة :

الأسس جمع أساس : وهو قاعدة البناء التي يقام عليها ، وأصل كل شيء ومبدؤه ، ومنه : أساس الفكر ، وأساس البحث .(مصطفى وآخرون ١٣٩٢هـ ، ج١، ص١٧) . والأساس هو : الأصل العام الذي يقوم عليه الشيء ويرتكز عليه كالنبات والبناء في الماديات ، والأفكار والأحكام في الأمور المعنوية (خياط ، ١٤١٦هـ ، ص٢٣). وسوف يتناول الباحث بالبحث والدراسة في هذا الفصل بعض الأسس ، التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ،ثم ينطلق بعد ذلك إلى أهم المظاهر والضوابط وعليه فإن الأسس التي يرتكز عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية تعتبر المسوغ الوحيد لصحة وصْفِهِ بالانفتاح العقلي الواعي والمنضبط في التربية الإسلامية ، وفي المقابل لا يطلق عليه انفتاح عقلي في التربية الإسلامية إذا لم يستند إلى هذه الأصول ؛ لأن البناء لا بد له من أساس ، كما أن البناء الذي يخرج عن أساسه لا يلبث أن ينهدم ، ويمكن بيان هذه الأسس على النحو التالي :

١ـ الإيمان بالله :

يعد هذا الأساس من أقوى الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ومنه تنطلق بقية الأسس التي سوف يتطرق لها الباحث ؛ لأن المطالبة بالتزام الفضائل ، واجتناب الرذائل لا يتحقق إلا باعتقاد جازم يحمل على العمل ، ولأن المحاسبة على الفعل أو الترك لا تتصور شعوراً حياً إلا بيقين راسخ يبعث على الاستعداد ، هذا الاعتقاد وهذا اليقين هو الإيمان بالله تعالى أساس الدين و" أول دعوة الرسل وأول

مـــنازل الطـــريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة الأعراف وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ سـورة النحل . وقال ﷺ : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**) . (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله ...، ج١، ص٥٨ ، رقم الحديث ٢٢) . ولهذا ...فإن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله " (الحنفي ،١٤٠٢هـــ ، ج١، ص٥) . فإذا آمن بها وبما تقتضيه من أركان : وهي الإيمان بالملائكة والكتـــب والرســـل واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، طلب منه العمل بـــباقي أحكام الشريعة ، ومنها التحلي بالفضائل ،واجتناب الرذائل ،كما يدل عليه قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سـورة التوبة . وبالإيمان يحصل للنفس الإنسانية تـــأثير يجعلها تشعر بمسئوليتها ، وتنهض بما يجب عليها .. فإن المؤمن إذا آمـــن بـــالله إلهاً واحداً ، له الأمر والخلق ، يذعن لأمره ما في السماوات والأرض وما بينهما ، عالم الغيب والشهادة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، شرع الدين ، وأرسل الرسل ، وانزل الكتب لهدايـــة الإنسان ، وإرشاده إلى طريق الخير ، ولبيان ما يجب عليه في الحياة الدنيا ، وما يترتب على عمله من جزاء ، وأدركه ووعاه علم انه مسؤول أمام ربه عن عمله ومجازى عليه . (المودودي ، ١٣٩٧هـــ ، ص١١) .

يقـــول (ابن القيم ، ١٣٩٢هـــ) : " من كملت عظمة الحق تعالى في قلبه عظمت عنده مخالفته ؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونـــه ، ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها وفقرها الذاتي إلى مولاه الحق في كـــل لحظة ونفس ، وشدة حاجتها إليه ، عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونفس ".(ج١ ، ص١٤٤) ، ويتمم ذلك بقوله: "ومدار السعادة ، وقطب رحاها على التصديق بالوعيد ، فإذا تعطـــل من قلبه التصديق بالوعيد خرّب خراباً لا يرجى معه فلاح البتة ، والله تعـــالى أخبر أنه إنما تنفع الآيات والنذر لمن صدق بالوعيد ، وخاف عـــذاب الآخـــرة) . ص١٤٤ .قال تعالى :﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ سورة ق . ويحصل كذلك للجماعة أن ينشأ أفرادها على الشعور بالتبعة فتتطهر نفوسهم وتقوم أعمالهم على أساس متين من خشية الله في الســـر والعلـــن ، ويصلح سلوكهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ، وتستقيم حياتهم على أحكام الله تعالى (المودودي ، د.ت ، ص ١٥٥) . أما نهوض النفس بما يجب عليها فإن الإيمان بمثابة الطاقة المحركة للإنسان ، والموجهة لجوارحه نحو العمل الصالح ، ذلك أن الإيمان إذا استقر في القلب وملأه بجلال الله تعالى وعظمته وقدرته ووعده ووعيده أشرق نوراً وعمر بعـــد خراب ، وأضاء بعد ظلمة ، ثم لانت المفاصل عند ذلك ، وتوثبت الجوارح إلى فعل الطاعات . (المحاسبي ، د.ت ،ص١٥٥) ؛ لأن الأعمال تابعـــة للقلوب . " فإن كانت حركة القلب وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله ، وإن كانت حركته وإرادته لغير الله فسد وفســـدت حـــركات الجسد بحسب فساد حركة القلب " .(ابن رجب ، ١٤٠٠هـــ ، ص٧٣) .

والإيمان منبع الأوامر والالتزامات ، وهو فعل المطلوب ،والانتهاء من المخالفـــة ، والمجازاة على ذلك .(الحليبي ،١٤١٧هــ،ص١٠٤) . قال الله تعالى :﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ سورة الإسراء .

قـــال الزجاج :كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو العهد . (القرطبي ، ١٤١٣هـــ ، ج٥ ، ص١٦٧) . كما أن ارتباط الأوامر بالإيمان يضفي عليها تعظيماً في النفس الإنسانيّة ، يستقي من القلب الحي حياته وشعوره أمـــا القلب الميت المعرض عن الإيمان ، فإنه لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، فالقلب الحي هو قلب المؤمن ، والقلب الميت هو قلب الكافر وقد وصفهما الرسول ﷺ على الترتيب ، فقال : (**قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه**) . (ابن حنبل ، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ج٣ ، ص٣٩٣ ، رقم الحديث ١٠٧٤٥) . وقد بـــين (ابن القيم ، د.ت) أن معنى (سراج يزهر : هو مصباح الإيمان) . (ج١ ، ص١٨) . ويـــأخذ مـــنه العقل منهجه في قياس الأمور ، ومعرفة خيرها ، وشرها ، وعواقبها في الحال والمال ، فإنه متى ترك العقل الرجوع إلى هذا الأصل الثابت ، واتبع هواه انحرف عن قياسه ، واضطربت موازينه كما قال تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ســـورة الجاثية . ومن ذلك نخلص إلى أن الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية لا يكون انفتاحاً واعياً ومنضـــبطاً في حدود الشرع إلا إذا ارتبط بالإيمان ، واعتمد عليه ، واتخذ من العقل والقلب أساسين معينين في انضباط واستشعار مقتضاه لدى أفراد المجتمع .

٢- الأمانة العلمية :

الأمانة من لوازم الإيمان والإسلام يحرص على ذلك ، ويرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ ، تصان به حقوق الله ، وحقوق الناس ، تحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أميناً . والأمانة " خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق ، أو هي نهوض بالرعاية لكل ما في عهدة الإنسان من شيء حسي أو معنوي " (الماص ، ١٤١٨هـ، ص١٧) . وتعرف أيضاً بأنها : " صيانة الإنسان كل ما ينبغي صيانته من حقوق ، أو فروض ، أو واجبات ، أو حدود ، أو أشياء مادية ، أو معنوية سواء كانت لله تعالى أم للناس ". (الشرباصي ، ١٤٠٧هـ ، ج٢، ص١٥) . وهي من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي تنضوي تحتها جميع أحوال العبد الدينية والدنيوية ، ولذلك كانت محل عناية القرآن الكريم حيث تحدثت آياته الكريمة عنها حديثاً مستفيضاً أمراً بها ، وتنويهاً بشأنها وشأن أهلها ، نهياً عن ضدها وهي الخيانة ، وفي ذلك دلالة على عظم منزلة الأمانة عند الله تعالى ، وبالغ أثرها في استقامة المجتمع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب . والأمانة التي تتحدث عنها الآية هي : " كل ما يؤتمن عليه المرء : من أمر ، ونهي وشأن دين ودنيا ، والشرع كله أمانة " . (أبو حيان ، ١٤٠٣هـ، ج٧ ، ص٢٥٣) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى النهي والتحذير من ضدها وهي الخيانة التي هي من أخس رذائل الأخلاق وأسوء مساوئها ، وذلك لأنها

تعني : "التفريط في الأمانة " .

(المناوي ، ١٤١٠هـ ، ص٣٢٩) ، وهذا الخلق إنما هو من أخلاق الكافرين والمنافقين أما المؤمنون فلا ، لأن المؤمن قد يَطّبّع على كل شيء من رذائل الأخلاق ، إلا الخيانة والكذب فإنهما يزاحمان الإيمان فينفيانه .

وقد كان هذا التحذير من هذا الخلق في القرآن الكريم شديداً في آيات كثيرة منها قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة البقرة ، وهذا نهي عن الخيانة الدينية بتعطيل الفرائض والسنن ، أو بالإضمار خلاف ما يظهر المرء وهو النفاق ، أو بالغلول في المغانم ، أو بعدم النصح لله تعالى ورسوله ﷺ أو غير ذلك مما يندرج في الدين ، وهو أيضاً نهي عن الخيانة الدنيوية وهي المتعلقة بحقوق المسلمين المادية والمعنوية. (البيضاوي ، ١٤٠٢هـ ، ص٢٣٨) .

وكما عُنِيَ القرآن الكريم بذلك ، فقد عُنِيَتْ السنة النبوية بذلك ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : (**لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له**)[1] . (ابن حنبل ، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، ج٤ ، ص١٤٣، رقم الحديث ١٣٢٢٥) .

وقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه :(**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**) . (مسلم ، كتاب الأمارة ، باب كراهية الأمارة بغير ضرورة ، ج٣ ، ص١١٥٨ ، رقم الحديث ١٨٢٥) .

---

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ج٢ ، ص١٢٠٥ ، برقم ٧١٧٩ ، وقال : حديث صحيح .

يقـــول (الماص ، ١٤١٨هـــ) : " فالأمانة من الأخلاق الفاضلة ، وأصل من أصول الديانات ، وهي ضرورية للمجتمع الإنساني ...، وسر نجاح العمل ، ومفتاح سعادة الفرد والمجتمع ". ص ١٨ .

إن مدلـــول الأمانـــة مفهوم إسلامي يشمل ألواناً كثيرة ومجالات مـــتعددة وأنمـــاط مختلفة ، ومن تلك المعاني : " الأمانة في الشورى ، أن تنصح من استشارك وأن تصدق من وثق برأيك ، والأمانة في الجهاد بعدم الغـــدر والغلول ، أمانة القاعد بحفظ أعراض المجاهد ، الأمانة بحفظ أسرار المجالس ، الأمانة بإتقان العمل "(الخزندار ، ١٤١٦هـــ، ص٥٢٠) .

والأمانة في العلم أو الأمانة العلمية تعني : البحث عن الحق الكامل بغـــض الـــنظر عن التعصب ، والتقاليد الخاطئة . (عطيفة ، ١٤١٥هـــ ، ص١١٩) . ويعلق على ذلك بقوله : "والتعصب بكافة أشكاله سمة مقيتة لا يجب أن يتصف بها الفرد المسلم بأي حال من الأحوال " ص ١٢٠ ، وللأمانـــة العلمية مظاهرها التي تدل عليها ومنها : رفض التعصب واتباع الهوى ، ونقل كلام المخالفين بنصه وفصه فإن كان حقاً أقروه ، وإن كان بـــاطلاً ردوه ، وإن كـــان فيه وفيه ، قبلوا الحق وردوا الباطل ،كل ذلك بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، ومن مظاهرها نسبة الكلام إلى قائله ، والبعد عن نسبته إلى غير قائله ، ويؤكد ذلك (القرضاوي ، د.ت) بقوله : "ومـــن أمانـــة العلم أن ينسب القول لمن قاله ، والفكرة لصاحبها ، ولا يســـتفيد من الغير ثم يسند الفضل إلى نفسه ، فإن هذا لون من السرقة ، وضـــرب من الغش والتزوير " ص٦٣ ، ومن مظاهرها عدم تحميل الكلام مالا يحتمل والرجوع إلى الحق إذا تبين . (الحمد ، ١٤١٩هـــ ، ص٥٦) .

وبالنظر في مظاهر الأمانة العلمية تبين أنها أساسٌ من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية . والأمانة العلمية زينة العلم ، وروحه ، الذي

يجعله زاكي الثمر لذيذ المطعم بعيداً عن التعصب والهوى ، فهي تلازم أهل العــلم والمعــرفة أكثر من غيرهم ؛ إذ هم أصحاب القدرة على التعامل والــتفاعل مع الآخرين ، وعلى هذا فإن الأمانة العلمية أساس من أسس الانفتاح العقلي ؛ لكونه تعاملاً وتفاعلاً مع الآخرين ، وهذا يستلزم الأمانة العلمــية . وصاحب هذا الخلق حريص على آداء واجبه ، بعيد عن الغدر والمكــر ، والخيانة ،حافظ للعهود ، واف بالوعود . ورسالة عظيمة مثل الرسالة الإسلامية لايصلح لحملها والمضي بها إلا الأمناء .

٣ – التواضع :

التواضع : رضا الإنسان بمترلة دون ما تسحقه مترلته . (الزبيدي ، د.ت ، ج٨ ، ص٣٥٠) . وفي عــرف علماء الأخلاق يعرّف بأنه : هو لين الجانب والبعد عن الاغترار بالنفس وترك الترفع عن الناس . (الماص ، ١٤١٨هــــ، ص٢٣) . "والتواضــع من أجل أخلاق المؤمنين ؛ لأن به يعــرف المــرء نفســه وحقيقته فلا يهلك بالأخلاق المنافية له كالكبر ، والعجــب ، والغرور ، وبذلك يسلم إيمانه ، وإسلامه من آفات مساوئ الأخــلاق الكــبيرة تلك ، كما لا تتم التقوى إلا بالتواضع " (الغزالي ، د.ت ،ج٣ ، ص٢٩٧) . ولذلك حث القرآن والسنة النبوية عليه وحذرا من ضده فقال تعالى :﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ سـورة الإسراء . وفي الآية دعــوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين ، ومعرفة قدر النفس ، لأن النهي عن الشيء أمر بضده كما هو معلوم . (الحداد ، ١٩٩٦م ،ج١، ص٤٥٤) .

ومن السنة حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (**لا يدخــل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**) . (مسلم ،

كتاب الإيمان ،باب تحريم الكبر وبيانه ،ج١، ص٨٩ ، رقم الحديث ٩١) .

وحديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (**أن الله أوحى أليّ أن تواضعوا ، ولا يبغي بعضكم على بعض**)[1] . (ابن ماجة ،كتاب الزهد ، باب البغي ، ج٢ ، ص٥٦٧ ،رقم الحديث٤٢١٤) . وللمصطفى ﷺ مواقف عظيمة عملية تدل على لينه وتواضعه ، ومن أجلّ تلك المواقف : أنه ﷺ لما دخل مكة فاتحاً منتصراً مظفراً ، دخلها " وذقنه على راحلته متخشعاً " . (ابن كثير ، د.ت ، ج٤، ص٢٩٢) . "وهو في هذا اليوم في قمة النصر ، وأوج العزة ، وهذه الحال لا تكاد تتمالك النفس معه من الفخر ، والخيلاء ، لعظم النصر ، وعزته ، ونشوته، بل تطيش موازين الأخلاق ، وينفلت زمام التصنع عند ملوك الدنيا وأرباب الدول ، لكن النبي ﷺ لم يكن من هؤلاء في شيء ،لأنه يستشعر دائما أنه عبد الله ورسوله ،وأن النصر الذي حققه ليس لنفسه حظ فيه ، وإنما هو من الله ولله وفي الله ، وكان لهذا الشعور والإحساس في قمة الإذعان له سبحانه الذي مكنه منه ، ليزداد به زلفى لديه ، وهذا دليل على ثبات أخلاقه ﷺ العظيمة في جميع أحواله " (الحداد، ١٩٩٦م ،ج١ ، ص٤١٦) .

يقول (ابن كثير ، د.ت) : "وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف ، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا بيت المقدس وهم سجود - أي ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على استاههم ، وهم يقولون حنطة في شعرة " (ابن كثير، د.ت، ح٤، ص٢٩٢) .

ويقول (كمال الدين د.ت) : " إنه لمن الميسور أن يظهر الإنسان بمحاسن الأخلاق وهو في ضيق من العيش ، ومن السهل أن يظهر الحلم

---

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج١ ، ص٣٥٧ ، برقم ١٧٢٦ ، وقال حديث حسن .

والتواضـــع في حالتي الفقر والشدة ..ولكن إذا رأينا رجلاً ذا منصب رفيع يظهر التواضع في وقت يستطيع أن يكون متكبراً حق لنا أن نقول :إنه على خلـــق عظـــيم" ص١٣٦. وما أجمل هاتين الكلمتين الدالتين على الفارق العظـــيم بين الحالين ، وتدرك من خلالهما عظمة أخلاق رسول الله ﷺ .

والالتزام بالتواضع يقتضي التخلي عن الكبر والغرور .هذان الداءان الخبيثان ، ويصـــف (بكار ،١٤١٧هـــ) الداء الأول (الكبر) بقوله : "إن الكبر يولد باستمرار التوتر المرضي لدى صاحبه ولدى المجتمع الذي يعيش فيه ، ويكفـــي في ذلك ما يحدثه المتكبر في المجتمع من معادلة الاحتقار المتبادل " ص١٤٩ .كمـــا يصف (الماص ، ١٤١٨هـــ) المتكبر بقوله : " فالمتكبر إنســـان مريض اجتماعياً ونفسياً ، ويعيش في مجتمعه وحيداً أو معزولاً ؛ لأنـــه أحـــاط نفسه بسياج من الكبر ظلم فيه نفسه وأبخس غيره ، ودمر حياته " ص٢٧. وبالتالي من أراد أن ينفتح على خبرات الآخرين لابد وأن يكون على درجة عالية من التواضع حتى يلقى القبول من الآخرين بما يأتي به من خبرات أو معلومات أو مكتشفات " لأن التواضع يؤدي إلى تواضع أمـــام الحـــق والعـــدل " (يالجن ، ١٤١٦هـــ ، ص٨٤) ، ويؤكد ذلك (القرضـــاوي ، ١٤١٦ هـــ) بقوله : " إن التواضع فضيلة تهدي صاحبها إلى الحـــق ، وتضـــيء السبيل أمامه إلى معرفته " ص١٧٠. والمتواضع لا يستنكف عن قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علماً أو سناً أو قدراً ومن الـــرجوع إلى الحـــق بعد أن تبين له ،كما أن لصفة التواضع في حياة كل مسلم مظاهر تدل عليها ، ومن تلك المظاهر :

– إقـــباله عـــلى الناس بوجه باسم طليق ، والاستماع إليهم مهما كانت منزلتهم ، وزيارته ، وصلته بكل الناس مهما قل شأنهم الاجتماعي والمالي ، والمتواضـــع لـــين الجانب منصف للنفس وللآخرين ، يحترم وجهات نظر

الآخـــرين ، ويأخذهـــا في الاعتبار ، إضافة إلى ذلك أنه يرفض الكبر ، والغرور والتسلط في الرأي ، ويؤكد ذلك (عطيفة ، ١٤١٥هــ) بقوله : "والشـــخص المتفـــتح ذهنـــياً يحترم وجهات نظر الآخرين ، وآرائهم ، ويأخذها في الاعتبار ... يضاف إلى ذلك أنه يرفض الدوجماتية أي تسلط الــرأي والأفكـــار المقيدة للتفكير " ص١١٥ .وهذه المؤشرات هي بناء أساسي للتقبل والتعامل والتفاعل مع الآخرين ، وعلى هذا يكون التواضع أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

٤- الشعور بالمسؤوليّة :

يمثل الشعور بالمسؤولية دعامة من دعامات الانفتاح العقلي في التربية الإســـلاميّة حيث يتحمل الإنسان ما قام به من عمل ، وعليه فلا بد لكل مســـلم أن يشـــعر بالمسؤولية شعوراً يوجد في ذاته ما يحركه للعمل ، ولا ينـــتظر التكلـــيف الحركي لينهض بأعباء المسؤولية بل لابد أن يتولد في أعماقـــه هـــذا الشعور ، ويجري في عروقه كجريان الدم ، فيحس بأعباء المسؤولية ، ويقوم بآدائها على خير وجه ، وحسب المسلم أن يكون غيوراً على دينه وعقيدته ، ومبادئه الإسلاميّة التي ينتسب إليها .

والوضع الحالي للأمة الإسلاميّة بحاجة ماسّة إلى عناصر تتقد نفوسها شعوراً وإحساساً بواجباهّا الإسلاميّة ، بحاجة إلى عناصر يغلي فيها الشعور بالمســـؤولية غلياناً ، بحاجة إلى عناصر لا يهدأ تفكيرها للعمل لهذا الدين ســـاعة من ليل أو نهار . وقدوتنا في الشعور بالمسؤولية هو رسولنا الكريم محمد ﷺ ، فقد قام خير قيام للعمل الإسلامي ، ضحى كثيراً من أجل هذا الدين ، بل قدم التضحيات تلو التضحيات . خرج من بلده مكة المكرمة - وهـــي أحـــب بلاد الله إليه - وعانى مشقة الطريق ، وصبر على أذى قـــريش ، واهّامهم له بالجنون ، وسلطوا عليه الغلمان و الصبيان ، فرموه

بالحجارة حتى أدموا عقبيه ،وهو صابر ؛ لأنه يشعر بعظم المسؤوليّة ، ولو انحرف قليلاً لهلك ، ولكن الله حماه من أن ينحرف أو أن يركن شيئاً قليلاً إلى الكفار ، قال تعالى :﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الإسراء . ولما وصل إلى المدينة ،لم يهدأ تفكيره لحظة واحدة من العمل للإسلام . نعم لقد قام ﷺ بواجب المسؤولية تجاه الإسلام خير قيام ، وورّث في هذه الأمة من الأقوال ما يدفع كل فرد مسلم لتحقيق هذا الخلق العظيم ، وهو الشعور بالمسؤوليّة (الياسين ، ١٤١٧هـ ،ج١ ، ص١٢١- ص١٢٢) فقال ﷺ :(**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه**)[١] . (الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب في القيامة ، ج٤ ، ص٥٢٩ ، رقم الحديث ٢٤١٧) . وقوله ﷺ : (**من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار**)[٢]. (الحاكم ، كتاب العلم ، ج١ ، ص١٠٢) .

يقول (حمادة ، ١٤١٧هـ) : " فالذين تسربلوا بهذه المعاني عبر الحقب والأجيال كانوا أئمة ونماذج سامقة تحتذى " ص٥٤ . وإذا كان الانفتاح على خبرات الآخرين سيجلب نفعاً للأمة الإسلاميّة ، وسيقدم لها فائدة علمية وفنية صحيحة فإن من كانت هذه سمته لا يتوانى في تقديم تلك الخدمة لأمته مراعياً في ذلك عدم المساس بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ، وذلك لشعوره بالمسؤولية تجاه ذلك .

---

[1] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

[2] قال الحاكم هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة .

يقول (بكار، ١٤١٨هـ):" وحين يشعر المرء بجسامة الأمانة التي رضي بحملها تنفتح أمامه آفاق لا حدود لها للمبادرة بالقيام بشيء ما ، إنه يرنو دائماً إلى اللحظة التي سيقف فيها بين يدي الله جل وعلا ، ويسأله عما كان منه..." ص١٨٧ . ويتمم ذلك بقوله : " وفي حالات التخلف يصبح التهرب من المسؤولية ديدن الناس ، ويندفعون إليه بالغريزة دون تفكير ..." ص١٨٧ .

إن ضعف الشعور بالمسؤولية لا يخلف وراءه سوى الشعور بالتفاهة والفراغ وإن كثيراً مما يسمى مشكلات عاطفية وعقلية ، ليس في جوهرها سوى أعراض لذلك الشعور (كوفي ، ١٩٩٥م ، ص١٠٢) .

ويبين (النحلاوي ،١٤١٧هـ) حقيقة الشعور بالمسؤولية وما تؤدي إليه في النفس الإنسانية بقوله :"وهذا الشعور بالمسؤولية يربي في نفس الإنسان الوعي واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق ، وعدم الاستسلام للأهواء،والعدالة ،والبعد عن الظلم والبغي والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشؤونه " ص٣٨ . وبالتالي فإن علينا أن نوقن أن الشعور بالمسؤولية يعد أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ذلك الانفتاح الواعي والمنضبط ،وأما ما نشاهده من انفتاح على إطلاقه بمعنى أنه يسير دون ضوابط وحدود ووعي من قبل أصحابه فإن سببه تبلد الإحساس بالمسؤولية عن أي شيء .

٥ – تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية :

إن العلم والمعرفة اليوم أسرار غالية ، ورموز تتداول بين أهلها في مراكزها والأمة التي لا تستطيع فك هذه الرموز ، والتحكم فيها أمة ضعيفة متهالكة ، ولو كانت أشد الأمم قوة ، وأكثرها ثروة ومالاً ، وقد نبه النبي ﷺ على جانب عظيم من هذا عبرة لمن اعتبر ، وتشريفاً لمن تذكر

وادكـــر ، ســلكته الأمة حيناً من الدهر ، فرفع الله لها القدر ، وأعلا لها الذكـــر ، وكـــان ذلك حين أمر زيد رضي الله عنه أن يتعلم اللغة العبرية والسريانية ليكون قارئاً لما يرد النبي ﷺ بهاتين اللغتين كاتباً جوابه بكل دقة وأمانـــة فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود قال ﷺ : (**إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهـــود كتبت إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم**)[1] . (الترمذي، كـــتاب الاســـتئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية ، ج٥،ص٦٤، رقم الحديث ٢٧١٥) . وأمره كذلك أن يتعلم السريانية ،قال زيد ،قال رسول الله ﷺ :(**هل تحسن السريانية ؟ إنها تأتيني كتب ، قال: قلت لا. قال فتعلمتها في سبعة عشر يوماً**) . (ابن سعد ، د .ت ، ج٢، ص٣٥٨) .

إن المعـــرفة باللغات الأجنبية ، والقدرة على توظيفها أمر في غاية الأهمـــية ، وهو من التعاليم المهمة لإيجاد مناخ علمي ، ولاسيما إذا كان عـــندهم علم يؤخذ أو حكمة تقتبس ولا سبيل إلى الانتفاع بما عند غيرك إذا جهلت لغته ، وديننا الإسلامي لم يمنع من ذلك ، بل دعا إليه باعتباره وسيلة لنشر دعوته في العالم ، ذلك لأن رسالته ﷺ رسالة عالمية ، فهو وإن كان عربياً ، والكتاب المترل عليه بلسان عربي فقد بعثه الله للناس كافة ، قـــال تعـــالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ سورة الفرقان . وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء . وحتى يمكنه تبليغ الدعوة إلى أربـــاب اللغـــات الأخرى لا بد من إيجاد تراجمة بينه وبينهم ، وقد كان

---

[1] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

عنده ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية ، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها . لكن لم يكن عنده من يعرف السريانية التي يكتب بها يهود ، ولذلك أمر كاتب وحيه زيد بن ثابت رضي الله عنه ليتقنها قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك . (القرضاوي ، د.ت ، ص٤٢) .

يقول (الكروي ،١٤٠٤هـ) : " إن الترجمة عامل أساسي من عوامل اكتمال التوثيق ، ذلك مفهوم أدركه العلماء العرب المسلمون، وأدركه الخلفاء المسلمون ، فليس من الحكمة الاعتماد على لغة واحدة ، بل لا بد من تمازج الثقافات " ص٤٧٣ . ويقول أيضاً : " إن من أهم عوامل نقل الثقافة من قومية إلى أخرى هي الترجمة " ص٤٨١ . وتقول (الملقي، ١٤١٥هـ) : " إن للترجمة أهميتها الضرورية في تسهيل سبل البحث العلمي للذين لا يتقنون اللغات الأخرى ...إذ أن ظهور التخصصات المختلفة وما يتبعها من اصطلاحات علمية جديدة ،تجعل مثل هذا عائقاً جديداً في تحصيل شمولية المعرفة " ص٦٥.

إن الانفتاح السليم على خبرات الآخرين يحتاج منا إلى اهتمام بتعلم اللغات الأجنبية وتوظيفها ، ويتطلب ذلك تحري الدقة والأمانة ؛ لأنه طريقة من طرق الاتصال بالفكر الأجنبي ، ذلك الفكر الذي يختلف عن فكرنا وعقيدتنا وإذا كنّا في حاجة إلى الانتفاع به فعلينا أن نعرف :

- ظروف كتابته ، وعصره ، وميزة كاتبه ، وهدف كتابته ؛ لأن الفكر الذي يترجم جزء من فكر يختلف عنّا .
- وجهة نظر الإسلام في مادته وموضوعه وأسلوب عرضه ؛ لأن أي كتاب يترجم فهو يحمل معه تحديات مجتمع آخر وظروف أمة أخرى .

- تعلم اللغات الأجنبية يتطلب منا إيماناً كاملاً بأن اللغة العربية يجب أن تكون هي الوعاء الذي تصب فيه اللغات الأخرى ، ويجب أن يكون فكر هذه اللغات مادة لخدمة اللغة العربية والفكر الإسلامي . (الجندي ، ١٣٨٤هـ ، ص٦٧) .

إن السير وفق هذا المنهج يمكننا من معرفة الغث من السمين وبالتالي أخذ ما يناسب وترك ما عداه ، ومن ذلك يتبين للباحث أن تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية يعد أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلاميّة . وعموماً يمكن القول أن الأسس الإسلاميّة علمت المسلمين أن يفتحوا عقولهم للنّاس جميعاً بالأخذ والعطاء. " فقد امتص المسلمون بسرعة فائقة ما خلفه اليونان الإغريق من علوم فلسفية وعقلية ، وما خلفه الفرس من حكم وآداب وخبرات سياسية وما كان لدى الأمم التي التقت مع المسلمين لقاء مودة أو لقاء خصام ، ثم أخذوا بتحرير هذه العلوم ، وتنقيتها من الشوائب ، وتطويرها وتنميتها وصقلها ، وإصلاح فاسدها مسترشدين بالمنهج العلمي الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي " (الميداني ، ١٤١٨هـ ، ص١٢٥) .

إن تعلم اللغات الأجنبية مطلب ضروري ،وحاجة مُلحّة، في كل حين وآن وخاصة في عصرنا الحاضر ، ذلك العصر الذي تقاربت فيه كل وسائل الاتصال وأصبح العالم وكأنه (قرية واحدة) ، وصارت الحاجة ماسّة تماماً من أجل الإلمام بمتطلبات هذا العصر ، ومن ذلك فهم اللغات العالمية ذات التأثير الفكري والإعلامي ؛ من أجل الأخذ بالمفيد منها ، وتوعية أنفسنا وغيرنا من المسلمين بالمضار التي قد يجلبها .

واللغات الأجنبية يعرض بعضها اليوم في مناهجنا الدراسية خصوصاً في المراحل المتقدمة ، وما ذلك إلا من قبيل الأخذ بعقول النشء والشباب

نحو مزيد من الوعي والإدراك والتفتح الذهني ، وهذا ما يطالب به المربون في الكثير من اللقاءات والمؤتمرات ... ويؤكد هذا ما أورده (شهلا وآخرون ، ١٩٧٨م) : بضرورة أخذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية في جميع مراحل التعليم من ناحية ، ومن ناحية أخرى : " العناية باللغات الأجنبية في مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة للاطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم " ص١٥١ – ص ١٥٢ . (نقلاً عن توصيات المؤتمر الإقليمي الثالث لوزارة التربية في الدول العربية). وبالإضافة إلى ذلك فإن تعلم اللغة ، وتوظيفها يستلزم الثقافة ، والتجربة والتي تعني : الاطلاع السريع على العلوم الأساسية الطبيعية أو الإنسانية ، وأحدث التطورات العامة هذا بالنسبة للثقافة . أما التجربة الواقعية المتعلقة بمعرفة أحوال النّاس وطبائعهم وصفاتهم ، فيمكن استقاؤها من الأفراد مباشرة كل بحسب حاله من خلال اغتنام لحظات الحوار العابر ، أو توجيه السؤال والاستفسار ، ويمكن استقاؤها من البحوث والدراسات التي تتناول هذه الموضوعات ، ومن الاحتكاك بأصحاب الخبرة . (فهمي ١٤٢٠هـ ، ص٤٤) .

يقول (المنّاوي ، د.ت) : "المجربون للأمور المحافظون على تكثير الأجورجالسوهم لتقتدوا برأيهم وتهتدوا بهديهم " (ج٣ ، ص٢٢٠) . وعن أبي جحيفة قال : كان يقال : (جالس الكبراء ، وخالل العلماء ، وخالط الحكماء) . (ابن عبد البر ، ١٤١٨هـ ، باب: جامع في آداب العالم والمتعلم ، ج١ ، ص٥٠٨ ، رقم الحديث ٨١٤) . وعليه فإن من ثمار الثقافة والتجربة التي تعكسها على أصحابها أنها : تمكنهم من معرفة سبل الخير وسبل الشر ، وكيف يسلك كل منهما ، ويصف (ابن القيم ، ١٤١٨هـ) حال المؤمن المجرب الذي يعرف الخير والشر كليهما فيقول :

" وهذه حال المؤمن : يكون فطناً حذقاً أعرف النّاس بالشر وأبعدهم عنه ، فـــإذا تكـــلم في الشر وأسبابه ظننته من شر النّاس فإذا خالطته وعرفت طويـــته رأيـــته من أبر النّاس "(ج١ ، ص٢٩٥) . والمسلم لا يتمكن من معـــرفة سبل الشر إلا إذا مكّن نفسه من الاستفادة من تجارب وخبرات الآخـــرين . رغم أن الكثير يتحرج من ذلك بحجة أنه أمر غير مستقيم ، والصـــحيح أن الحكمة ضالة المؤمن ، ومن العار أن تمنعنا مشاعر التعصب أو أخطـــاء الآخرين من الاستفادة من تلك التجارب والخبرات . يشير إلى ذلـــك الإمـــام أحمد بقوله : سمعت أنّ قل رجل يأخذ كتاباً ينظر فيه إلا استفاد منه شيئاً (أبو غدة ، ١٤١٣هـــ ، ص١) . ويؤكد ذلك (علي ، ١٤١٢هـــ) بقوله : " وعلى المربي المسلم أن يتزود بالثقافة الإسلامية التي تجعلـــه قوياً في حجته أمام خصومه من موقع المعرفة العميقة لا من مركز ضعف خصومه ، كما أن عليه أن يحيط بالثقافة المضادة التي يملكها أعداء الإســـلام ممن يعتبرونه سنداً لمبادئهم ، وحجة لأفكارهم حتى يخلص من خلال الموازنة والمفاضلة بين العقيدتين ، أو بين المفهومين ، إلى النتيجة التي لا تخـــتلف حالها حسب اختلاف حالة الخصم وضعفه ، من حيث المعرفة والحجة والأسلوب " ص٩٢ . ومن ثمارها أيضاً توسيع المدارك ، وتعميق الأفهـــام وتنشـــيط العقول ، وهذه من شأنها تكوّن لدى صاحبها انفتاحاً عقلـــياً واعياً ، وذلك من خلال تنمية القدرة على التفكير ، وعلى القياس المستقيم ، وعلى ربط الأسباب بمسبباتها .

يقول (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ) في فائدة الاطلاع على مختلف العلوم كلاماً نفيساً : " في الإدمان على معرفة ذلك تعتاد النفس العلم الصحيح ، والقضايا الصحيحة الصادقة ، والقياس المستقيم ، فيكون في ذلك تصحيح الذهـــن والإدراك "(ج٩ ، ص١٢٨) . وبهذا يتبين لنا أن تعلم وتوظيف

اللغـــات الأجنبـــية وما تستلزمه من ثقافة وتجربة يعد من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

ثانياً : مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلاميّة

إن المسلم متى ما استقام على أوامر الله عز وجل ، واجتنب نواهيه والـــتزم بما في الكتاب والسنة مما أوجبه الله تعالى عليه ، وسعى في كشف كنوز هذين المصدرين ومعرفة واجبه كخليفة في الأرض قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ســورة البقرة . هذه الخلافة التي تتطلب من المسلم أن يكون على قدر المسؤولية المنوطة به، ومن ذلك ألا يكون إنساناً منغلقاً ،جامداً ، متقوقعاً على نفسه ، بل يساير تطـــور الحياة ، والعصور متفاعلاً مع الواقع الذي يعيش فيه يعلم مراد الله منه ، ومن ذلك الانفتاح العقلي فلا يصم أذنيه ، ويغلق عقله ، بل يتعامل مـــع الواقـــع بمعرفة وواقعية فيكون مؤثراً إيجابياً ، وهذا يظهر على حياة المسلم في جوانب عديدة منها :

١- سلامة العقيدة :

العقيدة في الاصطلاح العام : هي الإيمان الجازم ، والحكم القاطع ، الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد ، وهذا معنى العقيدة في الاصطلاح بصرف النظر عن نوع الاعتقاد ، حق أو باطل ، وسمية عقيدة لأن الإنسان يعقد عليها قلبه .

والعقـــيدة في الإســـلام : هي الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيـــته وربوبيـــته ، وأسمائه ، وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والـــيوم الآخـــر ، والقـــدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص

الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصـــالح ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع . (العقل ، ١٤١٢هـــ ، ص٩) .

العقيدة الإسلامية مصنع الرجال ، وهي التي حرص الرسول ﷺ على تربـــية أصحابه عليها ، حيث مكث ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة يُؤصّـــل العقـــيدة في النفوس ، وتتترل عليه الآيات القرآنية تطارد الشرك بكافة أشكاله لتجعل العقيدة مبرأة من أدرانه ، ولتكون واضحة في العقول وضـــوح الشمس في رابعة النهار ، بل بلغ حرصه ﷺ على أمر العقيدة أنه حـــتى وهو في سكرات الموت يقول لأصحابه : (**لا تطروني كما أطرت النصـــارى ابـــن مـــريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله**) . (البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى ، ص٦٦٤ ، رقم الحديث ٣٤٤٥) .

وفي هـــذا الحديث صورة واضحة للتربية الإسلامية الصحيحة من الرســـول ﷺ لأصـــحابه على سلامة العقيدة ، وهذا الحرص النبوي على سلامة العقيدة سرى مفعوله إلى وقتنا الحاضر ، وسيكون كذلك بإذن الله إلى أن تقوم الساعة .

يقـــول (أمـــير ، ١٤١٩هـــ): "عقيدة السلف الصالح رضوان الله علـــيهم أجمعـــين ثابتة مدى القرون منذ بعثة رسول الله ﷺ . وستكون كذلـــك بإذن الله إلى أن تقوم الساعة . تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل ، كـــلهم واثقـــون بها لا يذكر أحد منهم أن فيها تناقضاً بل كلهم متفقون بحمـــد الله ، عـــلى سلامتها من التناقض ، والاضطراب متيقنون أنها حق ثابت من عند الله ولذا قويت صلتهم بالله تعالى ، ... " (ح٣ ، ص٨٩٣ - ص٨٩٤) .

إن العقـــيدة في الإســـلام هي الأساس الذي تبنى عليه العبادات ، والمعـــاملات ،والأخلاق ، ونحو ذلك مما جاء به الإسلام الذي ارتضاه الله دينا لعباده ، وجعله ناسخاً للرسالات السماويات السابقة ولا يخفى على كـــل مسلم أهميتها فهي " الغذاء الواقي لقوى النفس المختلفة ، والمداد الخـــالد لحيويـــتها ، وليس على وجه الأرض قوة تساوي قوة العقيدة أو تدانـــيها في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحة والطمأنيـــنة فـــيه ، والعقيدة رقيبة على السرائر ، يستمد القانون سلطانه الأدبي من أمرها ونهيها، وتلتهب المشاعر بالحياء منها أو بمحبتها أو بخشيتها ولا شـــك أن هـــذا يجعـــل الفرد أشد مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطـــف ، مـــن أجل ذلك كانت العقيدة الإسلامية خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة ، وكان لذلك ضرورة اجتماعية كما هـــو فطرة إنسانية "(خفاجي ، ١٣٩٩هـــ ، ص١٢) . وهي التي "تحرك القلـــب وتبعثه ، فيتجه إلى ربه ومولاه ، فيخلص دينه لله ، ويكون حبه ورجاؤه واعتماده وتوكله على الله ، ويكون خوفه وخشيته ورهبته من الله ، ورغبته وقصده إلى الله ،وأفكاره تطوف دائماً حول ربه ومنهجه ودينه ،وتحـــاول أن تنظر دائماً في السبل والكيفيات التي ترفع لواء الدين،وتعلي مناره وتنشره في ربوع الأرض " (الأشقر ، ١٤١٨هـــ ، ص١٨٩) .

وهي بذلك تقي صاحبها من الوقوع في كثير من المزالق ، فهي تحميه من المادية البحـــتة – قوام روح الحضارة الغربية – التي تحمل العداء للدين الإسلامي ، ولا تهدف إلا لتحقيق النفعية المادية دون مراعاة لقيم أو مبادئ إنسانية ؛ ولذلك تزامن الانحطاط الخلقي مع التقدم العلمي التقني ، وفاقت مثالـــب هـــذه الحضـــارة مناقبها ، فكان ذلك تهديداً بالانحطاط والتدني

للإنسانية ما لم يتدارك هذا الأمر بروح توحيدية عقيدية صحيحة تحتويه وتطوعه في خير الإنسانية (عبدالحميد ، ١٤٠٥هـ ص٥٦ – ص٥٨) .

إن العقيدة الإسلامية متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته ، والعقيدة متى أظلت مجتمعاً إنسانياً انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني "والعقيدة هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات ، ويوجه السلوك ، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات ، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس ، والهواجس التي تمر في الخيال هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس ، وباختصار العقيدة هي دماغ التصرفات ، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات وانفراجاً هائلاً عن سوى الصراط " (عزام ،١٩٩١م ، ص٩ – ص١٠) .

" وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك الفرد يتناسب طرداً مع مدى سلامة أفكاره ومعتقداته ، وأن فساد سلوك الفرد يتناسب عكساً مع مدى تضاؤل العقائد السليمة في كيانه الفكري واحتلال العقائد الفاسدة في محالها " (خفاجي ، ١٣٩٩هـ ، ص١٢) . وهذا ما حدث بالفعل لكثير ممن فقدوا هذه الخاصية ، فقد أصابهم الوهن ، فوقفوا من النافع والفاسد موقفاً مختلفاً " . فأما الأشياء النافعة ، فقد اتجهوا إليها ، ولكن بجهد متقاعس ،متخاذل ، متعثر الخطوات ، وأما الفساد ، فقد سارعوا إليه فاستوعبوه كله ، وعبّوا منه عبّاً كأنما هو الزّاد " (قطب ، ١٤١٠هـ ، ص٣٤٤) إن هؤلاء بسبب فقدهم لحصنهم العقدي ، والغفلة التي أصابتهم أصبحوا لا يرون الحياة إلا بمنظار الغرب ، وثقافته ، وفلسفته ، وفكره ، وروحه ، فمنهم من يزعم بأنه لا يقرأ كتاباً عربياً ، وآخر يقول : إنني أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية !(الحسين ، ١٤١٩هـ ، ص٣٣٧) .

ودعا بعضهم إلى أن نحذو حذوهم القذة بالقذة ، ومن زعم خلاف ذلك فهـــو خادع أو مخدوع ، ومن أولئك طه حسين الذي يقول : " لابد أن نســـير سيرة الأوربيين ونسلك طريقتهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شـــركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ،حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب " (حسين ، ١٤١٤هــ ، ج١ ، ص٤١)

وينقل (حسين ، ١٤١٣هــ) في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مقولة عن (طه حسين) هذا نصها : " بل نحن قد خطونا أبعد حـــد مما ذكرت فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرها في الإدارة ، ونسلك طريقها في التشريع التزمنا هذا كله أمام أوروبا ... " (ج٢ ، ص٢٣٤) . ومـــثل طـــه حسين سلامه موسى الذي يقول متحدثاً عن نفسه : " إنه شرقي مثل سائر مواطنيه ، ولكنه ثار على الشرق عـــندما أيقن أن عاداته تعوق ارتقاءه ، ودعا أن يأخذ الشرقيون بعادات الغربيين ؛ كي يقووا مثلهم ، ولكنه لم يجن من هذه الدعوة غير الكراهية والنفور ، وأحس بالتناقض العميق بينه وبين مواطنيه ... إنه ليخالف سائر الكتاب إذ هو وإن كان يكتب بالعربية فإنه يفكر تفكيراً أوربياً " (الحوالي د.ت ، ص٥٩٩) . وبعـــد فـــلم يســـتطيع كثير من المسلمين أن يضعوا لأنفسهم موقفاً رشيداً يؤدي بهم إلى الاحتفاظ بمنهج الإسلام العظيم ، في تعامـــلهم مـــع غيرهم من الأمم ، وذلك بأخذ علومهم النافعة مثل علوم الطب والهندسة والإدارة ، وترك الضار منها كالإلحاد والأفكار الهدامة ، وهـــو أمر ممكن التطبيق ، بل هو اللائق بالأمة التي تحترم نفسها ، وتعتز بشخصيتها ، وأدعو الله بالمغفرة لأولئك الذين انبهروا بالحضارة الغربية ، فوقعـــوا في تلك الأخطاء . ولكن ينبغي ملاحظة إننا نحن المسلمين ، لنا قيمـــنا الثابتة الراسخة والمميزة ، التي لا يصح أن تميل أو تتأرجح مع أي

تطور أو انبهار . وجدير بسلامة العقيدة أن تكون من أهم مظاهر الانفتاح العقـلي في التربية الإسلامية ، حيث أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا اسـتقرت في نفس المسلم وتربى عليها كان صلباً قوياً ، لا يخشى عليه من كثرة الفتن ، ومغريات الحياة ، فهو يتفاعل مع ظروف الحياة ، ومتطلبات العصر الذي يعيشه بنفس قوية ، وعزيمة صادقة ، يستفيد من كل جديد لا يتعارض مع دينه ، ويقدم كل خير للإنسانية .

٢ـ مكانة العلم وقدره :

إن المسلم أعرف الناس بفضل العلم ومكانته وقدره ، كيف لا وقد كـان أول ضوء يشع من نور الإسلام هو الأمر بالعلم والتعلم فكان قوله تعالى في أول آيات الكتاب الكريم : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ سـورة العلق . وفي ذلك دلالة واضحة على أن هذا الدين دين يعرف قدر العلم ويطلب من أهله أن يقـدروه ، ويهتموا به حق الاهتمام . ولقد أكرم الله سبحانه وتعالى أهل العـلم ورفعهـم على غيرهم ، وأعلى درجاتهم ومنازلهم ، فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سـورة المجادلة . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ سورة الزمر .

وفي السنة النبوية المطهرة تضح مكانة العلم وقدره في قول المصطفى ﷺ : (**مـن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**) (مسلم ،كتاب الأمارة ،

بـــاب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، ج٣ ، ص١٢١٠، رقم الحديـــث ١٠٣٧) . فـــالخير كل الخير هنا هو التفقه في الدين ، وتعمق معانـــيه، واستخراج كنوزه ، مع تفاوت الناس في إدراك ذلك ، حسبما يمـــنحه الخالق تبارك وتعالى ، وليس في هذا التفاوت عيب ما ، ما دامت هذه الأمة تسير على الطريق الصحيح ، طريق الحق وهو الإسلام .

ولقد عمل المسلمون بأمر الله تعالى ، وأمر رسوله ﷺ فأخذوا بمبدأ العلم ، واحترموا العلم والعلماء ، وأصبح لهم بعد قرنين من بداية الإسلام حضارة شامخة البنيان ، وكان منهم أساتذة العالم كله (العبد ،١٤٠٢هـــ، ص١٢) . فليس هناك أمة من الأمم نظرت إلى العلم نظرة احترام وتقدير كمـــا فعلت أمة الإسلام في أيام حضارتها الزاهية ، فهو عندها من أعظم القربات إلى الله ، ويصل التعلم في أحيان كثيرة إلى درجة الواجب الشرعي وهـــو في كل حين واجب حضاري (بكار ، ١٤٠٢هـــ ، ص١٦١) . ولـــيس المقصود بالعلم هو العلم الشرعي فقط ، وإنما يشمل علوم الدنيا والآخرة ، مما يقدم النفع للإنسانية في دينها ودنياها .

يقـــول (الشـــرقاوي ، ١٤١٦هـــ) : " والعلم ليس خاصاً بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام ، وإنما العلم هو إدراك يفيد الإنسان توفـــيقاً في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه ، وجعـــل خليفة في الأرض ، وهي عمارتها ، واستخراج كنوزها ، وإظهار أسرار الله تعالى فيها" ص١٣ . ويؤكد ذلك (كرزون ، ١٤٢٠هـــ) : "إن العلم المطلوب ليس العلم الشرعي فحسب ، وإنما كل علم يوصل إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ومعرفة حقيقة الإنسان ومهمته ، وخلافته في الأرض " ص١٠ .

وبالاعـــتماد على العلم تسقط كل الخرافات والأساطير ، ويزول الـــتعلق بالدجالين والجهلة ، ويستقيم الفكر ويشرق بنور الهدى ، ويصبح إيمان الإنسان وقوله وفعله على هدىً وبصيرة .

فالعلم هو الذي يبين راجح الأعمال من مرجوحها ، وفاضلها من مفضولها ، كما يبين صحيحها من سقيمها ، ومقبولها من مردودها ، وهو الأداة الـــتي تمكن الإنسان من مسايرة المتغيرات ، وتجعله قادراً على تقبلها والاســـتفادة مـــنها ، وجدير بخاصية تحقق كل هذا أن تكون مظهراً من مظاهـــر الانفـــتاح العقلي في التربية الإسلامية . إن العلم معارف منظمة تراكمت عبر مساع موصولة على مدار التاريخ ومن خلال تلك المعارف ، وبهـــا تمرن العقل ، وتغذى وتثقف ونضج، ومع نضوجه يتوق إلى المزيد من العلم . إن الذي يدعو العقل إلى المزيد من التعلم ، هو العلم نفسه ؛ إذ أنـــه كـــلما زادت المعرفة اتسعت منطقة المجهول ، وهكذا تزداد الأشياء المجهولـــة بازديـــاد الأشياء المعروفة . التقدم نفسه يعمل على زيادة حاجة الإنســـان الشـــديدة إلى المعرفة ، حيث أن التوغل في حقول المعرفة يتيح إمكانـــات ومجالات عديدة ، ويولد دوافع جديدة للتقدم الأوسع نطاقاً . (بولياس ، جيمس ، ص٦٣، ص٦٦) ، نقلاً عن (بكار ، ١٤٢٠هـــ ، ص١٥٣) . " وإن الأمة التي لا يحسن أبناؤها معارفهم على نحو مستمر ، تؤهـــل نفســـها لأن تكون تابعة للأمم الأخرى ، ومستغلة لها على كل المستويات " (بكار ، ١٤٢٠هـــ ، ص ١٥٥) . وهذا هو الملاحظ على العـــالم الإسلامي حالياً ، فبرغم انفتاحه على الحضارات الأخرى ، إلا أن ذلـــك لم يـــترك أي أثر لتقدم علمي تقني ، بل على العكس من ذلك ، فمعظم دوله مستهلكة لا منتجة ، وذلك بسبب عدم تقديرهم واحترامهم للعـــلم تلك الخاصية التي تعد مظهراً من المظاهر المهمة للانفتاح العقلي في

التربـــية الإســـلامية ، فهي تمكن صاحبها من حرية الانتقاء والاختيار ، وبالتالي التمييز بين الغث والسمين من أي حضارة ، وفي المقابل تجنب أو تقي صاحبها من موقف الضعف والانبهار والافتتان بالحضارات الأخرى ، ومـــن ثم الاندفـــاع للاستزادة من الغث ؛ لأنه أيسر أخذاً وأقل تكاليفاً . (قطب ، ١٤١٠هـــ ، ص١٠٥) ، ودوام النقل والاستيراد دون تمحيص يفقد الأمة صلتها بالإبداع في الشيء المقتبس (رضا، ١٩٨٤م ، ص٢٥٧) ومـــن ثم قد ينصرف موقف الأمة من مجرد النقل إلى التشبه بالكافرين في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم حتى يصبحوا نسخة منهم وكان هذا الميل نتـــيجة عدم نظرتهم إلى العلم نظرة تقدير واحترام ، وهذا بدوره أورثهم الشـــعور بالنقص إذ الضعيف بطبعه يعتمد على القوي ويحاكيه ، وهو ما أشـــار إليه (ابن خلدون ، ١٤١٩هـــ) يقول : " إن المغلوب مولع أبداً بالاقـــتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده ....، حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلبة عليها فيسري إليهم من هذا التشـــبه والاقـــتداء خطر كبير كما هو في الأندلس مع أمم الجلالقة[1] " ص ١٣٧ . وهذا ما حصل بالفعل من جراء التشبه بالكافرين ، حيث نتج عنه آثار خطيرة . بل إن التقليد في الظاهر مؤثر على اقتناع عقلي وقلبي ، وكما يقول (ابن تيمية ، ١٤١٧هـــ) : "إن المشاركة في الهدي الظاهر تـــورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين ، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس ، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، واللابس لثياب الجند المقاتلة يجد من نفسه نوع تخلق بـــأخلاقهم ، ويصـــير طـــبعه متقاضياً لذلك ، إلا أن يمنعه مانع " (ج١، ص٨٠ ، ص٨١) .

---

[1] النصارى الذين كانوا بالأندلس

ويقول (أسد ، ١٤١٨هـ) : "فإذا حاكى المسلم أوروبا في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية ، مهما كانت دعواه التي يعلنها ، وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعة من غير إعجاب بروحها وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً " ص٨٣ .

إن المسلم بل المجتمع المسلم ذو تميز واضح في كل شيء ، وإن عليه أن يسلك المنهج القويم منهج الرسول ﷺ وأصحابه ، والسلف الصالح عموماً كما ينبغي له أن يكون على حذر من أمة الكفر ، فكيف يتم الانفتاح عليهم دون بصيرة ، وكيف يتم التقبل منهم دون تمحيص وتحليل وكأن القوم لم يضمروا لنا شراً قط ، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ **سورة آل عمران** . وقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ **سورة البقرة** . وعموماً إذا أدركت الأمة مكانة العلم وقدره وساد رحابها وتوجهت إليه بكليتها ، ورصدت له الأموال والجهود ، وأعلنت أن قصب السبق في أفرادها لمن حاز النصيب الأوفر منه ، فعندئذ ترقى الأمة في سلم الحياة ، ويعلو شأنها في الأحياء .

٣ـ رفض التعصب واتباع الهوى :

إن التعصب لشخص ، أو قوم أو حزب ، أو جماعة ، أو فكرة قديمة

ظاهــرة موجــودة في أي مجــتمع من المجتمعات البشرية ، ومن مختلف مســتوياتها ، وهو فرع من فروع الأنانية الفردية أو الجماعية ، وكما أن الإنســان الظالم لنفسه ينصر هواه وشهوته وظلمه.. وضلالاته بالباطل ، ويقــاتل من أجلها أصحاب الحق ، كذلك المتعصب لشخص يواليه ، أو قوم، أو حزب ، أو جماعة ، أو فكرة قديمة مسيطرة ، فإنه بتعصبه يناصر جهة ولائه ، ولو ظهر له أن الحق في غير الجهة التي يناصرها.. ، وهو الداء المهــيمن على عقول ونفوس الماديين ، وأصحاب الأهواء ومتبعي الأديان المحرفة ... كما أنه يوجد في دوائر جزئية عند المسلمين أيضاً فنلاحظه عند الفقهــاء والمفسرين... ، ونلاحظه عند الجمعيات الإسلامية التي تتصدى للأعمال الإسلامية الكبرى ، فيفسدون بتعصبهم أعمالهم ونياتهم ويجعلهم تعصــبهم أصــحاب أهواء ينحرفون عن الحق ، وينصرون الباطل ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ثم يخذلهم الله لذلك . إنهم في غمرة التعصب يــندفعون اندفــاع محجــوبي الأبصار ، إلا من زاوية الرؤيه التي حصروا أنفســهم فــيها ، فهم لا يرون إلا من خلالها . (الميداني ١٤٠٣هــ ص ١١٧ــ ص١١٨) .

وهذه الرؤيه ذات بعد واحد تورث صاحبها الانغلاق ، والتي سبق الحديــث عنها تحت مفهوم الانغلاق في الفصل الأول من هذه الدراسة ، يقــابل تلــك النظرة الشمولية الناجمة عن رفض التعصب واتباع الهوى ، نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

والتربية الإسلامية بدورها تربي أفرادها على رفض التعصب واتباع الهــوى ، وتروضهم على اعتياد السلوك الكريم ، قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة المائدة . إنها قمة في ضبط النفس ، وفي سماحة القلب ، ولكنها هي القمة التي لابد أن ترقى إليها الأمة كلها ... وبهذا استطاعت التربية الإسلامية ، بالمنهج الرباني ، أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية ، والاعتياد على السلوك الكريم.. بعد أن كانت نفوسهم أبعد ما تكون عن هذا المستوى وعن هذا الاتجاه . فولد الإنسان من جديد في الجزيرة العربية ، وكان هذا هو المولد الجديد للعرب، كما كان هو المولد الجديد للإنسان في سائر الأرض ، ولم يكن قبل الإسلام في الجاهلية المتعصبة العمياء (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) . (قطب ، ١٤١٢هـ ، ج٢، ص٨٥٢ – ص٨٥٣) . وقال ﷺ : (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمِّيَّة ، يغضب للعصبة ،ويقاتل للعصبة فليس من أمتي)** (مسلم ، كتاب الأمارة ، باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ، ج٣ ، ص ١١٧٤ رقم الحديث ، ١٨٤٨) . ولرفض التعصب واتباع الهوى أخلاقيات تدل عليه منها : " أن ينظر إلى القول لا إلى قائله ، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات والاعتراف بالخطأ ، والترحيب بالنقد من الآخرين ، وطلب النصح والتقويم منهم ، والاستفادة مما عند الآخرين من علم وحكمة ، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه ، والدفاع عنه إذا اتهم بالباطل ، أو تطاول عليه أحد بغير حق " (القرضاوي ، ١٤١٢هـ ، ص١٣٣، ص١٣٤) . والمسلم يألف ويؤلف ، ويؤثر في المجتمع ويتأثر بما حوله ذو عقلية نظيفة من العصبية أيّاً كان نوعها ، متجرد من الهوى وميوله الشخصي ، وحظوظ النفس الأمارة بالسوء ، ينظر إلى الواقع بمنظار عين المسلم البصيرة، التي تقبل الحق أياً كان مصدره

وترد الباطل مهما كان مؤثراً صاحبه . وعلى ضوء ما سبق ، يمكن القول إن رفض التعصب واتباع الهوى يحتاج إلى رياضة للنفس ، وتربية صادقة ؛ لـتفقه مـنهج الله في الحـياة ، فلا تستعلي على الحق لقلة أصحابه ، أو لضـعفهم ، أو لبشـرتهم ، أو لدينهم ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتجرد من الهوى ، ورغبات النفس الأمارة بالسوء ولذا كان من أهم مظاهر الانفتاح العقـلي في التربـية الإسـلامية أن يتحلى صاحب هذا الخلق بالبعد عن التعصب بأنواعه والتخلي عن الهوى ورغباته ، وحظوظ النفس .

٤ ـ الاجتهاد :

لقد رفع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه ، قال تعالى :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ، بل رتب عـلى خطأ المخطئ الأجر إذا كان مجتهداً ولم يوفق للصواب ، قال ﷺ : (**إذا حكـم الحـاكم فاجـتهد ، ثم أصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجـتهد ، ثم أخطأ فله اجر**) (مسلم ، كتاب الأقضية ، باب بيان اجر الحـاكم إذا اجـتهد ، فأصـاب أو أخطأ ، ج ٣ ، ص ١٠٨١، رقم الحديث ١٧١٦) . وهكذا جعل له أجر الاجتهاد ، ولم يأثم على خطئه . والاجتهاد ليس حقاً مباحاً لكل فرد من أفراد المجتمع ، بل هو لفئة من أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام ويقيسون الأمور ، ولهم صفة الرسوخ في العلم،قال تعالى :﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل . والمراد أن كل صاحب اختصاص هو أدرى بصنعته ، وأعرف بأسـرارها فهو يسأل عنها لأنه أدرى بخصائصها . وهؤلاء هم الذين لهم حـق الاجـتهاد وهم المأجورون في حال الخطأ لأنهم أرادوا الحق ، ولم يوفقـوا له ، وليس طلباً لهوى أو تعصباً لمذهب . فهذا أبو بكر الصديق رضـي الله عنه لما سئل عن الكلالة قال :" إني سأقول فيها برأي فإن يك

صواباً فمن الله ، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان ، أراه : ما خلا الولد والوالد "(الخطيب البغدادي ، ١٤١٧هـ ، ج١، ص٤٩٠). " كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء ، فإن كان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، وإن لم يكن عن رسول الله ﷺ ، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، وإن لم يكن عن أبي بكر وعمر اجتهد فيه رأيه "(ج١، ص٤٩٧) . فالاجتهاد هو " بذل الجهد للوصول إلى ظن بحكم شرعي " (عبدالخالق ، ١٤٠٥هـ ، ص١٢) وهذا يعني أن المجتهد يبذل جهده ليعرف مراد الله سبحانه وتعالى في قضية ما، فهو إعمال للعقل والفكر في المسائل النازلة ، وجمع النصوص لها وقياسها على أشباهها ، ونظائرها ، والمراد في الانفتاح العقلي أن يعمل الباحث المسلم عقله ولا يعقله ويعلي من شأن فكره ، كما طلب الله ذلك منه بقوله تعالى:﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾سورة الزمر ، وفي الآية دلالة على حط قدر التقليد المحض ولذا قيل:

شمر وكن في علوم الدين مجتهداً ولا تكن مثل عير قاد فانقاد.

(الألوسي ، ١٤١٥هـ ، ج١٢، ص٢٤٣) .

إن تعطيل العقل عن التفكير والاستفادة من كل ما يستجد في الحياة هو جمود وتحجر وعدم استغلال مواهب العقل في ما يعود بالنفع على المسلمين ، ومن أكبر أسباب ذلك ، الاعتماد على التقليد الأعمى ، والتعصب دون نظر وإعمال للعقل الأمر الذي " جعل كثيراً من المسلمين يعطلون عقولهم ، ويتكئون على جهود غيرهم ، حتى وصل بهم الحال إلى قفل باب الاجتهاد – رغم أن الحياة متجددة ومشكلاتها وقضاياها لا تتناهى – فإن توقف المسلمين عن تقديم الحلول وبيان حكم الله ورسوله في

النوازل جعل الناس يأخذون بحكم الطواغيت من الشيوعيين وعبدة القانون البشـــري . ومن الملحوظ أن الفترات التي تُسيْطِر فيها على المسلمين مثل تلـــك الأفكـــار الجامدة وهي فترات الضعف والوهن والانحطاط في جميع جوانـــب الحياة الإسلامية " (العودة ، ١٤١٢هـــ ، ص٦٨ — ص٦٩) .

وبهـــذا يتـــبين أن من أهم مظاهر صاحب الانفتاح العقلي هو قدرته على الاجتهاد في المسائل النازلة ، واستثمار عقله فيما يعود بالنفع والخير لأمته الإسلامية ، مبتعداً عن الجمود والتعصب الذي هو مدعاة لعدم الاستفادة من العقل وتعطيله .

٥ ــ التوسط والاعتدال :

يجـــنح البشر في كثير من الأحيان إلى التطرف فيما يعتقدون ، وفي أحكـــامهم وتوجهاتهم ، وصفة المنهج الحق أنه دائماً وسط بين باطلين ، فالإســـلام وسط بين الأديان ، والأمة المسلمة وسط بين أهل الملل ، وقد خصها الله عز وجل بهذه الخاصية في محكم آياته حيث قال عز من قائل :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّـةً وَسَطًـا لِّتَكُونُـوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَـكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِـيدًا ۗ ﴾ سورة البقرة. إنها أمة وسط بكل معاني الوسطية وسط في الفضل ، ووسط في الاعتدال ، ووسط بين الإفـــراط والتفريط ، ووسط في العقائد ،ووسط في العبادات ،ووسط في المعاملات . هذه الوسطية التي جعلت منها أمة رائدة بين الأمم في تفكيرها وفي تعاملها وفي قيادتها للبشرية .

يقـــول (قطب ،١٤١٢هـــ) : " أمة وسطاً في التفكير والشعور لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق ، وتقلد تقليد القردة المضحك ، إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومـــناهج وأصـــول ، ثم تنظر في كل نتاج للتفكر والتجريب ، وشعارها

الدائـــم الحقـــيقة ضـــالة المؤمـــن أنى وجدها أخذها في تثبت ويقين " (ج١، ص١٣١) . وإذا كانت هذه الوسطية والاعتدال من خصائص هذه الأمة وسماتها فإن هذه الوسطية لازمة من لوازم أفرادها ؛ لذا يجب عليهم النهوض بتلك القيم والمبادئ إلى ما كان عليه الرعيل الأول الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ســورة آل عمــران . إن التوســـط والاعتدال من أهم مظاهر المسلم الذي يتمسك بهدي الكتاب والســـنة ، فهو وسط في جميع أموره ومن ذلك أنه وسط في فكره وعقله فهـــو لا يغلـــق عقله ويتحجر في تبعية وتقليد مميت ؛ لأنه يعلم قول الله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾سورة البقرة . ولا يسير خلف كل ناعق ، ويتبع كل صوت بل يمحص ويميز الغث من السمين فيأخذ ما يعود بالنفع عليه وعلى أمته ، وينـــبذ كل ما يضره ، ويضر الأمة المسلمة في تفكير وسط ومنهج عقلي وعمـــلي فريد ؛ لأنه يعلم أن السير دون نظر وتأمل مذموم لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ ســورة النساء . وهكذا تملي آيات الكتاب الكريم على المسلم أن يكـــون وسطاً بين الإفراط والتفريط ، وسط في جميع أمور حياته ليكون خليفة في الأرض ويعود بهذه الأمة إلى مجدها وعزها وسؤددها .

٦ – قبول الحق من المخالفين :

قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة المائدة .

يقــول (السعدي ، ١٤١٤هــ) : " .. بل كما تشهدون لوليكم فاشـــهدوا عليه وكما تشهدون على عدوكم ، فاشهدوا له ، فلو كان كافــراً أو مبتدعاً ، فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، لا لأنه قاله : ولا يرد الحق لأجل قوله ،فإن هذا ظلم للحق "(ج١، ص٥٠٥) وهكـــذا أدبنا القرآن الكريم حين ساق كلام بلقيس- وقت كفرها – ثم وافقهـــا عليه ، قال تعالى – حكاية عنها – : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ســورة النمل . إن قبول الحق من المخالف منهج قرره الله عز وجل في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ بقوله : ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة سبأ " وهذه غاية النصفة والاعتدال ، والأدب في الجدال أن يقول رسول الله ﷺ للمشركين : إن أحدنا لابد أن يكون على هدى ، والآخر لابد أن يكون على ضلال ، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال ؛ ليثير التدبر والتفكير في هدوء لا تغشى عليه العزة بـــالإثم ، والرغبة في الجدال والمحال ، فإنما هو هاد ومعلم ، يبتغي هداهم

وإرشـــادهم لا إذلالهـــم وإفحامهم لمجردة الإذلال والإفحام " (قطب ، ١٤١٢هـــ ، ج٥ ، ص٢٩٠٥). وهكذا كان ﷺ حتى مع أعداء الإسلام يتـــنازل معهم ويخبرهم على أنه على استعداد لقبول الحق إذا كان معهم واســـتطاعوا أن يقنعوه به ، إنه قبول للحق لا خنوع للباطل واستماع لـــرأي المخـــالف دون مقاطعة كما فعل رسول الله ﷺ مع عتبة بن ربيعة حينما جاء يعرض عليه المال ، أو الملك، أو العلاج إذا ما كان به مرض .
فقال رسول الله ﷺ : **قل يا أبا الوليد أسمع** ، قال : يا ابن أخي إن كنت إنمـــا تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكـــثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونـــك ، وإن كنـــت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتـــيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرحل حتى يداوى منه – أو كما قال له – حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، **قال : أقد فرغت يا أبا الوليد** ؟ قال :نعم، **قال: فاسمع مني** ، قال : أفعل،**فقال:**
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ سورة فصلت . ثم مضى رسول الله ﷺ فـــيها يقرؤها عليه ...ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . (المباركفوري ، ١٤٠٠هـــ ، ص١٢٢) .

إنهـــا أخلاق الأنبياء ، فهذا رسول الله ﷺ يستمع لرأي المخالف دون مقاطعـــة ، ويرد عليه بعد الاستئذان منه (أفرغت يا أبا الوليد) إنه أسلوب الحوار والجدال ، بالتي هي أحسن ، فالهدف هو الوصول إلى الحق وهذا لا يمنع أن أسمع من أعدائي وأصغي لما يقولون ، ثم بعد ذلك أحكم عـــلى ما سمعت وأرد عليه في هدوء واتزان بعيداً عن التعصب ورغبة في هداية المخالف إلى الحق . ففي الحديث عن قتيلة بن صيفي الجهنية قالت : **(إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا يقولـــوا : ورب الكعـــبة ، وأن يقولـــوا : ماشاء الله ثم شئت)**[1] . (النسائي كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بالكعبة ، ج٧ ، ص٦ ،رقم الحديث ٣٧٧٣) . قال (آل الشيخ ، د.ت) : "وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان " ص ٤٠٧ .

وعـــلى هذا سار أصحابه من بعده ﷺ على هذا المنهج ، فهذا ابن مســـعود يوصي رجلاً فيقول له : "ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً ، ومن آتاك بباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً " (الطبراني ، د.ت ، ج٩ ، ص ١٠٦ ، رقم الحديث ٨٥٣٧) . وجاء في قصة أبي هريرة مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من طعام الزكاة ، فأمسكه ثم أطلقه ، ثم قال لـــه في الثالثة : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تـــزعم ألا تعود ثم تعود . قال : دعني وأعلمك كلمات ينفعك الله بها : قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حتى تختم الآية .فإنك لا يزال عليك من الله حـــافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . قال أبو هريرة : فخليت

---

[1] سبق تخريجه ص٥ .

سبيله ، فأصبحت : فقال لي رسول الله ﷺ : **ما فعل أسيرك البارحة ؟** قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾حتى تختم الآية .وقال لي : لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان ، وكانوا أحرص شيء على الخير . فقال النبي ﷺ : **أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة** . قال : لا قال : **ذاك شيطان** " (البخاري ، كتاب الوكالة ، باب إذا وكل رجلاً وترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ، ص٤٣٣، رقم الحديث ٢٣١١) .وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: " اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً – أو قال فاجراً –واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال: إن على الحق نوراً "(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ،ج٥ ، ص١٠١ – ص١٠٢) .

وهكذا كان منهجه في الاستماع لآراء المخالفين والقبول لحق إذا ظهر مع غيرهم ، فلا استعلاء بالباطل ولا كبرياء تصد عن قبول الحق يؤكد ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : " أيها الناس إنما أنا متبع ولست مبتدع فإن أحسنت قولي فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني" (الطبري ، ١٤٠٨هـ ، ج١ ، ص ٢١٨) . ومن بعد صحابة رسول الله ﷺ سار سلفنا الصالح على ذلك المنهج ، فقد كان علماء الحديث ينقلون أقوال بعض الرواة المتهمين في دينهم كالشيعة والمرجئة ، وذلك لأنهم يتصفون بالدقة والصدق في الرواية ، فلم تمنعهم مخالفتهم لهم في العقيدة من أخذ ما لديهم من حق .

ومن الأمثلة على ذلك أن البخاري ومسلم رويا عن سعيد بن محمد الجرمي ووثقه الذهبي رغم أنه شيعي (الذهبي ، ١٩٦٣م ،ج٢، ص١٥٧).

وكذلـــك روى البخاري لعبّاد بن يعقوب حديثاً في الصحيح رغم أنـــه شيعي مبتدع (ج٢ ، ص ٣٧٩) . وقبول ما عند الآخرين من حق أكـــثر مـــا يصدق في وقتنا الحاضر على نتائج العلوم الطبيعية النافعة والتي قدمت للإنسان خدمة جليلة ، وكذلك على كثير من القضايا الفكرية التي تتمشى مع مبادئ الإسلام وتخدم مقاصده العامة . وهكذا يظهر للباحث أن قـــبول الحق أيّاً كان مصدره من أهم المظاهر الملازمة للمسلم الواعي المتفتح المقتفي لأثر النبي ﷺ وأصحابه في غير اتباع للباطل وتعصب لرأي أو مذهب ، لا تأخذه العزة بالإثم ، ولا يضلله بريق الباطل من سماع الحق وقبوله .

ثالثاً : ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية :

لقـــد تـــبين ممـــا ذكر آنفاً مدى أهمية أن يكون الانفتاح منضبطاً بالضوابط الإسلامية فوجهة الانفتاح عند المسلمين تحكمها ضوابط العقيدة التي تخضع جميع عوامل الأخذ عن الغير في إطار حدود التشريع الإسلامي إذ أن هـــذه الضوابط تمثل الحصانة الواقية من كل دخيل على الإسلام ، وعقـــيدته ، ومـــبادئه ، وقيمه ، وطبيعة مجتمعه ، وهذه الضوابط تستمد سماتها مـــن الإسلام نفسه فهي ذات أصول ثابتة وهي القرآن والسنة ، وذات أبعـــاد إيمانية عميقة تشمل الدنيا والآخرة وغيرها من السمات التي يمكن إطلاقها على هذه الضوابط ، كل حسب موقعها في عملية الضبط ، وفي الحقـــيقة هـــذه الضوابط كانت ملموسة في القرون الأولى للإسلام بصورة واضحة من خلال ملاحظة كيفية تعامل الأمة الإسلامية مع غيرها مـــن الأمـــم لذا فهي أصيلة راسخة ، ذات اتصال واقعي معاش بالأمة . وبالتالي يمكن عدها من الضروريات الحضارية في حياة الأمة والتي لا غنى

عنها في عملية التقبل من الأمم الأخرى ، ويمكن للباحث عرض بعض هذه الضوابط للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية على النحو التالي :

أ - ضـــوابط المتقبِّل : وتعني الضوابط التي تتعلق بالشخص الذي يتصف بهذه الصفة ، ويقوم بأداء المهمة تجاه أمته .

ب - ضـــوابط المتقـــبَّل: وتعـــني الشيء أو المادة المراد تقبلها من الآخرين .

أ ـــ ضوابط المتقبِّل :

١ـــ أن يكـــون صاحب عقيدة صحيحة ومنهج صحيح راسخ في العـــلم قـــد امتزج نور الوحي بعقله ، وسمعه ، وبصره ،حتى اصبح عنده معيار وميزان شرعي ، فيكون بذلك أهلاً للتمييز بين الطيب والخبيث ، ذا بصـــيرة إيمانية تقيه الزيغ عن الحق وبصيرة علمية تستند على العلم والفهم المـــتمكن في المجـــال الذي سيتقبل منه ، وهذه هي الأصالة الإسلامية التي يقـــول عنها (قطب ، ١٤١٠هـــ) : "إن الأصالة أمر له أهميته البالغة في وقت النقل عن الغير بصفة خاصة فالأصالة لا تمنع الاستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية التي هي في النهاية جهد بشري مشترك تتداوله الأمم ويتداولـــه الأجـــيال ولكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل " ص١٠٥ .

٢- أن يـــراعي توحـــيد الجهـــود المبذولة في التقبل من الآخرين وضـــبطها ، لـــتقويّ عملية المجابهة لطوفان الحضارة الغربية ، ولأن العمل الحضـــاري إنمـــا ينهض بجهود أمة ، ولا يمكن أن يتحرك بمساعي أفراد ؛ فالأمـــة لا تخلـــو من طاقات فردية مؤهلة للتعامل مع الآخرين على وعي وبصيرة ولكنها مبعثرة غير موحدة .(داود ، ١٤١٣هـــ ، ص٩٨) .

٣ – أن يـــتعامل مع الغرب من موقع العزة والاستعلاء بالإسلام ، قـــال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ سورة آل عمران . وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة المنافقون . حتى وإن احتجنا إلى ما عندهم من تقدم عـــلمي وتقني ، فلا نرضى لأنفسنا بموقف الضعف تجاههم ؛ وإنما نتعامل معهـــم ونتقبل منهم ، ونحن الأعلون بإيماننا وتوحيدنا ، متشبثين بالمفاضلة بينـــنا وبين الكفار على أساس الإيمان والهدى ، فليس وراء هدى الله إلا الضـــلال ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ ســـورة الـــبقرة . وقال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ســـورة يونس . أضف إلى ذلك أن موقف الاستعلاء يتيح لأصحابه أن يتخيروا وينتقوا بما يناسب تعاليم دينهم وفي المقابل يقيهم من موقف الانبهار (قطب ، ١٤١٠هـــ ، ص ١٠٥) ، والافتتان بالحضارة الغربية مهما بلغ شأنها في التقدم العلمي والتقني ، ذلك الموقـــف الذي يمثل عائقاً أمام حرية الانتقاء وجودته ، فينقل أصحابه بلا بصيرة ، كل ما هو موجود في الغرب ، بغير تمييز بين ما ينفع وما يضر ، ولا بـــين ما يتفق مع الإسلام وما يتعارض معه ، ومن ثم يؤدي إلى ذوبان الشخصية وتضييع الهوية .

٤- أن يكـــون مدركـــاً لحقـــيقة علوم الآخرين محيطاً بأصولها ، وأسسها التي بنيت عليها ، قد سبر غورها وعلم منشأها ، وتطورها على مر العصور ، والمراحل التي ساهمت في تشكيل وبلورة العلوم على ما هي علـــيه الآن ، حتى يفهم أقوالهم ويعلم مقاصدهم ، وما يعنونه بكلامهم ،

ولأن لكـــل نظرية أو رأي جذور بنيت عليها ،ولا يمكن فهمها دون فهم أصولها التي قامت عليها .

ب – ضوابط المتقبَّل :

١ – موافقـــة الأصـــول الإسلامية : بمعنى : أن يكن المتقبل مما لا يـــتعارض مـــع أصول الإسلام أو مما هو مضاد لها . (الجندي ، د.ت ، ص ١٣) . ويؤكـــد (الـــتويم ، ١٤١٧هـــ) ذلك بقوله : "فأول ميزان تـــوزن به الأفكار والنظم والمفاهيم التربوية هو الكتاب والسنة ، فتعرض عليهما وينظر فيهما ، فإن كانت تلك المقالة أو الفكرة تخالف ما أمرنا الله به أو ما نهانا الله عنه ، أو ما أخبرنا الله به ، فلا ينظر فيها ، ومهما زينت بـــالحجج والبراهين فإن حججها كاذبة خاطئة ، فلا يقدم على قول الله وقول رسول الله ﷺ قول كائن من كان" ص٢٠٧.

والمتبصر في الوافد لديار المسلمين من الحضارات الغربية أو الشرقية يجد أن أكثره مخالف للأصول الإسلامية ، ولذلك يجب أن يخضع للفحص والتحلـــيل خشـــية أن تنـــتقل عقائدهم الفاسدة ، ودعواتهم الهدامة إلى المســـلمين ، فقـــد تكون دسائسهم وعقائدهم واضحة لدى العوام من المسلمين ، وقد تكون خفية لا تظهر إلا لمن كساه الله عقلاً واعياً متفتحاً ، وأكثر ما يكون الغموض في الدس في النظم والآراء التربوية حيث إنها تتأثر دائمـــاً بعقائد أصحابها ، وفي ذلك يقول (النّدوي ، ١٤٠٣هـــ) : "إن لـــنظام التعليم روحاً وضميراً كالكائن الحي ، له روح وضمير ، إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغاياتهم من العـــلم ودراســـة الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ، ومظهر لأخلاقهم ، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة ، روحاً وضميراً بذاتهما ، إن هـــذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً ، إنها تسري في جميع العلوم ،

في الأدب ، والفلسفة ، والتاريخ ، والفنون ، والعلوم العمرانية ، حتى في علم الاقتصاد ، والسياسة ، بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح ، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها ، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي قوة الاجتهاد وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز بين النافع والضار ، وهذا العمل سهل في العلوم الطبيعية والتطبيقية بينما هو صعب ودقيق في نفس الوقت في الأدب والفلسفة ، والعلوم العمرانية ، ولا سيما إذا كانت أمّة تتميز بعقائد معينة وتتبنى فلسفة مستقلة ، وأسلوباً خاصاً للحياة وتاريخاً مستقلاً " (ص ١٧٣، ص١٧٤) .

وبناءً على ذلك ينبغي لكل فرد مسلم رزقه الله العقل الواعي والمفتح أن ينظر لكل شيء بمنظار الشرع فلا يتقبل كل ما يفد إليه من الحضارات الغربية والشرقية إلا إذا كان مدركاً لمعناه سابراً لغوره ، وقد بحثه وعرضه على مصادر الشريعة الإسلامية فما وافقها أخذ به ،وما خالفها نبذه وتركه .

٢- الحجة والبرهان : الحجة ما دل به على صحة الدعوة ، وقيل : الحجة والدليل واحد (الجرجاني ، ١٤١٨هـ ، ص١١٢) . وقيل الحجة : البرهان ، وقيل :ما دفع به الخصم (ابن منظور ، د.ت ، ج١، ص ٧٧٨ - ص٧٧٩) . قال تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة الأنعام . والبرهان في اللغة : بيان الحجة واتضاحها ، البرهان :الحجة الفاصلة البينة ، برهن ، يبرهن ، برهنة : إذا جاء بحجة قاطعة للد الخصم ، والبرهان الحجة والدليل (ابن منظور ، د.ت ، ج١ ، ص٢٧١) .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ١١١ .

قال (القرطبي ، ١٤١٣هـ) : "البرهان : الدليل الذي يوقع اليقين "(ج٢، ص ٧٥) . وعليه يتبين أن الحجة والبرهان تعني : مجادلة الخصم بالدليل القاطع . ومن خلال هذا الضابط يستطيع الفرد المسلم أن يميز بين الطيب والخبيث فيقبل ما فيه فائدة ونفع للإسلام والمسلمين ، وينبذ ما عدا ذلك . ويعتبر هذا الضابط من الركائز الأساسية في مناهج البحث عند المسلمين ، فلا يقبل قول دون دليل في كافة العلوم ، فالمحدثين لا يعتبرون الحديث صحيحاً إن لم يكن متصل الإسناد بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة (السيوطي ، ١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص ٦٣) .فلا يقبل قول أحد إلا بالدليل ، فضبطوا قواعد التحديث والحكم على الحديث بالحجج والبراهين كما هو معلوم في علوم الحديث . بالنظر إلى الدليل فرق الفقهاء بين الاتباع والتقليد " فقالوا : الاتباع هو العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع ، والتقليد هو العمل بمذهب الغير من غير معرفة دليله " (الشنقيطي، ١٤١٤هـ ص ١٦) ، فلا يقبل قول كائن من كان إلا بالدليل وقعدوا في ذلك منهج أصول الفقه ، والذي يحتوي على قواعد البراهين والأدلة فأصبح الدليل هو الضابط للقبول أو الرفض في أي مسألة كانت من الشرع أو من أمور الدنيا . والمقلد الأعمى لا يسأل عن البرهان و الحجة ، وإنما يقلد بدافع الشعور بالنقص وعدم الثقة في العقل ، فكأن من قلده أتم منه عقلاً ونفساً ... ، وكم ابتليت الأمة بالمقلدين العميان الذين انساقوا خلف الغرب والشرق يقلدونهم ، ليس في علومهم

وصناعتهم وإنما في أخلاقهم وقيمهم وعاداتهم وملابسهم وطبائعهم ، ... ولو أنهم أخذوا بالدليل لتبدل الحال كثيراً ولنفوا كثيراً من الخبث عنهم . إن هذا الضابط يعني أن نفحص كل ما أردنا تقبله من خبرات ومكتشفات أو مخترعات ، أو أفكار ، أو آراء ، أو نظريات من الآخرين للنظر في حججهم وبراهينهم وأدلتهم ، وننقدها لنعرف الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، والضار من النافع ، لأن من تقبل رأياً أو فكرة أو آلة أو مقالة دون فحص لأدلتهم فهو تابع للغرب فكرياً ونفسياً .(التويم ،١٤١٧هـ ، ص٢١٤، ص٢١٧) .

٣- تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين : إن عموم شريعة الإسلام وخلودها وعدم قابليتها للنسخ ، كل ذلك يقتضي عقلاً أن تكون مبادئها وأحكامها على نحو يحقق مصالح الناس المتجددة ويفي بحاجاتهم المتغيرة زماناً ومكاناً وحالاً ، وهذا المعنى متحقق في الشريعة الإسلامية ، وواضح من خلال مبادئها وأحكامها . وقد ثبت باستقراء أحكام الشريعة أن القصد الأصلي الذي تدور عليه هذه الأحكام هو تحقيق مصالح العباد وحفظها ودفع الضرر عنها . (زيدان ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٧٨) . إن تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين في الشيء المراد تقبله من الآخرين أمر من الأهمية بمكان ، وقد يكون الشيء المتقبل من الآخرين لا يتعارض مع القرآن والسنة وبرهانه وأدلته صادقة ، لكن لا مصلحة للمسلمين في تقبله فيصبح حينئذ ضاراً من حيث إنه أخذ مكان علم نافع ، إذ أن الأخذ بالعلم في الإسلام مرتبط بنفعه ، والرسول ﷺ تعوذ من العمل الذي لا ينفع فقال الرسول ﷺ :(**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها**) (مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر

من عمل ومن شر ما لم يعمل ،ج٤ ، ص ١٦٥٨ ،رقم الحديث ٢٧٢٢) .

وعليه فإن العلم إذا لم يكن نافعاً وذا مصلحة للمسلمين فإنه يجب عدم تقبله من الأمم الأخرى . والمصلحة لها ضوابط وأنواع بينها الفقهاء فذكر (البرديسي، ١٩٨٣م) أنواعها قال :

"١- مصالح معتبرة : وهي التي قام الدليل الشرعي على اعتبارها ، وهي ثلاثة أنواع :

أ - المصالح الضرورية : وهي التي يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية وتنحصر في المحافظة على الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

ب - مصـــالح حاجية : وهي التي يحتاج إليها الناس في رفع الحرج عـــنهم بحيث إذا فقدت لا يختل نظام الحياة ، ولكن يفوت رفع الحرج ، فرفع الحرج مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعي دل على اعتبارها .

ج - مصـــالح تحسينية : وهي التي لم يقصد بها المحافظة عل الحياة الدنيوية ، ولا رفع الحرج ، وإنما يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات .

٢ ـــ مصالح ملغاة : وهي التي قام الدليل على إلغائها .

٣- مصالح مرسلة : وهي التي لم يقم دليل من الشرع على اعتبارها أو إلغائهـــا وسميت هذه المصالح مرسلة لأنها مطلقة عن دليل باعتبارها أو إلغائهـــا ، ومـــثالها جمع القرآن ، وعمل عثمان رضي الله عنه من توريث الـــزوجة الـــتي طلقهـــا زوجها وهو في مرض الموت للفرار من إرثها " ص٣٢٥ - ص٣٢٨ .

قال (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ) عن المصالح المرسلة " وهو أن يرى المجـــتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة ، وليس في الشرع ما ينفيه ، فهـــذا الطـــريق فيه خلاف مشهور ، فالفقهاء يسمونها المصالح المرسلة ،

ومنهم من يسميها الرأي وبعضهم يقرب الاستحسان ... ، وبعض الناس يخص المصالح المرسلة بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان ، ولـــيس كذلك ، بل المصالح المرسلة في جلب المنافع ودفع المضار ، وما ذكـــروه مـــن دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين ، وجلـــب المـــنفعة يكـــون في الدنيا وفي الدين ، ففي الدنيا كالمعاملات والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق من غير خطر شرعي ، وفي الدين ككـــثير من المعارف والأحوال والعبادات التي يقال فيها مصلحة للإنسان من غير منع شرعي " (ج١١، ص ٣٤٢ - ص٣٤٣) .

وذكـــر (البرديسي ، ١٩٨٣م) " ثلاثة شروط للمصلحة المرسلة وهي :

١- لابـــد أن يتحقق من بناء التشريع على المصلحة المرسلة جلب مصلحة أو درء مفسدة .

٢- أن تكون المصلحة التي يشرع الحكم من أجلها كلية لا جزئية ، فلابد أن يشمل أكبر عدد من الناس تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر.

٣- ألا يعارض التشريع الذي روعيت فيه المصلحة حكماً أو مبدأً ثبت بالنص أو الإجماع ". (ص ٣٣٢) .

وبـــناء على تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين يتم دراسة كل شيء يـــتم تقـــبله من الآخرين من ناحية منافعه ، ومن ناحية مضاره المحتملة ، وترتيـــبه في سلم الأولويات ، فقد يكون في الأمر المتقبل نفع ، لكن هناك أشـــياء أهـــم منه ، وفي الأخذ به نفوت مصلحة أهم . والمسلم الواعي والمتفـــتح يـــنظر إلى الشيء المتقبل من الآخرين بحذر ويتجلى عنده أبعاد المصـــلحة وضـــوابطها الشـــرعية ويفحص بعين الناقد منافعها المحتملة ، وجوانبها السلبية ، وينظر في ترتيبها في سلم الأولويات.

ويـــنظر أيضاً في إمكانيات أمته المالية والفنية ، وهل لديها القدرة على تنفيذ كل ما ينقل إليها من خبرات الآخرين ، أم أن ذلك ضرب من الخيال ، فلابد من الموازنة بين الإمكانيات والقدرات ، وكل ذلك يتم عند الأخذ في الاعتبار بتحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين . وهذا هو موقف الذيـــن يفهمون الإسلام حق الفهم ، فهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقـــيدة ، ولا تخـــش منه مفسدة (أرسلان ، ١٤٠١هـــ ، ص ٧٢) . وبخاصة وسائل التقدم والتطور التكنولوجي الذي شمل جميع مجالات الحياة.

إن هذا التقدم العلمي الهائل ملك الإنسانية كلها ، ونحن لنا سابقة في بناء وتأسيس هذا الصرح العلمي الذي وصل إليه الغرب اليوم ، ولكننا لا نعتـــنق ثقافـــة الغـــرب ؛ لأنها ثقافة خاصة بهم ، يستمد جذورها من طبائعهم ، وتاريخهم ، وليس لنا بها أدنى صلة .

إننا نفتح أبوابنا للتقدم المادي والعلمي ، ونحن واقفون على قواعد ثابـــتة من قيمنا الأصيلة ، وقد أخذت اليابان تقدم الغرب العلمي دون أن تأخذ فكره ، وتعلم الغرب علوم المسلمين وترجموها ولكنهم حولوها إلى قـــاعدة ثقافـــتهم الأساسية المستمدة من مزيج مختلط من الوثنية اليونانية والمســـيحية المحرفة (الجندي ، ١٤٠٠هـــ ، ص١١) . فالأحرى بنا نحن أبناء العقيدة الحقة أن نتمسك بمبادئ ديننا ، ونعضّ عليها بالنواجذ .

وهذا ما ينبغي التأكيد عليه والدعوة إليه لكي ننهض بأمتنا ونزيح عنها غبار التخلف والجمود ، حتى تصحو من غفلتها ، وتسرع إلى مقدمة الركب من جديد .

الفصل الرابع

مظاهر من الانفتاح العقلي عند بعض المربين المسلمين

أولاً : عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣هـ)

ثانياً : الإمام الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤هـ)

ثالثاً : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت:٧٢٨)

التربية الإسلامية تربية صالحة لكل زمان ومكان ؛ لأنها مستمدة من كتاب الله تعالى الذي نزل تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولأنها مستقاة من السنة النبويّة المطهرة الشارحة للكتاب والمبينة لأحكامه .

والتربية الإسلامية مجموعة متناسقة مترابطة من المفاهيم والقيم الفاعلة في نفس المؤمن وروحه ، وهذه التربية قد حفلت على مرّ العصور بمجموعة كبيرة وشهيرة من علماء ومفكرين تربويين كان لهم كبير الأثر على الفكر التربوي الإسلامي .

وفي هذا الفصل الموسوم بمظاهر الانفتاح العقلي عند بعض المربين المسلمين سيقتصر الباحث في حديثه على ثلاثة من المجددين ومن أعلام التربية العربية والإسلامية ، ممن اتصفوا بسلامة المنهج ووضوحه ، ممن كان لهم الأثر الواضح الفعّال في زمانهم وبعد زمانهم . وسيكون سير الباحث في ذلك بالتعريف بالشخصية أولاً بذكر نبذة مختصرة عن حياته ، ثم استعراض أبرز مظاهر الانفتاح العقلي التي ظهرت على تلك الشخصيّة سواء كانت قوليّة أو فعلية ، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أ – نبذة مختصرة عن حياته رضي الله عنه :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشي العدوي ، الفاروق رضي الله عنه(الذهبي ، ١٤١٧هـ ،ص٧١) .
ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين وأسلم وهو ابن ست وعشرين سنة (ابن الجوزي ، ١٤١٧هـ ، ص١٥) .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، وكان رضي الله عنه عند المبعث شديداً على المسلمين ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق . (ابن حجر ، ١٣٢٨هـ ،ج٢، ص٥١٨) شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، ووردت أحاديث كثيرة في فضله ، ومما يذكر منها ، أنه لما أسلم عزّ الإسلام ، ومما يدل على ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه : (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه) (البخاري ،كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر ، ص٧٠٣ ، رقم الحديث٣٦٨٤) . وأن إسلامه كان إجابة لدعوة الرسول ﷺ (**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن هشام**)[1] فكان أحبهما إلى الله عز وجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.(الترمذي، كتاب المناقب ، ج٥ ، ص٥٧٦ ، رقم الحديث ٣٦٨١) (الآجري ، كتاب فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، باب دعاء النبي ﷺ لعمر ، ج٤، ص١٨٧٥، رقم الحديث ١٣٤٦) . خصّه الرسول ﷺ بأنّه (المحدّث) أي الملهم ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه) (الآجري ، كتاب فضائل عمر بن الخطاب ، باب ما روي أن الله عز وجل جعل الحق على قلب عمر ولسانه ،ج٤، ص١٨٨٧،رقم ١٣٥٧) . وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول : (**قد كان يكون قبلكم محدثون فإن يكن أمتي منهم أحد ، فإن عمر بن الخطاب منهم**) (مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر ، ج٤ ، ص١٤٨٥ ، رقم الحديث ٢٣٩٨) .

[1] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقال الدكتور عبد الله الدميجي محقق كتاب الشريعة أن الحديث بشواهده حسن إن شاء الله .

اهتم بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ ، وفي عهد خليفته الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وتولى الخلافة بعده ، ودامت خلافته عشر سنين وستة أشهر .

ولمـــا تولى الخلافة اهتم برعيته اهتماماً بالغاً،وتفقد أحوالهم بنفسه، وعـــدل بيـــنهم ،وقام بخدمتهم وتعليمهم، وكان همّه الأكبر بناء الإنسان الصالح ، وذلك لأنه تربى في مدرسة النبوة ، وكانت آثارها في نفسه قويّة انطبعـــت عـــلى كل سلوكه ، تعلم منها الإيمان والإخلاص ، والصدق ، وتحمـــل المسؤوليّة ، اتخذ من رسول الله ﷺ قدوة في جميع شؤون حياته ، فكان قوي الإيمان عادلاً مربياً مفكراً صاحب عقلية ناضجة متفتحة ، إلى جانب أنه كان لديه الاستعداد الكافي لتحمل المسؤولية .

ســـار في الـــناس سيرة حميدة تفتقت عبقريته عن نهج قويم وطريق مستقيم وكان سداً منيعاً وحصناً حصيناً أمام البدع والشبه ، والانحرافات حـــتى كتب الله له الشهادة في سبيله والموت في مدينة رسوله ﷺ ، فقتل يـــوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكان عمره ثلاثاً وستين سنة على أقرب الأقوال رضي الله عنه وأرضاه ، وجمعنا به في دار كرامته . (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، ص٣٦٥) .

ب- أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

١- سلامة العقيدة :

إن وضوح هذه الصفة وجلاءها في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يخفى على أحد من المسلمين ، كيف لا ؟ وقد أوصانا رسولناﷺ باتـــباع سنة الخلفاء الراشدين بقوله :(**فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة**

الخلفـــاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[1] (ابن ماجة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ج١، ص٢٩، رقم الحديث ٤٣) .

وفي روايـــة عـــند (ابن أبي عاصم ، ١٤٠٠هـــ) **(عليكم بسنتي وسنة الخلفـــاء الراشـــدين المهديـــين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالـــنواجذ)** (ج١، ص١٩، رقـــم الحديث ٣١) . وعمر الفاروق ثاني الخلفـــاء الراشدين ، ولو لم تكن عقيدتهم سليمة ، ومنهجهم واضحاً لما أوصـــانا المصـــطفى ﷺ بذلـــك ، ولما وصفهم بالمهديين . والأمر الجلي الواضح الحديث عنه يعد من باب الفضول غير أنني لا أجد غضاضة في أن نســـتنير ببعض أقواله وأفعاله رضي الله عنه التي تؤكد ذلك . وبادئ ذي بـــدء نقول إن العقيدة السليمة الصافية هي أساس وضرورة لوحدة الفكر والعمل ، ولتحرير إرادة الإنسان المسلم ، وقد أكد هذا عمر رضي الله عنه في خطبه :(الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ورحمنا بنبيه محمـــد ﷺ ، فهدانـــا به من الضلالة ، وجمعنابه من الشتات ، وألف بين قلوبـــنا، ونصرنا على عدونا .. وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة ، فقـــلما كفر قوم بنعمة و لم يترعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم من عدوهم) (ابن عبد ربه ، ١٤٠٤ هــ ، ج٤ ، ص١٥٤) .

ويؤكـــد نفـــس المعنى في قوله : (أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويهلك من سواه، الذي ينتفع بطاعته أولياؤه ، وبمعصيته يضر أعداؤه فإنه ليس لهالك هلك معذرة في تعمد ضلالة حسبها هدى ، ولا في ترك حق حســـبه ضـــلالة، وإن أحق ما تعهد الراعي من رعيته تعهدهم بالذي لله علـــيهم في وظائف دينهم الذي هداهم الله له ، وإنما علينا أن نأمركم بما

---

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج٢ ،ص٨٠٥ ، برقم ٤٣٦٩ . وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٦ ، وقال حديث صحيح .

أمـــركم الله بـــه من طاعته، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته) (أبو يوسف ، ١٣٩٩هـــ ، ص١٣) .

ومـــا يدل على سلامة العقيدة لدى صاحبها وقوفه عند كتاب الله وللفاروق في ذلك مواقف منها :

موقفـــه مع عيينة بن حصن ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فترل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهـــولاً كانوا أو شباناً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عـــند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه ، فقال سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحُرّ لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هيْ يا ابـــن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزْل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم به ، فقال له الحُر : يا أمير المؤمنين ، إن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ سورة الأعراف ، وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها حين تلاها عليه ، فكان وقافـــاً عـــند كتاب الله (البخاري ، كتاب التفسير ، باب (خذ العفو) ، ص٨٨٤ ، رقم الحديث ٤٦٤٢) . وهذا الوقوف من أمير المؤمنين خير دلـــيل على سلامة عقيدته وقوة إيمانه وقربه من الله عز وجل ، ومما يزيد الأمـــر وضـــوحاً وجلاءً حذره الشديد من الابتداع وتحذيره منه وتمسكه بالسنة ،وهناك من الأقوال ما تؤكد ذلك . منها ما روى المسور بن مخرمة أن عمـــر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كـــثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة ،فتبصرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟

قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ (**أرسله اقرأ يا هشام**) فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : (**كذلك أنزلت ثم قال : اقرأ يا عمر**) فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : (**كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**) (البخاري ،كتاب فضائل القرآن،باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ص٩٩٣، رقم الحديث ٤٩٩١) . وفي هذا الحديث يتضح مدى حذره الشديد من الابتداع والتحريف في كتاب الله تعالى ،وهذا الفعل لا يصدر إلا من صاحب عقيدة سليمة صافية ومنها قول نافع : كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . (ابن الجوزي ، ١٤١٧هـ، ص١٣٩) .
إن هذا الفعل الذي حدث من أمير المؤمنين وهو(قطع الشجرة)على مرأى منهم هو عين الصواب ؛لأنه لو ترك لهم الحبل على الغارب يفعلون ما يشاءون عند تلك الشجرة لاستشرى الأمر في نفوسهم ، وبالتالي يصبح من الصعوبة بمكان علاجه والقضاء عليه ، ولا يحدث هذا الفعل إلا من صاحب انفتاح عقلي واع ومنضبط قائم على أساس إيماني ، ومنبعث من عقيدة إسلامية صافية .

٢- مكانة العلم وقدره :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل الدولة المثقف ، المعلم صاحب السفارات والرحلات ، المفتي في القضايا ، يدرك أهمية العلم والتعليم

ومكانـــته وقدره ، ومن الصفات البارزة لصاحب الانفتاح العقلي أن يبلغ درجة من العلم تمكنه من القدرة على التفكير السليم ، والاختيار الصائب وكـــلما ازداد المتعـــلم عـــلما ومعرفة كان أقدر على التفكير والاجتهاد والموازنة بين المصالح والمنافع فيقدم الصالح على الفاسد والنافع على الضار وكذلك الأصلح على الصالح ، والأهم على المهم .

ولقـــد بلغ عمر رضي الله عنه درجة من العلم شهد له بذلك من لا ينطق عـــن الهوى ﷺ ، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺقال : (بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه ، حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : العلم) (مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ، ج٤، ص١٤٨٣، رقم الحديث ٢٣٩١) .

وكـــان رضي الله عنه يدعو الناس إلى طلب العلم ، وقد وردت الأقوال الكثيرة عنه رضي الله عنه ، تؤكد هذا ، وتدعمه ، ومن تلك الأقوال :

" تعـــلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تُعلِّمون وتواضعوا لمن تَتعلمون منه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم " (ابن عبد البر ، ١٤١٨هـــ ، ج١، ص٥٠١) ،" تفقهوا قبل أن تسوَّدوا "(البخاري،كتاب العلم،باب الاغتباط في العلم والحكمة،ص٣٩).

و " كونـــوا أوعـــية للكتاب ، ينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ، وعدُّوا أنفسكم في الموتى ، ولا يضركم ألا يكثر مالكم "(ابن الجوزي ، ١٤١٧هـــــ ، ص٢٠٢) ، و" لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث ، لا يتعلم ليمارى به ، ولا يباهى به ، ولا يراءى به ،ولا يترك حياءً من طلبه ، ولا زهـــادة فيه ، ولا رضى بالجهل منه " ص٢٢٠ . و " يا معشر القراء

ارفعوا رؤوسكم ، فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين " ص٢١٤ .

إن مجمـــوع هذه الأقوال يدل على مدى اهتمام عمر رضي الله عنه بالعلم والتعليم ، ومن ثم مكانة العلم وقدره لديه ، ويوحي بدلالات معينة من أهمها :

- أهمية العلم والتعليم لحياة الإنسان والمجتمع .
- أهمية العلم والفقه لكل مسؤول وراع للمسلمين .
- أهمية العلم الديني السلوكي .
- أن للعلم آداباً تتمثل في أهمية السكينة للتعلم ، والتواضع للمعلمين والمتعـــلمين ..، وتوجيه النية في طلب العلم لله ، وتجنب المراءاة والممارة وتـــرك الحياء في طلبه وعدم الزهد فيه ..(أبو العينين ، ١٤٠٩هـــ، ج١، ص٤٢) .

ومما يدل على مكانة العلم وقدره لديه رضي الله عنه ، حرصه على نشر العلم في كل الأمصار المفتوحة في عهد خلافته ، فقد أرسل عبدالله بن مســـعود رضـــي الله عنه إلى الكوفة ليعلّم الناس فيها ، وكتب إليهم "إني بعثـــت إليكم بعبد الله بن مسعود مغلماً ووزيراً ،وآثرتكم به على نفسي فخذوا منه " (الوكيل ، ١٤٠٦هـــ ، ص٤٥) .

كما بعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة حاكماً ومعلماً حيث كان يعلم الـــناس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . (ابن سعد ، د.ت ، ج٤، ص١٠٨) .كما أرسل معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ،وأبا الدرداء ، لينشروا العلم في الشام استجابة لطلب يزيد بن أبي سفيان حين أرسل إلى عمر بحاجته إلى من يعلم الناس في الشام .(ابن حجر ، ١٣٢٨هـــ ،ج٢، ص١٠٨) . وكـــان رضـــي الله عـــنه يتحرى في هذه البعثات الصادقين

المشــــهورين بالعلم ، وكان ينهى أن يؤخذ العلم من غير أهله ، وقد قام بنفســـه بتعليم الناس ، وكان يجلس لمدارسة العلم ، وكان يحذر من اتباع الـــرأي على غير أصل ، وكان ينصح بعثاته التعليمية بهذا . (أبو العينين ، ١٤٠٩هـــ ، ج١، ص٤٣ ، ص٤٤) . وكان لهذه البعثات أثرها الكبير في نشر العلم ، وتحفيظ القرآن الكريم ، وفقه الدين وفهمه وحث الناس على العمـــل به ، وهكذا تتضح مكانة العلم وقدره عند أمير المؤمنين عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه وحرصه البالغ على توفير قاعدة علمية متعلمة في بـــناء الإنسان والمجتمع ، والحضارة الإسلامية ، وذلك من شأنه رضي الله عنه ، أن يجعل للعلم الأثر النفسي ثم العملي اللائق به ، مما يوفر على المربي جهداً كبيراً ، ويقرب له التوفيق من عمله .

٣- رفض التعصب واتباع الهوى :

تلقى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تربيتهم وتعليمهم من المربي والمعـــلم القـــدوة محمـــد ﷺ ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعيش بين أصحابه دون أن يكون بينه وبينهم حجاب ، فقد كان يخالطهم في المسجد والسوق والبيت والسفر والحضر ، وكانت أقواله وأفعاله محل عناية منهم وتقدير ، يتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم في جميع شؤون حياهم صغيرها وكبيرها ، وكان لتلك التربية الأثر البالغ في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أجمعين . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف على منبر المسجد بعد أن فرغ من صلاة الظهر ، ويقول :

> " أيهـــا الـــناس مـــا إكثاركم في صدقات النساء ؟ لقد كان رسول الله ﷺ وأصـــحابه يقللون ، وإنما الصدقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولـــو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لم تسبقوهم إليها ، فلا يزيدن رجـــل في صـــداق امـــرأة على أربع مئة درهم قال : فترل فاعترضته امرأة

فقالت : يا أمير المؤمنين أو ما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة النساء .

قال عمر : اللهم غفراً . كل الناس أفقه من عمر !أخطأ أمير المؤمنين وأصابت امرأة ، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت نفسه فليفعل " (ابن كثير ، ١٤١١هـ ، ج١، ص٤٦٧) .

وفي هذا الموقف يظهر عدم تعصب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرأيه ولا لنفسه أمام امرأة من عامة الناس ، ثم فوق هذا يعترف بخطئه ويصوب قول المرأة . كل هذا أمام الناس وعلى مرأى ومسمع منهم .

وهذا موقف آخر لأمير المؤمنين ومع امرأة أيضا يظهر فيه رفضه للتعصب حتى مع نفسه رضي الله عنه وأرضاه ، حيث خرج أمير المؤمنين من المسجد والجارود العبدي معه ، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة ، قال لها : قولي ، قالت : يا عمر ! عهدي بك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت ، فقال الجارود : هيه ، قد اجترأت على أمير المؤمنين ،فقال عمر :دعها أما تعرف هذه ياجارود ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمر أحرى أن يسمع كلامها ، أراد بذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾سورة المجادلة .(المقدسي، ١٤٠٨هـ،ص١٢٤).

وهـــناك موقـــف أخر أيضا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث خالف أمر عمر في رجم الزانـــية الحبلى، وأنكر عليه بقوله (لئن جعل الله لك عليها سبيلا فإنه لم يجعـــل لك على ما في بطنها سبيلا) فيرجع عمر ويقول : لولا علي لهلك عمـــر (السباعي ،١٤٠٥هـــ ، ص٧٧) . هذا الفاروق رضي الله عنه الذي لا يخفى على أحد قوته وبطشه وهو صاحب الرأي السديد المحدث الملهم إذا عرف الحق أذعن له وترك رأيه ، حينما أنكر عليه علي رضي الله عنه وهو أصغر منه سناً لم يتعصب لرأيه ، بل فوق كل ذلك عاتب نفسه بقوله (لولا علي لهلك عمر) .

٤- الاجتهاد :

في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تغيرت الأوضاع فاستقرت الأحوال في جزيرة العرب ، وامتد حكم الدولة إلى مساحات واسعة الرقعة فشـــمل سلطانها شعوبا كثيرة ، ولكل شعب عاداته وتقاليده ، وإن دخل أبـــناؤه في الإســـلام ، إلا أنهـــم قد بقيت عندهم خلفيّات من الماضي ، وتأثيرات من القديم فلا بد من معالجتها ، كما أن الاستقرار ينشأ عنه أمور لم ينتبه إليها من قبل لما كان يجري في الجزيرة وما يدور خارجها ، فكان لا بـــد من وضعها في مكانها الصحيح ، وجمع الأمة على أمر واحد حتى تستطيع أن تؤدي دورها في طريق مستقيم دون تشعب ، ومن غير انقسام في الـــرأي ، وهذا كله مسؤولية الراعي ، ويستلزم منه أن يكون ذا عقل ناضج وقلب فطن وسلامة في الحواس ، وقدرة على القياس ، والاستنتاج ، والاستنباط ، وتقويم للمصالح على المفاسد ، مع علم بما يفكر فيه ويستنتج له ، وهذا ما تميز به أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه ، وهي خصائص

ينـــبغي أن تتوفر في كل مجتهد ، وابن الخطاب رضي الله عنه قد بلغ مرتبة عالية في الاجتهاد لم يبلغها سواه .

وفي سيرته رضي الله عنه من المواقف ما يدل على حسن اجتهاده وسلامة اختـــياره ، ومـــن ذلـــك اختياره لأبي بكر ،خليفة للمسلمين بعد وفاة الرســـولﷺ وهذا أمر في غاية الخطورة ، إذ لو ترك الأمر هكذا أو تأخر اختـــيار الخليفة لحصلت الفرقة والتنازع ، ولضعف أمرهم وتشتت شملهم وطمـــع فـــيهم الأعداء الذين يتربصون بهم الدوائر . فعن عبدالله بن عمر رضـــي الله عـــنه قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر ، فقال يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قـــد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تصيب نفسه أن يتقدم أبا بكـــر ؟ وقالـــت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ... قال فقلت : أبســـط يـــدك يـــا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار . (ابن حنبل ، مسند العشرة المبشرين بالجنة (عبد الله بن عمر) ، ج١، ص٥٦) .

ومن صور اجتهاده رضي الله عنه :

- مسألة جمع القرآن الكريم في مصحف واحد :

لا يمكن لأحد أن ينكر أن ما بذل من جهد في جمع القرآن الكريم وترتيبه، وكـــتابة نسخه الصحيحة ، وحفظها ونشر تعاليمه في جميع البلاد ، كان بتوجيه من عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك هو أن أبا بكر الصديق رضي الله عـــنه أرســـل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة وقـــال له: إن عمر أتاني ، فقال إن القتل قد استحر[1] بقراء القرآن وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني

---

[1] استحر : أي أشتد

أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ! قـــال عمـــر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .قال زيد :قال أبو بكر : إنـــك شاب عاقل لا نتهمك ،وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتـــبّع القرآن فاجمعه . قلت : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ! قـــال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للـــذي شرح به صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب والـــلخاف وصـــدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصـــاري . (السيوطي ، ١٣٨٧هـــ ، ج١ ، ص١٦٥) . وأعلن عمر رضـــي الله عـــنه على الملأ أن يأتي إليه كل من تلقى شيئا من القرآن عن رسول الله ﷺ ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان ، وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعاً ، مع كون زيد كان يحفظ القرآن ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط (السيوطي ، ١٣٨٧هـــ ، ج١، ص١٦٧) .

– ومســـألة الأموال العامة ، فقد كانت موارد الدولة في عهد عمر تنحصـــر في : الزكاة ، والفيء ، ثم الغنائم . (الطنطاوي ، الطنطاوي ، ١٤١٩هـــ ، ص١٠٠ – ص١٠١) ولكل مورد من هذه الموارد جهات صرف محددة . ومن اجتهاداته رضي الله عنه في هذا المجال :

١- تـــأخير جمـــع الزكاة عام الرمادة : حين أخر عمر الزكاة عام الرمادة ،فلم يبعث السعاة ، فلما كان قابل ، ورفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا ،فأخذوا عقالين فأمرهم أن يقسموا عقالا ويقدموا عليه بعقال.

وبعث مصدقا[1] عام الرمادة فقال : أعط من أبقيت له السنة غنماً وراعياً ولا تعط من أبقيت له غنمين وراعيين .(ابن سعد، د.ت ،ج٣،ص٣٢٣).

٢- وقفه سهم المؤلفة قلوبهم : من المعلوم أن أهل الزكاة ثمانية ، ومنهم المؤلفة قلوبهم ، وفي زمن الفاروق رضي الله عنه عز الإسلام وقوي جانبه مما يستلزم عدم الحاجة إلى إنفاق أموال الزكاة في هذا الصنف من الأصناف الثمانية ، وانطلاقاً من ذلك رأى الفاروق أنه يوزع المال على سبعة أسهم ، وربما على سهم واحد ، وكان يوجد مؤلفة قلوبهم في صدر الإسلام ، أما الآن فقد عز الإسلام ولسنا بحاجة إلى أن نتألف أحداً ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسيف جاهز . وقد زالت العلة لذا فقد أوقف سهم المؤلفة قلوبهم ، واستشار بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، حيث لم يكن مستبداً برأيه ، وقد وافقوه ، وسار الخلفاء من بعده على نهجه . (شاكر،١٤١٧هـ، ص٤٧٥) .

٣ - رفضه تقسيم الأرض التي فتحها المسلمون عنوة في العراق والشام ومصر بين الفاتحين ، وفرضه الخراج عليها ثم استحداثه للعشر ضريبة تفرض على التجار الذين يفدون إلى أرض الحرب للمتاجرة في أرض المسلمين (الطماوي ، ١٤٠١هـ ، ص٤٢٤) .

قال إبراهيم التيمي: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أقسمه بيننا فأبى ، قالوا : إنا فتحناه عنوة . قال : فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ؟ فأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه وأخاف أن تقتتلوا فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الضرائب - يعني الجزية - وعلى أرضهم الطسق - يعني الخراج - ولم يقسمها بينهم . (ابن الجوزي ،١٤١٧هـ ، ص١٠٦) . وكان لهذا القرار الذي اتخذه أمير

---

[1] المصدق : الذي يجمع الصدقة أي الزكاة .

المؤمنين عدة فوائد تربوية منها :

أ- عـــدم تحـــول الفاتحين إلى فلاحين الأمر الذي يضعف قدرتهم القتالية أمام أعدائهم .

ب - ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وكسب ولائهم ،ساعد على استمرار ازدهار الزراعة في السواد ، وأوجد موردا سنويا كبيرا لبيت المال خاصـــة وأن الأراضي المفتوحة في الشام ومصر عوملت وفق نظام الخراج أيضـــا ، وهـــذا المـــورد مكّـــن الدولة من تجهيز الجيوش الكبيرة والقيام بالإصلاحات المتنوعة ، وخاصة الارتقاء بالمستوى المعيشي للناس ، والحد مـــن نشـــوء الملكيات الإقطاعية الكبيرة لحصر تداول الثروة بأيد قليلة . وهكـــذا اتضـــحت قدرة عمر رضي الله عنه الاجتهادية ، ودقة فهمه ، وعمق بصيرته . ولعمر رضي الله عنه في مجال العبادات اجتهادات منها : جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان فعن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنـــه قال : خرجت مع عمر بنالخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المســـجد ، فـــإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر :نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله . (البخاري،كتاب صلاة التراويح ،باب فضل من قام رمضان ص٣٨٠ ، رقـــم الحديـــث ٢٠٠٨) . فرأى أمير المؤمنين أن الفرضية قد زالت بوفاة رسول الله ﷺ فلا مانع من جمع المسلمين على صلاة التراويح فإن ذلك أفضل من أن تصلى عدة مجموعات في آن واحد ، أو أن يصليها المسلمون فرادى ، وهو يباين فكرة الإسلام في الوحدة والاجتماع ، وينبذ

الفــــرقة والتّوزع ، وفي الوقت ذاته فقد سار الفاروق على سنة رسول الله ﷺ في صلاته هذه الصلاة جماعة في البداية حتى خشي افتراضها ، ولم ينكر أحـــد من الصحابة على أمير المؤمنين رضي الله عنه وبهذا تتضح لنا نظرة عمــر الواقعـــية كرجل دولة وصاحب فكر حضاري سياسي يدرك تماما متطلـــبات الحـــياة لشـــعب يحمل رسالة عالمية ، والحاجة إلى التوفيق بين متطلبات الحياة وبين المثل الأعلى الذي رسمه الله للناس ، كان عمر يعلم أن الدين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة ، ليس مجرد أفكار نظرية يعتنقها الـــناس ، وأنه ليس مجرد عبادات يتقرب بها المسلم إلى ربه ولكنه – أولا وقبل كل شيء – أسلوب كامل في الحياة ومن هنا جاء اجتهاد عمر – في نطاق الفروع – لكي يجعل من تعاليم الإسلام دستورا للحياة ، وقد نجح في ذلك بصورة لم يبلغها المجتمع الإسلامي بعد رسول الله ﷺ إلا في عهده رضي الله عنه . لقد كان ثمرة ناضجة للشعب المسلم الذي غرس الرسول ﷺ بذرته وتعهده بالرعاية طيلة ثلاثة عشر عاماً .

٥- التوسط والاعتدال

ممــــا يتميز به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوسط والاعتدال في أقواله وأفعاله فلا إفراط ولا تفريط ولا تقصير ولا غلو ، ومما يدل على وسطيته واعتداله ما كتبه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضـــاء أما بعد : " فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدي إلـــيك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك ومجلســـك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك..." (ابن خلدون ، ١٤١٩هـــ ، ص٢٠٤) .

فالمساواة بين الناس هي عين التوسط والاعتدال فالتزم ذلك حتى لا يطمع الشريف في الظلم وحتى لا ييأس الضعيف من العدل .

ومن مواقفه رضي الله عنه التي تدل على اتصافه بهذه الصفة والتزامه بها :

أن رجـــلاً قدم إليه وهو يبكي فقال عمر : ما يبكيك ؟ إن كنت غارماً أعنّاك وإن كنت خائفا أمّنّاك إلا أن تكون قتلت نفساً ، وإن كنت خفت جـــوار قوم جولناك عن مجاورتهم ، فقال الرجل : لا ولكن شربت الخمر وأنا أحد من بني تميم . فأخذني أبو موسى فجلدني وسوّد وجهي وطاف بي في الـــناس ، وقـــال لا تؤاكلوه ولا تشاربوه ، ولا تجالسوه ، فحدثت نفسي بإحدى ثلاث : إما أن اتخذ سيفاً أضرب به أبا موسى ،وإما أن آتي المشركين فآكل معهم وأشرب ، وإما أن آتيك فترسلني إلى الشام فإنهم لا يعرفونني ، فبكى عمر ثم قال : إني كنت من أشرب الناس لها في الجاهلية ، وإنهـــا ليست كالزنا ، وما يسرني أن لحق بالمشركين وإن لي كذا وكذا ، ثم كتب إلى أبي موسى : أن فلان ابن فلان التميمي أخبرني بكذا وكذا ، وأيم الله لئن عدت لأسودنّ وجهك ثم ليطاف بك في الناس فإن أردت أن

تعـــلم أحـــقٌ ما أقول فعد وأمر الناس فليؤاكلوه وليجالسوه ، وإن تاب فأقـــيلوا شـــهادته ، وكساه عمر وحمله وأعطاه مائتي درهم .(قلعه جي، ١٤١٨هـــ، ص١٠٦) . وهذا دليل واضح على وسطية عمر واعتداله فإن أبـــا موسى قد أفرط في إصدار الحكم على هذا الرجل الذي شرب الخمر فـــزاده على عقوبة الجلد بأن سود وجهه ونهى الناس عن تكليمه ومجالسته ومؤاكلته حتى ضاقت الأرض على هذا الرجل ، وحدث نفسه بما حدّث ، وهـــنا قد تعطي العقوبة التي تخرج عن طور الاعتدال نتائج عكسية ، فقد يترك الرجل إسلامه ، فلما أخبر عمر بذلك بيّن ذلك فأقر أبا موسى على الجلد وأنكر عليه تسويد وجهه ونهي الناس عن مجالسته وأمر برد الأمر إلى وضعه الطبيعي ، وإلا انتقم لهذا الرجل بقدر مظلمته ، وهذا غاية التوسط وقمة العدل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٦-الشورى :

من الصفات المشهورة المأثورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الشورى) فكان يشاور كبار الصحابة وأهل الحل والعقد منهم في كل معضـــلة تـــنزل بالمسلمين حتى كان يشاور في الأمور الدقيقة البسيطة من مسائل الدين مع ما آتاه الله من فهم وبصيرة ، وما تميز به من جريان الحق على لسانه وقلبه ، ومع ما اشتهر عنه من موافقة القرآن لأحكامه وأقضيته في عهـــد رسول الله ﷺ ، وكل ذلك لم يمنعه من التشاور مع الصحابة ، خصوصاً أهل العلم والفقه منهم ، بل والرجوع إلى أقوالهم التي قد تخالف قولـــه إذا اتضح له أن الحق معهم ، ومن ذلك على سبيل المثال حد الخمر فقد جلد عمر بن الخطاب شارب الخمر ومن وجد سكران من أي شراب كـــان - إن كان حراً - في صدر إمارته أربعين جلدة ، ثم جلد في آخر

عهـــده ثمـــانين جلدة بعد مشاورة الصحابة رضوان الله عليهم في حادثة مشهورة وهي :
أن خـــالد بـــن الوليد أرسل أبا وبرة إلى عمر فأتاه وهو في المسجد ومعه عـــثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام ، فقال أبو وبرة لعمر :إن خالداً يقول : إن الناس قـــد انهمكوا في الخمر ، وتحاقروا العقوبة فقال عمر :هؤلاء عندك فسلهم فقال : علي بن أبي طالب نرى أن تجلده ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا ســـكر هذى ، وإذا هذى افترى فاجعله حد الفرية ، وقال عبدالرحمن بن عوف اجعله كأخف الحدود ثمانين ، فجعله عمر ثمانين وكتب بذلك إلى خالد وأبي عبيدة عامر بن الجراح . (ابن أبي شيبة ،د.ت ، ج٢، ص١٢٨)
وفي هـــذا الموقـــف يظهر تطبيق الفاروق رضي الله عنه لمبدأ (الشورى) حيـــث شـــاور أصحابه في زيادة عقوبة الخمر المقدرة بأربعين على عهد رســـول الله ﷺ الزيادة فيها إلى ثمانين بسبب انهماك الناس في الخمر وعدم مـــبالاتهم بالعقوبة ، وليس ذلك هجراً لحكم رسول الله ﷺ ، بل فيه نظر إلى المعنى الذي شرعت من أجله العقوبة ، وهو كف الناس عن المعصية ، فكانـــت الـــزيادة مـــن أجل تحقيق هذا الهدف الذي تسعى إليه الشريعة الإسلامية .

ومـــن المواقف المشهورة لعمر في مسألة الشورى ما رواه ابن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرع لقيه أهل الأجناد أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، قال ابن عـــباس : فقـــال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخـــبرهم أن الوبـــاء قـــد وقع بالشام . فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجـــت لأمـــر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم : معك بقية الناس

وأصـحاب رسـول الله ﷺ ، ولا نرى أن نقدمهم على الوباء ، فقال : ارتفعـوا عـني ثم قال : أدع لي الأنصار فدعوهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي مـن كـان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوهم فلم يختلف علـيه رجلان فقالوا نرى أن نرجع بالناس ولا نقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه ...قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال : أنا عندي مـن هذا علماً . سمعت رسول الله ﷺ يقول :(**إذا سمعتم به بأرض ،فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**) قال: فحمد الله عمـر بن الخطاب ثم انصرف . (مسلم ،كتاب السلام ،باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها ، ج٤، ص١٣٨٩ ، رقم الحديث ٢٢١٩) .

وبهـذا يتبين لنا في هذا الموقف كيف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشـار هذا الكم الهائل من الصحابة حتى كاد أن يستشير الجيش كله ، ومـا ذاك إلا تطبيقاً منه لمبدأ الشورى الذي فرضه الله على اكمل الخلق وأعـلمهم ، فقـال سـبحانه :﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ سورة آل عمران . فإذا كـان رسول الله ﷺ ، وهو الذي يوحى إليه ، ولا ينطق عن الهوى أُمر بالشورى فغيره من باب أولى ، فكان عمر رضي الله عنه يتحرى الشورى في كـل أمـر يعرض عليه ثم يرجح بعد ذلك ما يراه راجحاً وصواباً بعد اجـتهاده وإعمال فكره وبذلك كانت اجتهاداته سليمة وآراؤه صائبة ؛ ذلـك لأن الشـورى تعمل على تكوين رؤية متكاملة وصحيحة للقضية المطـروحة للبحث ، إذ أنه في كثير من الأحيان تكون نظرة الأفراد نظرة جزئـية ومحدودة ، أما نظرة الجماعة فتكون رغم تجزئتها في عرض الآراء

والأفكـــار ابتداءً إلا أنها في النهاية تكون نظرة شمولية ، هذه النظرة تكون غالباً أسلم وأبعد عن الخطأ .

٧- بعد النظر :

ممـــا تميز به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد النظر والقـــدرة على التفكير السليم حتى وافق القرآن الكريم آراءه بل حتى نزل القرآن الكريم بأقواله التي تحدث بها ، وهذه مرتبة عالية جداً في بعد النظر وسلامة التفكير ، ولا شك أن هذه المرتبة العالية إنما تمكن منها بسبب ما منحه الله تعالى من الذكاء المفرط والعلم الغزير والنية الصالحة ، وبسبب أنه كـــان يعمـــل عقله دائماً في الأمور المهمة التي يعود نفعها على المسلمين فأثمرت هذه الثمرة اليانعة المباركة . ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عمر قال : لما أراد النبي ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أُبيّ ، جذبه عمر وقال : ألـــيس الله نهـــاك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : إنما خيرني الله فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ سورة التو بة . وسأزيد على سبعين مرة .قال :إنه مـــنافق فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله عز وجل :﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة التو بة . (مسلم ، كتاب فضـــائل الصحابة ، باب فضائل عمر رضي الله عنه ، ج٤ ، ص١٤٨٦ ، رقم الحديث ٢٤٠٠) . وعن أنس قال :قال عمر : وافقت ربي في ثلاث ووافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى

، فانزل الله ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ **قلت يا رسول الله إنه يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله عليه آية الحجاب** ، وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فاستقريت أمهات المؤمنين واحدة بعد واحدة وأقول : والله لأن انتهيتن وإلا ليبدلن الله رسوله خيراً منكن قال فأتيت على بعض نسائه فقالت : يا عمر : أما في رسول الله ما يعظ نسائه حتى تكون أنت تعظهن . فأنزل الله عز وجل ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ ﴾ سورة التحريم . (البخاري ،كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ ، ص٨٤٨ ، رقم الحديث ٤٤٨٣) .

ومن مواقفه رضي الله عنه التي تدل على بعد نظره موقفه مع أبي هريرة فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا . وفزعنا فقمنا ، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار ، فدرت به هل أجد له باباً ، فلم أجد . فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الساقية) فاحتفرت كما يحتفر الثعلب . فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة فقلت نعم يا رسول الله . قال : ما شأنك . قلت : كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا . فخشينا أن تقطع دوننا ففزعنا . فكنت أول من فزع . فأتيت هذا الحائط فأحتفرت كما يحتفر الثعلب . وهؤلاء الناس ورائي فقال : يا أبا هريرة وأعطاني نعليه ،

قال : (**اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مســـتيقناً بها من قلبه فبشره بالجنة**) فكان أول من لقيت عمر ، فقـــال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة . فضـــرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي فقال : ارجع يا أبا هريرة . فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً وركبني[1] عمر فإذا هو على أثري ، فقال لي رسول الله ﷺ مالك يا أبا هريرة) ؟ قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به ، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي ، قال : ارجع . فقال له رسول الله : (**يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟**) قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال : **نعم** . قال : فلا تفعل ؛ فـــأني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون . قال رسول الله ﷺ : (**فخلهم**) . (مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، ج١، ص٦٣ ، رقم الحديث ٣١) . وفي هذا الموقف دلالـــة واضـــحة وبيـــنة على بعد نظره رضي الله عنه فهو لم تشغله تلك البشـــارة التي زفها إليه أبو هريرة رضي الله عنه من رسول الله ﷺ والذي يتمـــناها كـــل فـــرد مسلم ، بل كان رضي الله عنه صاحب بعد نظر ، وكانت نظرته نظرة شمولية ، حيث لم يقصر نظرته على نفسه فحسب بل نظـــر إلى المصلحة العامة ، وما يترتب على ذلك الخبر مستقبلاً من اتكال الـــناس علـــيه وتركهم للعمل (فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون) وحينما نظر المصطفى ﷺ إلى موقف عمر ورأى ما فيه من بعد نظر ومصلحة عامة للمسلمين وافقه على ذلك بقوله (فخلهم) .

---

[1] أي تبعني سيراً .

وبعد استعراض هذه النصوص الصحيحة والوقائع المثيرة في حياة عمر ابن الخطاب تبين للباحث دلالتها الواضحة على بعد نظره رضي الله عنه ، وسلامة تفكيره وصواب قوله حتى أن الله وافقه في قوله وأيده في تفكيره ، وأنزل القرآن الكريم مصداقاً لرأيه وتأييداً لموقفه ، ففيه دلالة واضحة على بعـــد النظر الذي لا يكون إلا عن علم غزير وحسن تفكير وإعمال للعقل وليعـــلم أن كثرة التفكير وإعمال الذهن في المسائل المهمة الحساسة تؤدي إلى سلامة القول إذا صاحب ذلك غزارة في العلم ، وإفراط في الذكاء وهو ما حصل لعمر رضي الله عنه .

٨- الانفتاح المنضبط على خبرات الآخرين :

لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن يضيق صدره بمثل تلك العلـــوم والخـــبرات الـــتي وجدها المسلمون في البلاد الإسلامية المفتوحة فيرفضـــها ، ولا ممـــن يتنكر للحضارة ويردها ، لكنه كان واسع الصدر والأفـــق ، حريصـــا عـــلى الخير ، والاستفادة من تلك العلوم والمعارف والخبرات ،فيأخذ منها الصالح ، ويترك ما عدا ذلك .

وعـــندما فتح المسلمون بلاد فارس والروم ، وكان لكلا البلدين علوم في تنظـــيم الدولـــة ، فكان لهما دواوين للأموال ، ودواوين للجند ، ونظام إداري يتعامل على أساسه موظفو الدولة ، واستفاد المسلمون مما عند هذه الأمـــم مـــن نظم وعلوم وأساليب، وفيهما كان مخزون العلوم ومستودع الثقافة ،فلا غرو أن نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستفيد من بعض خبرات أهل تلك البلاد في تطوير شؤون دولته .

فعـــندما أراد عمـــر بن الخطاب أن يمسح السواد ، أرسل إلى عثمان بن حنيف : أن ابعث إليّ بدهقان من قبل العراق فبعث إليه بكل واحد منهما

ومعـــه تـــرجمان من أهل الحيرة ، فلما قدموا على عمر بن الخطاب قال للدهـــاقين : كيف كنتم تؤدون الأعاجم في أرضهم ؟ هكذا يسأل عمر الدهاقين يستفيد من معرفتهما ، و لم يمنعه مكانه أن يتعلم منهما ما لم يكن يعـــلم ، مـــادام لا يؤثـــر في عقيدته ، ولا يخالف تعاليم الإسلام ومبادئه (أبو يوسف ، ١٣٩٩هـــ ، ص٣٨) .

ولمـــا قدم أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين إلى المدينة أخبر عمر رضي الله عـــنه بأنه جاء بمال كثير يقدر بخمسمائة ألف درهم ، نادى في الناس رضي الله عنه ، وجمعهم وأخبرهم بمقدم أبي هريرة ، وما أتى به من المال الكثير ، وقال لهم : إن شئتم كلنا لكم كيلا ، وإن شئتم عددنا لكم عداً ، وإن شئتم وزنا لكم وزنا ! فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعـــاجم يدوّنـــون ديوانا فدوّن لنا أنت ديوانا ، فدون عمر بن الخطاب الديوان . (البلاذري ، ١٩٣٢م ، ص٤٣٩) ، والديوان : " موضع لحفظ مـــا يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال "(الماوردي ، ١٤٠٥هـــ ، ص٢٤٩) . " وهو كلمة فارسية تعني الســـجل الـــذي تدون فيه أعطيات الموظفين ، وتسجل فيه أسماء الجند وأرزاقهـــم ، بـــل هو كل دفتر تبين فيه المستحقات الراتبة وما يدخل إلى خزينة الدائرة وما ينفق منها " (شاكر ، ١٤١٧هـــ ، ص ٤٣٨) .

وذكـــر (الطبري ، ١٤٠٧هـــ) : أن نشأة الدواوين الإسلامية كانت في العام الخامس عشر للهجرة (ج٣، ص٦١٣) ، وكان للديوان الذي أنشأه عمـــر بالمدينة فروع في العراق والشام ومصر ، بجانب فروع هذا الديوان العربي كانت تقوم الدواوين المحلية ، التي تركت في العراق والشام ومصر ، "ووكـــل معظم الدواوين إلى أبناء البلاد يزاولونها بلغاتهم لأنها من أسرار الدولة ، وليس من الميسور أن ينصرف إليها فتيان العرب عما هو أولى بهم

وهـــو فرائض الدفاع والجهاد ". (العقاد ، د.ت ، ص١٢٢) .ولا خوف على المسلمين من اقتباس كل علم ينفع الإسلام وأهله ، ولو كان من عند غـــير المســـلمين ، وقد صقل القرآن الكريم عقولهم ، فأصبحت تنفر من الـــباطل ولا تتأثر إلا بالحق ، وهذّبت السنة الشريفة أفئدتهم فلا تنفتح إلا للخير فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

ولقـــد وهـــب الإسلام عقول المسلمين قوة مدركة يميزون بها بين الخبيث والطيب ، بل أصبحت عقولهم قادرة على التأثير في غيرها ، منيعة من أن تتأثر في غير الحق . (الوكيل ، ١٤٠٦هـــ ، ص٤٤) .

والإســـلام يحض على التبادل الثقافي والتربوي والحضاري ويحسن العطاء كما يحسن الأخذ ، والناحية البارزة العظيمة في الإسلام هي احترام الفكر واحترام الكلمة سواء كانت ملفوظة أو مكتوبة ، وعدم هدم السابق بـــل تنقيته والبناء عليه والزيادة فيه لخدمة الإنسانية ، ولذلك لم يمتنع ابن الخطاب عن نقل علوم العجم والعمل بها لما فيها من الفوائد التي تعود على المسلمين والمصلحة التي ينتفع بها الجميع .

ثانياً : الإمام الشافعي :

أ – نبذة مختصرة عن حياته :

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبـــيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، الإمام ، عالم العصر ، ناصر الحديـــث ، فقـــيه الملّة ، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي ، نسيب رسول الله ﷺ ، وابن عمه (الذهبي ، ١٤١٣هـــ ، ج١٠، ص٥ – ص٦) . ينســـب إلى شـــافع فيقال له الشافعي ، كما ينسب إلى عبد

المطلب فيقال المطلبي ، كما ينسب إلى مكة لأنها موطن آبائه وأجداده ، فيقال له المكي ، إلا أن النسبة الأولى قد غلبت عليه (الموسوعة العربية العالمية ، ١٤١٦ هـ ج١٤ ، ص ٢١) .

ولد سنة ١٥٠هـ بغزة ، وقيل باليمن ، وقيل بعسقلان ، وغزة أصح . وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، فنشأ بها وأقبل على الأدب والعربية والشعر فبرع في ذلك ، وحبب إليه الرمي حتى فاق الأقران ، وصار يصيب من العشرة تسعة (الصفدي ، ١٤١٧هـ ، ح٢، ص١٦٩) ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه (الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١٠ ، ص٦) . ظهرت علامات النبوغ على الشافعي صغيراً ، فقد كان الشافعي أول أمره فقيراً ،فلما سلموه إلى المعلم ،ما كانوا يجدون أجرة المعلم ،فكان المعلم يقصّر في التعليم ، إلا أن المعلم كلما علّم صبياً شيئاً كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام ثم لّما قام المعلم عن مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء ، فنظر المعلم ، فرأى الشافعي يكفيه أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطلب منه ،فترك طلب الأجرة ،واستمر على هذه الأحوال ، حتى تعلم القرآن لتسع سنين . ولما ختم الشافعي القرآن دخل المسجد الحرام ، وأخذ يجالس العلماء ويحفظ الحديث . (التبريزي ، د.ت ،ج٣ ، ص٧٩٢ – ص٧٩٣) ، وقد حفظ موطأ مالك وهو ابن عشرسنين ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة ، وقيل : ابن ثماني عشرة ، وقد أذن له شيخه مسلم بن خالد في الإفتاء في ذلك السن المبكر . (ابن كثير د.ت ، ج١٠، ص٢٦٣) . تميز الإمام الشافعي عن غيره من الفقهاء ، بأنه لم يكتف بتلقي العلم عن أحد العلماء أو المشايخ ، بل تجول في كل أرجاء الدولة الإسلامية ، يناقش جميع الناس ، وكل العلماء والفقهاء ، ورواة الحديث ، فعاش في الحجاز وتنقل بين أهم قبائلها ، ثم رحل إلى العراق ، وبلاد

الفرس ، والأناضول ، واليمن ، وبلاد الشام ، ومصر ، كما غاص في تأمل ومناقشـــة ومحاورة جميع التيارات الفقهية ، والفكرية ، والأدبية والعلمية السائدة في عصره ، مما جعله مؤهلاً لحمل الصفة الموسوعية الشاملة والتي تؤهلــه لأن يكون من أصحاب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية . وفي ليلة الجمعة سنة ٢٠٤ هـــ توفي رحمه الله عن عمر بلغ الرابعة والخمسين ، ودفن في مصر . (الرازي ، ١٤١٣هـــ ، ص٢٦) .

ب – أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند الإمام الشافعي

١– سلامة العقيدة :

الشـــافعي من أئمة المذاهب الأربعة – رحمهم الله – المشهود لهم بـــالعمل الصـــالح ، والفكر الراجح ، والبصيرة النيرة ، والعقيدة السليمة الصافية .

قـــال داود بن على الظاهري : " للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه ، وصحة دينه ومعتقده ، وسخاوة نفسه، ومعرفة بصحة الحديـــث وســـقمه ،وناسخه ، وحفظه الكتاب والسنة ،وسيرة الخلفاء ، وحسن التصنيف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه، وإقامته على السنة " (ابن كثير ، د.ت ، ج١٠، ص ٢٦٤ – ص ٢٦٥) . وقد ذكر (البيهقي ، ١٤١٧ هـــ) مجموعة من الأقوال تشهد للشافعي بحسن الاعتقاد ومنها :

- إذا وجـــدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت .
- إذا وجدتم في سنة رسول الله ﷺ خلاف قولي ، فخذوا بالسنة ودعوا قولي ؛ فإني أقول بها .

-كـــل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل ، بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي .

- ما من أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتغرب عنه ، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلـــت ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي ، قال : وجعل يردد هذا الكلام .

- مـــن تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته ، ومن غلط فتركها خالفته ، صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول اللهﷺ ، وإن بعد ، والذي أفارق من لم يقبل سنة رسول الله ﷺ وإن قرب .(ج١، ص٢٥٤،ص٢٥٥ ص٢٦٠) .

ومما يؤكد ذلك ما أورده (الذهبي ، ١٤١٣هـــ) عن المزني قال : قلت : إن كـــان أحدٌ يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ؛ فصرت إليه وهو في مسجد مصر ،فلما جثوت بين يديه قلت: هجـــس في ضميري مسألة في التوحيد ، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذي عندك ؟ فغضب ، ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت نعم . قال : هـــذا الموضـــع الذي أغرق الله فيه فرعون ، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا قال : تدري كم نجماً في السماء ؟ قلت لا ، قال : فكوكب منها تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، مم خلق ؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك مـــن الخلـــق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أصب في شيء منه فقـــال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه ، وتتكلف علم الخـــالق ، إذا هجـــس في ضـــميرك ذلـــك فـــارجع إلى الله ،

وإلى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة البقرة .

فاستدل بالمخلوق على الخالق ، فلا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك . (ج١٠ ، ص٣١ ، ص٣٢) . فتاب الرجل على يد الشافعي ، وأقبل على فقه الكتاب والسنة ، وقد أصبح عَلَماً من أعلام الإسلام في فقه الشافعي . وكان هذا الموقف من الإمام الشافعي رحمه الله دفاعاً عن الكتاب والسنة ، وفيه دلالة واضحة على سلامة عقيدته رحمه الله ، ووضوح منهجه . وكان الإمام الشافعي يعتقد أن أساس الشريعة الإسلامية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما كان يعتقد أنه أحاط بسنة رسول الله علماً ، فكان يحث أصحابه على طلب الحديث ، وإن رأوا صحيحاً يخالف ما يقرره ، فليرفضوا رأيه ويأخذوا بالحديث،يقول الربيع بن سليمان : (سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسألة ، فقال :يروي عن النبي ﷺ **أنه قال كذا وكذا** . فقال له يا أبا عبد الله أتقول بهذا فارتعد الشافعي،واصفر لونه، وحال وتغيّر ، وقال : أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ ، ولم أقل : نعم على الرأس والعينين) . (أبو زهرة ، ١٣٦٧هـ ، ص٣٦) . إن تغيّر حاله واصفرار لونه وارتعاد جسمه عند

سماعه لمسألة الرجل لخير دليل على سلامة عقيدته ، ومدى تمسكه بالكتاب والسنّة وهاهو الإمام الشافعي يلقننا درساً في العقيدة قائلاً :

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً　　وإذا مت لست أعدم قبراً

همتي همت الملوك ونفـــسي　　نفس حرٍّ ترى المذلة كفراً

وإذا ما قنعت بالقوت عمري　　فلماذا أزور زيداً وعمـــرا

(الشافعي ،١٤١٧هــ،ص ٢٢٣)

وهكـــذا يعـــيش صاحب العقيدة حراً لأنه تحرر من العبوديَّة للناس والدنيا والشهوات ، وحقق عبوديته لربه وخالقة ، ومن حريته أن يرفض الظلم ، ويأبى الذل ، ويناهض الباطل ، ويتمنى الشهادة .

إن صـــاحب العقـــيدة الســـليمة يعيش مع النّاس بجسده ومع الله والآخـــرة بـــروحه ووجدانه ، فهو أبيٌّ لا يساوم على عقيدته ، ولا يقبل الإغراء على دينه ، ولا يرهب ظالماً لظلمه ، ولا طاغياً لشره ، فهو يؤمن بأن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى .

٢ – مكانة العلم وقدره :

بلـــغ الشافعي رحمه الله مبلغاً عالياً في العلم ، مكّنه من الاجتهاد والنظر في أصول الشريعة ، وأدلتها والقياس عليها ، ويكفيه فخراً ومعرفةً لرســـوخ قدمـــه في العلم أن يُعلم أنّه أوّل من أنشأ علم الأصول ، وذلك بإجماع العلماء والفقهاء ، قال الفخر الرازي : " كانوا قبل الإمام الشافعي يتكـــلمون في مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة الشريعة ، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها ،فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب الشرع فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع

كنسبة ارسطاليس إلى علم العقل . "(الدقر ، ١٤١٧هـ ، ص٢٢٧) .

ولقد نوّر الله بصيرة الإمام الشافعي منذ صغر سنه ففتح له في العلم حتى شهد له بذلك شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم ، فعن الحميدي قال : سمعت مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي :" أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي .. وهو ابن خمس عشرة سنة " (الرازي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٩) .

وهذا يحيى بن سعيد القطان – من أكابر علماء الحديث – يقول : "إني لأدعو الله عز وجل للشافعي في كل صلاة (أو في كل يوم) يعني :لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه . (الرازي ، ١٤١٣هـ ص٤١) . " وقد روى أبو هريرة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : (**لا تسبوا قريشاً فإن عالماً يملأ الأرض علماً**) وفي رواية قال : (**عالمها يملأ طبق الأرض**) فأجمعت الأمة على أن هذا في الشافعي رضي الله عنه فما خرج من قريش فقيه وإمام يبلغ علمه جميع البلاد ، والأكناف ، والأطراف يمناً ، وحجازاً ، وشاماً ، وعراقاً ، والثغور ،وفرسان ما وراء النهر إلا الشافعي رضي الله عنه " (السّلماسي ، ١٤٢٠هـ ، ص١١٨) .

وهذا الحديث نص في أن علم الشافعي رحمه الله تعالى يملأ الأرض كلها ، وأنّه ما من عالم إلا وقد استفاد من علمه وأصوله التي طبقها في علم الحديث حتى أن كبار المحدثين الذين كانوا يهتمون بنقل الحديث وروايته لّما رأوا الشافعي رحمه الله يهتم بفقه الحديث ويدرس ألفاظه العامة والخاصة ، ويعرف ناسخه ومنسوخه ، نهلوا من فيض علمه ، وغرفوا من بحر فقهه ، ونقولات كبارهم تدل على رسوخ قدم الشافعي رحمه الله في ذلك . فعن إسحاق بن راهويه قال : كنّا بمكة والشافعي بها ، وأحمد بن حنبل بها فقال أحمد بن حنبل : يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل (يعني

الشـــافعي) قلـــت : ما أصنع به وسنه قريب من سننا ؟ أترك ابن عيينة والمقـــبري ؟! فقـــال : ويحـــك إن ذاك يفوت ؟ وذا لا يفوت فجالسته (الرازي ، ١٤١٣هـــ ، ص٤٣) .

فهذا أحمد بن حنبل رحمه الله إمام من أئمة الحديث ، ويأمر بحضور مجالس الشـــافعي رحمـــه الله في الوقـــت الذي تتعارض فيه مع مجالس ابن عيينة والمقبري ، وهما مَنْ هما في علم الحديث ونقل السنن ، وما ذلك إلا لما فتح الله بـــه عـــلى الشـــافعي من علم فقه الحديث ، ومعرفة ألفاظه الدقيقة ، وأحكامه الخفيّة ، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل إن هذا لا يفوت أي في عـــلمه وفهمه الدقيق لأحكام الحديث وفقهه . وهذا محمد بن الفضل البزار يقول : سمعت أبي يقول : " حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت في مكان واحد معه أو في دار يعني (.بمكة) وخرج ابن حنبل باكراً وخرجت أنـــا بعـــده فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيـــنة ، وكنت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - حـــتى وجدتـــه عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جُمّة فزاحمته : حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده من الزهري وعمرو بن دينار ، وزياد بن علامة ، والتابعين ، ما الله به عليم ، فقال لي : أسكت ، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزل لا يضـــرك في ديـــنك ولا في عقلك أو في فقهك ، وإن فاتك أمر هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة . ما رأيت أحداً : أفقه في كتاب الله من هـــذا الفـــتى القرشي قلت مَنْ هذا ؟ قال : محمد بن إدريس الشافعي . (البيهقي ، ١٤١٧هـــ ، ج٢ ، ص١٥٣) . ويؤكد هذه الأقوال جميعها (ابن كثير ، د.ت) بقوله : " وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي ، وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول

فكتب له الرسالة ، وكان يدعو له في الصلاة دائماً ، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة بن سعيد . قال : هو إمام . وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وكان يدعو له أيضاً في صلاته . وأبو عبيد ، وقال : ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي . ويحيى بن أكثم القاضي ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن الحسن ، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم) . (ج١٠،ص ٢٦٤) . فهذه شهادة واضحة من أهل زمانه على رسوخ قدمه رحمه الله في العلم ، إذ كان المنشئ لعلم فقه الحديث وواضع أصوله ومقنن قواعده ، وبهذا الفقه والذكاء فتح للشافعي رحمه الله فتحاً عظيماً فكان أحد أئمة الاجتهاد وأصحاب المذاهب المتبوعة والآراء المقبولة . وأما بعد زمانه فقد شهد له بذلك ، فهذا أحمد محمد شاكر يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب (الرسالة) :

" إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام في فقه الكتاب والسنة ونفوذ النظر فيهما ، ودقة الاستنباط . مع قوة العارضة ، ونور البصيرة ، والإبداع في إقامة الحجة ، وإفحام مناظره . فصيح اللسان ، ناصع البيان ، في الذروة العليا من البلاغة . تأدب بأدب البادية ، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر ، حتى سما عن كل عالم قبله وبعده نبغ في الحجاز ، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة ، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن ، ولم يكن الكثير منهم أهل لَسَنٍ وجدل ، وكادوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي ، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح ، ويعرف كيف يقوم بحجته ، وكيف يلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنة وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد ، وكيف يفصل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم ، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما أو في أحدهما ". (الشافعي ،١٣٠٩هـ، ص٥ – ص٦)

" ولئن تجاوزنا ذلك لنجدن شهادة أقوم دليلاً وأبين بياناً ، وهي ما تركه من آثار ، ومن أقوال مأثورة ، أو فتاوى منشورة ، أو رسائل كتبها ، أو كتـــب أملاها ، أو خلافات دونها ، أو مناظرات أقامها ، ففي كل ذلك الدلـــيل على مقدار علمه ، ومقدار مواهبه واتساع أفقه ، وفصيح بيانه ، وقـــوة جـــنانه ، فكان أكبر من أديب ، وأكثر من فقيه " (أبو زهرة ، ١٣٦٧هـــ ، ص٣١) .

ويؤكد ذلك (القطان ، ١٤١٧هـــ) بقوله : " ونتاج الشافعي ، وما تركه من آثار يشهد له بذلك ، فقد أوتي علم العربية ، وعلم الكتاب وفقـــه الحديث ، وضبط قواعد السنّة ، وبرز في فقه الرأي والقياس وكان يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر في الحديث نبل قدره ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه " ص٣٠٠ .

ولقـــد أرجع (أبو زهرة ، ١٣٦٧هـــ) رسوخ الشافعي في العلم الذي جعل للعلم هذه المكانة وهذا التقدير في شخصيته إلى أربعة أمور :

أولها – مواهبه : آتى الله الشافعي حظاً من المواهب يجعله في الذروة الأولى من قادة الفكر ، وزعماء الآراء كان قويّ المدارك ، حاضر البديهة عميق الفكر ، بعيد الفهم ، يعتمد على الضوابط العامة والقواعد الكلية في معـــرفة الجزئـــيات والفروع ، وكان قويّ البيان ، واضح التعبير ، نافذ البصيرة .

ثانيها – شيوخه : أخذ الشافعي الفقه والحديث عن شيوخ عصره على اختلاف مناهجهم ، من شيوخ مكة والمدينة واليمن والعراق ، فتلقى فقـــه مـــالك عليه ، وتلقى فقه الأوزاعي عن صاحبه عمر بن أبي سلمة ، وتلقى فقه الليث بن سعد فقيه مصر عن صاحبه يحيى بن حسان ثم تلقى

فقــه أبي حنيفة وأصحابه على محمد بن الحسن . فاجتمع لديه هذا المزيج الفقهــي على اختلاف نزعاته ، فألف بينه واستنبط من المعاني الكلية التي قدمها للناس في بيان رائع وقول محكم .

ثالــثها — دراســاته الخاصة وتجاربه : فقد رحل الشافعي في طلب الحديث والفقه ، رحل إلى مالك ولازمه ثم رحل إلى اليمن عاملاً في بعض أعمــال ولايــتها (نجــران) ثم رحل إلى العراق ومصر ، ومن شأن هذه الرحلات أن تكسبه خبرات في إدراك معاملات الناس وعاداتهم وأعرافهم وأن تفــتح وتــنمي مداركــه وأن تقف به على المناهج الفقهية المختلفة ليدرسها دراسة الناقد الفاحص ، دون أن يتقيد بمذهب أو نحلة أو طائفة ، وهكذا كان الشافعي .

رابعهــا — عصر الشافعي : ولد الشافعي وعاش في عصر استقرار الدولة العباسية ، وتمكين سلطانها ، وازدهار الحياة الإسلامية فيها ، حيث كانــت المــدن الإسلامية تموج بنشاط العلماء ، واقتباسهم من الفلسفة اليونانــية ، وآداب الفــرس ، وعلم الهند ، في حركة الترجمة التي تولاها الخلفاء العباسيون بالتنمية والتشجيع ، وكان لها أثرها في الفكر الإسلامي ونشأ في غضون ذلك الزنادقة الذين كادوا للإسلام ، ودبروا الأمر لإفساد الجماعة الإسلامية مما حمل ، فريق من العلماء على رد أباطيلهم والذود عن حمــى الــناس عــن طريق ما اقتبسوه من الفلسفة مما لم يكن مألوفاً في الاستدلال عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وهؤلاء هم المعتزلة الذيــن تورطــوا بعد ذلك في إثارة مسائل فلسفية ، خالفوا فيها طريقة الســلف الصــالح في الاستدلال للعقائد وطريقة المحدثين والفقهاء ، الذين يــأخذون العقيدة من الكتاب والسنة ،ولا يستعملون فيه الأقيسة العقلية . وكــره الشافعي تعاليم المعتزلة وأساليبهم ، واستنكر الاشتغال بطريقتهم ،

ولكنه استفاد قوة في طرائق الجدل الفقهي لإثبات الحجة ، وإلزام الخصم . (ص٣٣ – ص٥٨) . وبهذا الرسوخ في العلم أدرك الإمام الشافعي رحمه الله فضل العلم ومكانته وقدره ، وقد وردت أقوال كثيرة تؤكد هذا ، وتدعمه ، ومن تلك الأقوال : "من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن "(الغزالي ، د٠ت ، ج١ ، ص٨) " كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه ، ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل شيناً أن يتبرأ منه مَنْ هو فيه ويغضب إذا نسب إليه " (الأصفهاني ١٤٠٩هـ ، ج٩ ، ص١٤٦) .

والعلم في نظر الشافعي نور من الله وهبه لعباده ، قال الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور   ونور الله لا يهدى لعاصي

(الشافعي ، ١٤١٧هـ ، ص٢٦٢) .

والعلم في نظر الشافعي يرفع صاحبه وينيله شرف المكانة والمترلة الرفيعة يقول :

رأيت العلم صاحبه كريم   ولو ولدته آباء لئام

وليس يزال يرفعه إلى أن   يعظم أمره القوم الكرام

ويتبعونه في كل حال   كراعي الضأن تتبعه السوام

فلولا العلم ما سعدت رجال   ولا عرف الحلال ولا الحرام . ص٣٣٩ .

وما أحرى الناس أن يسارعوا في اكتساب مفخرة العلم وعزه ، وأن يتنافسوا في طلبه وجمعه ، وفي ذلك يقول الشافعي :

العلم مغرس كل فخرٍ فافتخر   وأحذر أن يفوتك فخر ذاك المغرس

فلعل يوماً أن حضرت بمجلس   كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

ص ٢٥٦ .

ومـــن أقواله أيضاً : " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم " . (البيهقي ، ١٤١٧هـــ ج٢ ،ص٩٦) .

ومـــا يـــدل على مكانة العلم وقدره عند الإمام الشافعي رحمه الله حرصـــه على إعطاء العلم حقه ، وتحصيل العلم يحتاج من صاحبه جهداً مبذولاً وجهاداً موصولاً وصبراً ومعاناة . وقد قيل أعط العلم كلك يعطك نصـــفه ، وإن أعطيته نصفك أعطاك ربعه ، وإن أعطيته ربعك لم يعطك شـــيئاً . إن العلم نورٌ ينير ظلمات الجهالة إذا صاحبه صدق وإخلاص في النـــية ومن هنا كان للعلم قدره وعلو مكانته ، والإمام الشافعي ممن تحقق فـــيه ذلـــك فكان للعلم عنده مكانة وقدر ، فهاهو يرى أن طالب العلم وحاملـــه يجب عليه أن يصونه ويغالي به ويضعه في مكانه اللائق به الرفيع تمامـــاً كما يصون عرضه ودمه فإن العلم روح الإنسان وحياته ووجوده فيقول :

العلم من فضله لمن خدمه — أن يجعل الناس كلهم خدمه

وواجب صونه عليه كما — يصون في الناس عرضه ودمه

فمن حوى العلم ثم أودعه — بجهله غير أهله ظلـــــــمه

وكان كالمبتني البنـــاء إذا — تم له ما أراده هدمـــــــه

(الشافعي ، ١٤١٧هـــ ، ص٣٥٥)

إن عليه أن يبذل العلم ويمنحه لمن يجد في طلبه ويسعى في تحصيله ويرغب في الانتماء إليه ولا يقدمه لمن لا يعرف قدره ولا يدرك مترلته ومكانته ولا يتشرف بالانتساب إليه ، قال الشافعي :

ولا تعطين الرأي من لا يريده — فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

(الشافعي ،١٤١٧هـــ ، ص٢٧٤) .

إن الجـــاهل لا يميزالصـــحيح من السقيم ولا المفيد من الضارأوكما قال الشافعي:

أصبحت مطرحاً في معشر جهلوا حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب

(الشافعي، ١٤١٧ هـــ ،ص١٤٧) .

كما يوجب الإمام الشافعي على طالب العلم أن يكون عزيزاً غير ذليل ، وأن يكـــون المعلم كذلك يمنح علمه ويقدمه وهو في كرامة وعزة وإباء . (ملك ، أبو طالب ، ١٤٠٩هـــ ، ص٥٣) . وحينما طلب منه الحضور لعـــرض مسألة في العلم قال : "من حق العلم أن يؤتى إليه " (الحموي ، د.ت ، ج١ ، ص١٤٠) . إن هذا الشعور بحق العلم من هذا الإمام الجليل يوضح ما في نفسه من احترام للعلم ومكانة وتقدير .

وهـــناك أيضاً ما يدل على مكانة العلم وقدره عند هذا الإمام وهو معرفته الدقيقة والعميقة بطبيعة العلم ، ويتضح ذلك من خلال قوله :

كلما أدبني الدهـــر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي .

(الشافعي ،١٤١٧هـــ ، ص٣٣٢) .

ويعلق (الكرمي ، د٠ت) على تلك الأبيات قائلاً : " وهذا مع العلم بأن الشافعي كان من أعلم أهل زمانه وأكثرهم فطنة " (ج٣ ، ص١٠) .وما نعيشه اليوم من تسابق بين الأمم في ميادين العلوم والمعارف أدى إلى سيولة البحوث العلمية وتدفق الإنتاج العلمي مما جعل من المحال على متخصص في عـــلم مـــن العلـــوم أن يتابع كل ما يكتب ، أو يؤلف ، أو يذاع في الإذاعات المسموعة والمرئية . (ملك ، أبو طالب ، ١٤٠٩هـــ، ص٥٤). كل هذا قد أوجزه الإمام الشافعي في البيتين السابقين ، بل إنه قـــد حدد موقف المتعلم من تلك المعارف حتى لا يتيه فيـــخرج من ذلك بلا شيء

وفي ذلك يقول :

لن يبلغ العلم جميعاً أحد لا ولو حاوله ألف سنـــة

إنما العلم عميق بحـــره فخذوا من كل شيء أحسنه

(الشافعي ، ١٤١٧هـــ ، ص٣٧٥) .

وهكذا يحدد الإمام الشافعي بكل دقة موطن الداء (إنما العلم عميق بحره) وبكـــل بـــراعة وصف الدواء (فخذوا من كل شيء أحسنه) ؛ فالشافعي يرشـــد القـــائمين على التربية والتعليم إلى تيسير العملية التعليمية ، وذلك بـــالأخذ من أسس ونتاج كل علم ، فالعلوم يخدم بعضها بعضاً ، وحينئذ يتسنى لطالب العلم الإلمام بالجوانب المهمة في كل مجال من مجالات العلوم . (ملك ، أبو طالب ، ١٤٠٩هـــ ، ص٥٦) . وبلغ من اهتمام الشافعي في العلوم المختلفة ، وحرصه عليها أنه كان يتلهف على ما ضيع المسلمون مـــن الطب ويقول : " ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى " (الحنبـــلي ، ١٤١٩هـــ ، ص١٥٤) . وهكذا تظهر مكانة العلم وقدره عـــند الإمـــام الشـــافعي رحمه الله ، فهو ينظر إلى العلوم على أنها مكملة لبعضـــها الـــبعض ، والناس لا يمكنهم الاستغناء عن واحد منها ، بل كل يخـــدم من طريق ، ولذلك كان يتحسر على إهمال الناس لترك علم الطب في زمانه ، بل ويعد علم الطب ثلث علم الدنيا .

٣ – دعوته إلى تحرير العقل من عوائق التفكير :

ولا عجـــب أن نجـــد عالماً كالإمام الشافعي صاحب العلم الغزير والفكر الثاقب يهاجم الفكر الأسطوري الخرافي الذي يتبع الأوهام ، ويشذ عـــن الحقـــائق ويطلق العنان للخيال الكاذب ، ويحرم التفكير من التأمل الصادق ، ويؤمن بالخرافة كمنهج للبحث والتحليل، فيقول الشافعي رحمه الله ورضي عنه :

خبّرا عني المنـــــجم أنّي كافر بالذي قضته الكواكب

عالم أنّ ما يكون وما كان قضاء من المهيمن الواجـــب

(الشافعي ، ١٤١٧ هـــ ، ص ١٣١)

وشـــتان بين ما صنعه الإسلام من الفكر الحر المبدع المتطور القائم على احترام العقل وتربيته على البحث والفكر وبين ما عاشت عليه أوروبا في عصـــورها الأولى . وهذا أمير المؤمنين هارون الرشيد الذي فتحت في عهده وعهد أسلافه أبواب العلوم والثقافة على مصاريعها يهدي رحمه الله إلى ملك الفرنجة الإمبراطور(شارلمان) ساعة دقاقة تدار بالماء فلما وضعت في قصره وسمع دقاتها فزع وظن أن بها جناً . إنّ فزع الإمبراطور من هذا الاخـــتراع النافع يدل على السبق العلمي للمسلمين ، والذي تتلمذ عليه علماء الغرب حتى برزوا وتقدموا . وبهذا يتبين لنا الفرق بين إعمال العقل في مـــيدان الابتكار، وبقائه رهن الفكر الأسطوري . (ملك ، أبوطالب ، ١٤٠٩هـــ ، ص١٠٦، ص١٠٧) .

ولقـــد خلـــق الله الإنسان وفضله على جميع خلقه بنعمة العقل ، وبالتالي فإنّ على الإنسان أن يحترمه ويرتفع به على أن يسلم بكل ما يأتيه أو يعـــتقد بتلك الأفكار الموروثة والمنتشرة بين الناس فإنه من طبيعة النفس أنّهـــا تميل إلى ما ألفته ، وما تعودت العيش معه صحيحاً كان أو غيره ، والناس ليسوا ميزاناً للحق أو محكاً لمعرفة الخير والشر فإن مناط ذلك كله راجع إلى الحق الذي أودعه الله في الإنسان باستعمال عقله وبالرجوع إلى كـــلام ربه وسنة نبيه محمد ﷺ أمّا اتباع الناس بدون إعمال للعقل والفكر فهو إلغاء لهما وتعطيل لهما ، والمسلم الواعي والمتفتح لا يترك زمام أموره بيد غيره ، يقول (الشافعي ، ١٤١٧هـــ) :

ولست بإمّعة في الرّجال أسائل هذا وذا ما الخبر . (ص ٢٤٤)

ومن احترام الإمام الشافعي للعقل واعتزازه بحريته في البحث والنظر تحذيــــره لتلاميذه من التقليد الأعمى الذي لا يستند إلى حجة ، أو يقبله عقل ، ففي ذلك حجب لنعمة العقل وتعطيل له ، ولقد عهد الشافعي إلى أصحابه وتلاميذه أن لا يقلدوه أو يقلدوا غيره .

يقول (المزني ، د.ت) في مقدمة كتابه المختصر لكتاب أستاذه الشافعي :

" اختصـــرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره " ص١ .

وقـــد كانت آراء الشافعي وفقهه تطبيقاً عملياً لذلك ، قال (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ) : " ... ثمّ إنّ الشافعي رضي الله عنه لما كان مجتهداً في العلم ورأى من الأحاديث الصحيحة وغيرها من الأدلة ما يجب عليه اتباعه وإن خـــالف قول أصحاب المدنيين ؛ قام بما رآه واجباً عليه ، وصنف الإملاء عـــلى مســـائل ابن القاسم ، وأظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه ، وقد أحسن الشافعي فيما فعل ، وقام بما يجب عليه وإن كان قد كره ذلك من كرهه وآذوه ، وجرت محنة مصرية معروفة " (ج٢٠ ، ص ٣٣٢) .

وكمـــا أنّ الإمـــام الشافعي ينهى عن التقليد الأعمى فإنّه كذلك يرفض التعصب واتباع الهوى فانظر إلى موقفه مع أبي يوسف تلميذ الإمام أبـــو حنيفة في نظره في الجزية على أهل الكتاب من العرب ، فأبو يوسف يرى أن تجب الجزية على العربي من أهل الكتاب فإنّ في ذلك صغار على العربي وهوان له .

أمّـــا الشـــافعي فيترك هذا الرأي ويجيز غيره وصولاً إلى الحق الخالص من الهوى ويؤيد رأيه فيقول : " إنما الجزية على الأديان لا على الإنسان ولولا أن نأثم بتمني الباطل وددنا أن الذي قال أبو يوسف كما قال وأن لا يجري

صـــغار على عربي ولكن الله عز وجل أجلّ في أعيننا من أن نحب غير ما قضى به والله أعلم " (الشافعي ، د.ت ، ج٧ ،ص ٣٦٩) .

ومـــن مظاهر رفضه للتعصب نظرته لتراث السابقين : إن انطلاقة الشـــافعي العلمية لم تمنعه من أن يأخذ من مقاتل بن سليمان وهو شيعي زيدي ولا ممن اشتهر بالاعتزال كإبراهيم بن أبي يحيى .. لقد كان الشافعي يطلب العلم أنى وجده ، ولا يهمه الوعاء الذي حمله إليه ، إنما يهمه ما في الوعاء . (أبو زهرة ، ١٣٦٧هـــ ، ص٤٣) ، ويقول الشافعي عن مغانم الأعاجم .. " وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه فإن كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه باع كما يبيع ما ســـواه مـــن المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب وانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو" (الشافعي ، د٠ت ، ج٤، ص٢٦٣) . وهكذا تتضح لنا هذه الدعوة الصريحة إلى تحرير العقل من عوائق التفكير السليم – الممثلة في الفكر الأسطوري القائم على اتـــباع الأوهام ، والتقليد الأعمى ، والهوى ، والتعصب – من قبل الإمام الشـــافعي رحمـــه الله ، وهذه العوائق لا يرفضها إلا صاحب عقلية علمية واعية ومتفتحة .

٤ــ الاجتهاد

إذا رســـخت قدم العالم في العلم ، وأوتي فهماً في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فتح له باب الاجتهاد بعد توفيق الله سبحانه وتعالى ، فإنّ الحفظ والفهم هما آلتا الاجتهاد ، وقد تقدم لنا الحديث عن مكانة العلم وقدره عند الشافعي ، وطرفٍ من أخباره في العلم ، والتمكن مـــنه ، وكذلك الفقه في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ما يغني عن

الإعـــادة هنا ، وأما الاجتهاد فيكفي الشافعي رحمه الله ثناء وإشادة به أنه واضع علم الأصول ، وأول من نبّه على استنباط الفوائد واستخراج الحكم مـــن سنة رسول الله ﷺ وليس المراد أنّ الشافعي جاء بعلم جديد ، ولكن المـــراد أنّ الشافعي أوّل من قعّد القواعد ، وأصّل الأصول ، ولفت أنظار العـــلماء إلى فهـــم السنة ، وقد كانت همتهم معروفة إلى حفظ الحديث وروايـــته بـــدون استنباط الحكم والأحكام وهذا باب عظيم من أبواب الاجتهاد لم يسبق إليه الشافعي أحد . يؤكد ذلك كتاب (الرسالة) الذي ألفه الشافعي هو أول مؤلف في أصول الفقه و لم يؤلف في ذلك أحد قبله . (آل منصور ، ١٤٠٥هـــ ، ج١، ص٢٤) .

فعن جعفر بن أخي أبي ثور قال : سمعت عمي يقول : كتب عبد الرحمن بـــن مهدي إلى الشافعي ، وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ، ويجمـــع قبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة ، فوضع له كتاب (الرسالة) . قال عبد الرحمن بن مهدي : ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها . (البيهقي ، ١٤١٧هـــ ،ج١ ، ص١٣١) . هذا مع العلم أن عبد الرحمن بن مهدي أحد أركان أهل العلم بالحديـــث حتى قال عنه علي بن المديني : " والله لو أُخذت وحُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهـــدي "(البيهقي ، ١٤١٧هـــ ، ج١ ،ص١٣٢) . وهو أيضاً أكبر من الشافعي بسنين ، ومع ذلك ما منعه مكانته في العلم وكبر سنّه أن يستفيد من علم الشافعي وفقهه .

وممـــا يـــدل على حسن اجتهاد الشافعي وذكائه وفطنته في بعض المســـائل الجزئية ، ما نقل عن الربيع : سمعت الشافعي يقول : كنت عند مالك بن أنس وهناك سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد الزنجي (وهؤلاء

كـــلهم شـــيوخ الشافعي) إذ أقبل رجلان أحدهما متعلق بصاحبه ، فقال لمـــالك : يا أبا عبد الله أنا رجل أبيع القماري ، وإني بعت من هذا الرجل الـــيوم قمرياً وحلفت له بالطلاق الثلاث أنه لا يهدأ من الصياح فوزن لي ثمنه وقبضته وانصرف فلما كان بعد ساعة أتاني فقال : زعمت أنه لا يهدأ مـــن الصـــياح وقد سكت وهدأ فرُدَّ عليّ دراهمي وقد حنثت في يمينك ، فقـــال مـــالك : هو كما يقول ؟ قال : نعم ، قال : بانت منك امرأتك ووجب عليك رد الدراهم ، فقاما من عند مالك ، فقال الشافعي : ما قال لكمـــا مـــالك ؟ فأخبراه بالمسألة وبفتيا مالك ، فقال الشافعي للبائع : ما أردت بقولـــك أنه لا يهدأ أعلى مر الزمان أو أردت أن كلامه أكثر من سكوته ؟ فقال : يا أبا عبد الله قد علمت ينام ويأكل ويشرب وإنما أردت أن كلامه أكثر من سكوته ، فقال الشافعي : لا ردَّ . عليك أمسك عليك امرأتك ، فرجعا إلى مالك فقالا له : إن رأيت أن تنظر في مسألتنا ، فقال مالك : إن كان السؤال ما سألتما فإن الجواب عنه ما سمعتما ، قالا: فإن الشـــافعي زعم أنّه لا شيء عليه ، فدعاه مالك ، وصاح عليه وقال : من أين قلت ؟ فقال : حديث فاطمة بنت قيس لّما قالت لرسول الله ﷺ : إن معاوية بن أبي سفيان وأبا الجهم بن حذيفة يخطبانني فأيهما أحب إليك ، فقـــال : إن معاوية صعلوك لا مال له وأن أبا جهم فلا يضع عصاه على عاتقه في أهله ، وكان أبو الجهم ينام ويستريح فإنما خرج كلامه ﷺ على الأغلب من الشيء كأن الشيء إذا كثر كان كمداومته قال:فأعجب ذلك مـــالك وبقي متحيراً، فقال له مسلم بن خالد : أفت والله فقد آن لك أن تفتي ، وهو ابن خمس عشرة سنة . (السلماسي ،١٤٢٠هـــ ،ص١١٣) .

فانظر إلى هذا الاجتهاد العجيب ، وكيف خالف الشافعي شيوخه في الفتيا وأنه قاس كلام البائع الذي قال : إن قمريه لا يهدأ ، ويقصد بذلك أنه في

أغلب أوقاته ، قاسه على حديث النبي ﷺ حين قال عن أبي جهم إنه لا يضع عصاه عن عاتقه ، فصحح بيع الرجل ، وأبقى له امرأته ، وهذا اجتهاد في غاية القوة والوضوح ، ونباهة وحسن قياس من الشافعي مع صغر سنه في ذلك الوقت حتى قال شيخه ما قاله .

٥- المجادلة بالتي هي أحسن :

من السمات البارزة في شخصية الإمام الشافعي رحمه الله المجادلة بالتي هي أحسن لطلب الحق والوصول إليه ، فهو يناقش في هدوء ، ويؤكد كل معلومة يريد الوصول إليها فإذا استقرت انتقل إلى التي تليها معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . يدور مع الحق حيث دار ، ولا يهمه بعد ذلك ظهر الحق على يديه أم على يد مناظره ، يقول الحسن بن الصباح سمعت الشافعي يقول : ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة ، وقال الحسين بن علي الكرابيسي سمعت الشافعي يقول : ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق أو يسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظه ،وماناظرت أحداً إلا و لم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه (الحنبلي ، ١٤١٩هـ ، ص١٥١) . إن هذين القولين يدلان على صدق الإمام الشافعي رحمه الله في طلب الحق . ولاشك أن الأصلين اللذين اعتمد عليهما الشافعي في مناظرته وهما (النصيحة، وطلب ظهور الحق) بغض النظر مع من يكون . لاشك أنها الركيزة الأساسية في المناظرات التي يريد فيها بيان العلم ونشره وخدمته من خلال الغوص في الأدلة والنظر إلى أن البراهين ، ودحض الدليل البعيد عن مدلوله .

وعن عبد الله بن الزبير الحميدي قال : قال محمد بن إدريس الشافعي : ... وكنت أحضر مجلس محمد بن الحسن فإذا قام ناظرت

أصـــحابه ، فقال لي ذات يوم : بلغني أنك تخالفنا في الغصب ؟ فقلت : أصلحك الله إنما هو شيء أتكلم على المناظرة ، فقال : لقد بلغني غير هذا فـــناظرني أوكلمني فيها ، فقلت : أني أجلك على المناظرة ، فقال : لا بد مـــن ذلك ، فقال : ما تقول في رجل اغتصب من رجل ساجة فبنى عليها جداراً وانفق عليها ألف دينار ، فجاء صاحب الساجة ، فأثبت بشاهدين عدلين أنّ هذه الساجة ساجته، وأن هذا اغتصبه عليها وبنى عليها البناء ؟ قال : فقلت: أقول لصاحب الساجة : ترضى أن تأخذ قيمتها ؟ فإن رضي وإلا قلعـــت البناء ودفعت إليه ساجته قال: أليس قال النبي ﷺ (**لا ضرر ولا ضـــرار في الإسلام**)[1] (ابن ماجة ، كتاب الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ، ج١ ، ص٧٣٦ ، رقم الحديث ٢٣٤٠) قلت : ومـــن ضره ؟ هو ضر نفسه ؟ فقال : ما تقول في رجل اغتصب من رجل خـــيطاً من أبريَسْمَ فخاط به بطنه . فأثبت صاحب الخيط شاهدين عدلين أن هـــذا اغتصب هذا الخيط . أكنت تنزع الخيط من بطنه ؟ قلت: لا ، فقـــال: قـــد تركـــت قولك ، فقال أصحابه : قد تركت قولك ، فقال أصـــحابه: قد تركت قولك ، فقلت : لا تعجلوا . قال لي : فما تقول في رجل اغتصب من رجل لوحاً فأدخله في سفينة في لج البحر فأثبت اللوح شاهدين عدلين أكنت تنزع اللوح من السفينة ، قلت لا: قال: الله أكبر قد تركت قولك ، فقلت له: أرأيت لو كان الخيط خيط نفسه أراد أن ينزعه في الـــبحر . مـــباح له ذلك أم محرم عليه ؟ قال: بل محرم عليه . قلت : أفرأيت الساجة لو كانت ساجة نفسه أراد أن ينزعها فيهدم البناء عليها. أمحـــرم عليه أم مباح له ؟ قال : بل مباح له فقلت له : يرحمك الله تقيس

---

[1] خرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٢ ، ص١٢٤٩ ، برقم ٧٥١٧ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم ٢٥٠ . وقال حديث صحيح .

مباحاً بمحرم ؟ قال : وكيف تصنع بصاحب السفينة ؟ قلت له : آمره أن يقرب إلى أقرب المراسي التي لا يهلك هو فيها وأصحابه وأقول له : أنزع اللـــوح فادفعه إلى هذا وأصلح أنت سفينتك ، واذهب قال : ثم قلت له : ما تقول في رجل من بني فلان - ذكر أقواماً أشرافاً - اغتصب رجلاً من الـــزنج عـــلى جارية فأولدها عشرة كلهم قد قرءوا القرآن ، وقضوا بين المســـلمين أشرافاً ، وخطبوا على المنابر ، وأثبت صاحب الجارية شاهدين عدلـــين ، أن هذه الجارية له غلبه عليها وأولدها هؤلاء الأولاد . بم كنت تحكـــم فيهم ؟قال: أرد الجارية عليه وأحكم بأولادها رقيقاً له . فقلت : مالك لم تقل هذا في الخشبة ؟ وقلت له : أنشدك الله أيتهما أعظم ضرراً : أن قلعت الساجة أو حكمت بولدها رقيقاً . قال : فترك محمد بن الحسن قو‍ـــله ورجع إلى الشافعي رضي الله عنهما "(البيهقي ، ١٤١٧هـــ،ج١ ،ص٦٧-ص٦٩) .

إن هـــذه المناظرة النفيسة والمحاورة الدقيقة تكشف قدرة هذا الإمام على المجادلة بالتي هي أحسن ، حيث استطاع رحمه الله أن يستدل لمناظره ويضـــرب له الأمثلة ، ويقرب له المعاني في هدوء حتى انتهى به إلى إقناعه فـــترك قوله ورجع إلى قول الإمام الشافعي رحمه الله مع أنه قال له في أول الأمر : إني أجلك عن المناظرة أي أقدرك أن تناظر مثلي .

ثالثاً : شيخ الإسلام ابن تيمية :

أ- نبذة مختصرة عن حياته .

هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســـلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن علي عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي (ابن عبد الهادي ، د.ت ، ص٢) .

ولـــد رحمه الله بحران يوم الاثنين العاشر بن ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة النبوية .

انتقل مع والده إلى دمشق هرباً من وجه الغزاة التتار ، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين ، فأبوه وأجداده وأخوته وكثير من أعمامه كانوا من العـــلماء المشاهير ففي هذه البيئة العلمية كانت نشأته رحمه الله ، وقد بدأ بطلـــب العلم أولاً على أبيه وعلماء دمشق ، فحفظ القرآن وهو صغير ، ودرس الحديـــث والفقه والأصول والتفسير وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره ، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها واجتمعت فيه صـــفات المجتهد منذ شبابه ، فلم يلبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعـــلم والفضـــل والإمامة قبل بلوغ الثلاثين من عمره ، وكان يشارك العـــلماء مـــنذ صغره في المناظرات العلمية التي كانت سبباً في توسع عقله وتفتح ذهنه .

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي ، فقد ترك للأمة تراثاً ضخماً ثميناً ولا يـــزال العـــلماء والباحثون ينهلون منه معيناً صافياً ، ولم يترك شيخ الإسلام مجالاً من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة ، وتخدم الإسلام إلا كتـــب فـــيه وأســـهم بجدارة وإتقان .. ذكرذلك العقل في مقدمة تحقيقه لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم . (ابن تيمية ، ١٤١٧هـــ ،ج١، ص١٠ – ص ١١) . وتلـــك خصلة قلما توجد إلا عند العباقرة أصحاب العقول الواعية المتفتحة .

وأمـــا عن جهاده ودفاعه عن الإسلام ، فقد كان له مواقف عديدة أســـهم فـــيها إسهاماً قوياً في نصرة الإسلام وعزة المسلمين ومن ذلك : جهاده بالسيف ، وتحريضه المسلمين على القتال ، بالقول والعمل فقد كان يجـــول بسيفه في ساحات الوغى ،مع أعظم الفرسان والشجعان ، والذين

شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالعدو . ويدل علـــى ذلك ما ذكره (البزار ، ١٤٠٠هـــ) حيث قال : (وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح (عكا) أموراً من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها ، قـــالوا : ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظـــره) ص٦٨ . وأما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمه الله وقف أمام أعـــداء الإســـلام من أصحاب الملل والنحل ، والفرق والمذاهب الباطلة والـــبدع كـــالطود الشامخ بالمناظرات حيناً ، وبالردود أحياناً ، حتى فنّد شبهاتهم ورد الكثير من كيدهم بحمد الله . ص٣٣ .

ولا تزال ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق والمبطلين ؛ لأنها إنما تستند على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة رضوان الله عليهم .

أضـــف إلى ذلك ما كان يتمتع به من صفات حميدة ، ومن أشهرها ممن اشتهر بها عند أهل زمانه حتى بين عامة الناس صفة التواضع ، يشهـــد له بذلـــك (الحنبلي ، ١٤٠٦هـــ) بقوله :

> " ما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك ، كان يتواضع للصـــغير والكبير ... والغني والفقير ، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء ، حتى أنه ربما خدمه بنفسه ، وأعانه بحمل حاجته ، جبراً لقلبه ، وتقرباً بذلك إلى ربه . وكان لا يسأم من يستفتيه أو يسأله ، بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ... ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه ، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط..."ص٨٨ .

والتواضع أساسٌ من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ، هذا وقد توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة

رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته وأسكنه فسيح جناته . (ابن تيمية ١٤٢٠ هـــ ، ج ١، ص٥١) .

ب- أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند ابن تيمية .

١ - سلامة العقيدة

لمـــا كان القرن السابع الهجري اشتد الأمر وأصبح الظلام دامساً ، وافترقت الأمة إلى فرق ومذاهب هي الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهـــمية والرافضـــة ، ومَـــنْ أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية ، والكلابية ، والأشعرية وغيرهم . وتناحر المسلمون من أجل عقائد لاصلة لهـــا بـــالدين ، وتعصب كل صاحب مذهب لمذهبه أشد تعصب ، حتى نســـوا القرآن والسنة ، وأخذت الأمة ترزح تحت دياجير الظلام الحالك فأظهـــر الله في أواخر القرن السابع الهجري زعيم المجددين وقائد النهضة الإســـلامية الحديثة وحامل راية الكتاب والسنة ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمـــد بـــن تيمية الذي حمل مشعل الدعوة إلى الكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل حال . "وقد كان رحمه الله قوياً في إيمانه ، مخلصا لدعوته ، جريئاً في الحق لا يبالي بما يلقى من الأذى في سبيله فأعلن مذهب السلف في جرأة وصراحة " (هراس ، ١٤٠٥ هـــ ، ص٤) .

وهـــاجم جميع الفرق والمذاهب المنحرفة القائمة في عصره ، ودعا الـــناس إلى طـــريقة السلف الأول من الصحابة والتابعين ، وحارب كل غريب مستحدث ، وخلص الدين من الشوائب وقدمه للأمة الإسلامية في صورته الأصلية البعيدة عن الزيغ والضلال . ومن ذلك رفضه تسمية علم الكـــلام بـــ (أصول الدين) ، باعتبار هذا المصطلح يضفي من المشروعية على عقائد المتكلمين ما يجعلها في قداسة العقيدة السليمة الصافية المستمدة

مـــن القـــرآن الكـــريم والسنة المطهرة . " ... ومعلوم أن صيغ الكلام والمـــنظومات المركـــبة مـــنها في الاعتقاد ما هي إلا اجتهاد قابل للخطأ والصواب ... " (الأنصاري ، ١٤١٦هـــ ، ص١١٧) .

قال (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ) : "إن طائفة من أهل الكلام تسمي ما وضعته (أصول الدين) وهذا اسم عظيم ، والمسمى به ، فيه من فساد الديـــن مـــا الله به عليم ... وعامة الضلالات ، إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة " . (ج٤ ، ص ٥٦) .

إن العقيدة الأشعرية في عصره كانت هي السائدة وصاحبة القداسة والقوة إلا أنه رحمه الله حاربها رغم أنها أقرب إلى السنة من غيرها على حد تعبيره رحمه الله حيث قال : " السنة ، والشريعة ، والمنهاج ، هو الصراط

المســـتقيم ، الذي يوصل العباد إلى الله ... قال عبد الله بن مسعود : خط رسول الله ﷺ خطاً ، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال :(**هذا سبيل الله وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو عليه**) ، ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ ســورة الأنعام . وإذا تأمل العاقل ، الذي يرجو لقاء الله هذا المثال ، وتـــأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية ، والرافضة ، ومَـــنْ أقرب منهم إلى السنة ، من أهل الكلام ، مثل الكرامية ، والكلابية ، والأشعرية ، وغيرهم ، وأن كلا منهم له سبيل ، يخرج به عما عليه الصحابة ، وأهـــل الحديث ، ويدعي أن سبيله هو الصواب ، وجدت أنهم المراد بهذا المـــثال الذي ضربه المعصوم ، الذي لا يتكلم عن الهوى ، إن هو إ لا وحي يوحى " (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـــ ، ج ٤ ، ص ٥٧) .

ويعلق على ذلك (الأنصاري ، ١٤١٦هـــ) بقوله : " وابن تيمية ، يعـــلم أنـــه بفعله هذا ، سوف يغضب أشاعرة عصره ، وهم أكثر فقهاء المذاهـــب المتصدين للفتوى ، والدفع عن المذهب الفقهي والعقدي ، من شـــافعية ومالكـــية وغيرهما ، ولذلك فقد بين وجه التمايز والتباعد ، بين

العقيدة الأشعرية ، والعقيدة السلفية " ص١١٨ ، وحتى يوضح للناس أن السبل متفرقة وأن سبيل النجاة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده ، وهو ما يطلق عليه عقيدة أهل السنة والجماعة أو عقيدة السلف الصالح . وهكذا يخلص شيخ الإسلام ابن تيمية الدين الإسلامي من الشوائب التي لحقت به في عصره ، ثم يقدمه للأمة في صورته الأصلية البعيدة عن الزيغ والضلال . ولم يقتصر الأمر به على ذلك بل تعدى به إلى محاربة التعبد بناء على مصادر وهمية لا تحتكم إلى نص معلوم ، كواردات الأذواق ، وشطحات الأحوال ، ومظاهر التدين الفلسفي ، من مقولات المتصوفة ، الذين استتب الأمر لأشياخهم ، وطرقهم في زمانه رحمه الله ، فهاجم أبا حامد الغزالي ، من حيث أنه أقر منهج الصوفية في الأمة ورفع من شأن طريقتهم ، واعتبر أن سلوكه الروحي ، من حيث أنه لم ينضبط لنصوص الشرع ، إنما كان يستقي من الفلسفة ، التي هاجمها وحاربها ، ولذلك قال فيه : " وأبو حامد الغزالي يميل إلى الفلسفة ، لكنه أظهرها في قالب التصوف ، والعبارات الإسلامية ، لهذا رد عليه علماء المسلمين ، حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي فإنه قال: شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر" (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـ ج٤ ، ص ١٦٤) . وأنكر أن يعتمد الغزالي على الأذواق والمكاشفات ، لتفسير النصوص الشرعية على مقتضاها فتكون بذلك حاكمة على القرآن والسنة لا محكومة بهما ، وفي ذلك يقول : " فإن أبا حامد ، كثيراً ما يحيل في كتبه على ذلك النور الإلهي ، وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعباد برياضتهم ، وديانتهم ، من إدراك الحقائق ، وكشفها لهم حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع " (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـ ، ص٦٣ - ص٦٤) .

ويعلل ابن تيمية ذلك بقوله : " إنه عُلِم بذكائه وصدق طلبه ، ما في طـــريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب ... فيجد في كلام المشايخ والصـــوفية مـــا هو أقر ب إلى الحق ، وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين ، والأمر كما وجده ، لكن لم يبلغه من الميراث النبوي ، الذي عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال ، وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة ... لانسداد الطريقة السنية النبوية عنه ، بما كان عنده من قلة العلم بها ، ومن الشبهات ، التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين ، حتى حالوا بينه وبين تلك الطريقة .. وإنما ذلك لعلمه الذي سلكه والذي حجـــب بـــه عن حقيقة المتابعة للرسالة ، وليس هو بعلم ، إنما هو عقائد فلسفية وكلامية " . (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ ، ج٤ ، ص ٦٤) .

ومـــن هنا نخلص إلا أن سبب وقوع الغزالي فيما وقع فيه هو ضعفه في معرفة الحديث النبوي وهو مصدر أصيل من مصادر العقيدة الإسلامية الصحيحة لا ينفك عن القرآن الكريم كتاب الله وأصل الأصول ، هذا من جانـــب ، ومـــن جانـــب آخر أغراقه أكثر أيام عمره في طلب المعارف الفلســـفية والكلامية التي ركبت في نفسه فلم يستطيع أن يتخلص منها ، رغم معرفته ببطلان الفلسفة .

ولذلـــك ينـــبغي على الفرد المسلم أن يؤصل نفسه بالقرآن الكريم والسنة النـــبوية قـــبل الخوض في دراسة العلوم المخالفة حتى يشكل لنفسه حصناً حصـــيناً يمـــنعه من الزلل والانحراف . ثم يلتفت ابن تيمية بعد ذلك إلى متصـــوفة عصره ، منكراً ما وصلوا إليه من انحراف في الفهم ، والتطبيق للدين ، وأنكر عليهم أن تتضمن طرقهم أسرارا لا تتضمنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، قال رحمه الله :"وقد رأيت من أتباع هؤلاء ، طوائف يدعـــون أن هـــذه الأمور ،من الأسرار المخزونة ، والعلوم المصونة ...

وخاطبت في ذلك طوائف منهم ، وكنت أحلف لهم أن هذا كذب مفترى وأنه لا يجري من هذه الأمور شيء" (ابن تيمية،١٣٩٨ هـ،ج٤،ص٨٢).
ويعلق على ذلك (الأنصاري ،١٤١٦هـ) " .. أي أنه لا يجري منها شيء شرعاً ولا واقعاً ، وإنما هي تخييلات إبليسية ليس إلا .. " ص١٢٢ .

ولم ينكر على الصوفية طلبهم الوصول إلى أعلى المقامات الإيمانية ولا حبهم للزهد والعبادة ، إنما كان يشترط أن يكون ذلك وفق الأصول الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية .

وهكذا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو الناس إلى طريقة السلف الصالح ويحارب كل غريب مستحدث مهما كان شكله ، وصاحبه ، وذلك لا يصدر إلا من صاحب عقيدة سليمة .

ومما يشهد له بذلك مناظراته التي عقدت في مصر والشام والتي كانت معظمها دفاعاً عن العقيدة وانتصاراً لمذهب السلف الصالح ومن هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر ، ما يأتي :

- مناظرته في العقيدة الواسطية التي كتبها لرضي الدين الواسطي ، من أصحاب الشافعي ، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته في مدينة واسط ، فكتبها الشيخ ، وانتشرت بين الناس مما أدى إلى ثورة كثير من علماء الجهمية والاتحادية والرافضة ، وغيرهم من ذوي الأحقاد ، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية ، فكتب السلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قضاة المذاهب الأربعة ، وغيرهم من نوابهم ، والمفتين ، والمشايخ ، وعند وصول الكتاب إلى أمير الشام جمع قضاة المذاهب الأربعة والعلماء ، والشيخ تقي الدين في قصر الولاية بدمشق ، وذلك يوم الإثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥ هـ ، ثم بدأ المجلس بقراءة العقيدة الواسطية من أولها ، ومناقشة الشيخ ومناظرته

بحضـــور الأمير ، فناظرهم الشيخ ورد عليهم ، وبين لهم مذهب السلف الصالح ، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي التي يدل علــيها الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وصار يناظر أصحاب المذاهب ، فكان أعلم بمذهبهم منهم ، وأعجزهم أمام الأمير، ثم انتهى المجلس الأول .
واجــتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة الثاني عشر من رجب ســنة ٧٠٥هـــــ وقد أحضر قضاة المذاهب الأربعة ، معهم صفي الدين هندي ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقيته لاطمت بحــراً عميقاً ، ثم استلم من ناظره عقبه ، فكان كالبحر الزاخر ، حتى إن هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته ؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والســنة والآثــار عن السلف الصالح ، وكان يلزمهم بالكتاب والسنة ، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح ، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه ، وليس لأحد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله ، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع سلف هذه الأمة ، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وجب على كل مسلم أن يثبــته لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ، وما نفاه عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وجب نفيه عنه ؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه .

وانتهى هذا المجلس بعجزهم أمام الأمير عن ابن تيمية ، فخرج الشيخ والــناس يحملون له الشمع إلى مترله على عادتهم في ذلك . ثم عقد المجلس الثالــث في الــيوم السابع من شعبان سنة ٧٠٥هـــ في القصر ، واجتمع الجماعة كلهم على الرضى بالعقيدة الواسطية ، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ ويثني عليه ، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان . (ابن كثير، د.ت ج١٤، ص٣٨ – ص٣٩) . فاظهر الله الحق وأبطل الباطل على يد شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، رحمه الله .

- ومن مناظراته رحمه الله التي تشهد له بسلامة العقيدة ، وانتصاره الشديد لمذهب السلف الصالح والدفاع عنه ، تلك المناظرة التي أعز الله بها أهل السنة وخذل بها أهل البدع ، والخرافات مع الطائفة الأحمدية البطائحية[1] كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف الصالح ، وكان يأمرهم باتباع الكتاب والسنة ، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية .

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ حضر هؤلاء المبتدعة في جموع هائلة إلى قصر نائب دمشق ، يسألون نائب السلطان أن يكف عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي ، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جم غفير ، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته ، فأرسل إليه ، ووصل ، وسأله الأمير ، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع ، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليم ، وذكر له جميع ما يعرف عنهم ، وأنه ينهاهم عن البدع وهم يأتون بأحوال شيطانية ، ومنها دخولهم النار ، واستعد الشيخ إنهم إن دخلوا النار في هذا اليوم فسيدخل معهم ، ومن احترق فعليه لعنة الله ، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار ؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج ، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون من الأمير الإصلاح ، والعفو عن الماضي والتوبة ، واتباع الكتاب والسنة ، فقبل منهم ابن تيمية ، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية ، فناظره ابن تيمية فغلبه أمام الجموع الغفيرة . وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأي شيء يصنعونه في النار من حيلهم فسيصنع مثلهم

---

[1] البطائحية : الطائفة المعروفة بالرفاعية ، نسبة إلى البطائح التي سكنها الشيخ أحمد الرفاعي ، ويقال لها أيضاً الرفاعية والأحمدية ، نسبة إلى لقبه أو اسمه : أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد ، المعروف بابن الرفاعي .

بشرط الغسل . ولفطنة ابن تيمية قال : يكفي في ذلك قنديل يوقد داخل أصـبع المـناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل ، وعندما سمع الصوفية ذلك انهـزموا أمام الجموع ، وأقروا بالتزام الكتاب والسنة ، فأعلن الأمير ذلك للناس ، وأن من خالف الكتاب والسنة ضرب عنقه ، وطلب الصوفية من الشـيخ الكتـب الصحيحة ، فبذلت لهم ، وتفرق الجميع على التوبة . (ابن كثير ،د.ت ، ج١٤ ، ص٣٨) .

وهـذا الموقـف يدل على وضوح منهج الشيخ وسلامة عقيدته ، وإخلاصـه وصـدقه مع الله عز وجل ، ولهذا تاب على يديه جم غفير ، جعلـه الله في موازين حسناته ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وهذا ما يطمع فيه كل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً . ومن كلامه الجامع الذي يدل على سلامة عقيدته قوله : " فأحسن الحديث وأصدقه كتاب الله ، وخبره أصـدق الخـبر ، وبيانه أوضح البيان ، وأمره أحكم الأمور ، ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الجاثية . وكل من اتبع كلاما أو حديثا مما يقال : إنه يلهمه صاحبه ، ويوحي إليه أو أنه ينشئه ويحدثه ، ممـا يعـارض بـه القـرآن ، فهو من أعظم الظالمين ظلماً "(ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ ، ج٤ ، ص٨٥ ، ص٨٦) . وقوله : "وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة ، المقبولين عند الأمة قبولا عاماً ، يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلارسول الله ﷺ" وقوله : " وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقـول أحـد من الناس " (ابن تيمية ، ١٤٠٤هـ ، ص١٢، ص٤٣) . ويشهد له بذلك المزي بقوله : " ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما

رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه " . (ابن عبد الهادي ، د.ت ، ص ١٧) .

٢- مكانة العلم وقدره :

من الشروط التي ينبغي توافرها في صاحب الانفتاح العقلي أن يبلغ درجة من العلم تمكنه من القدرة على التفكير السليم والاختيار الموفق المسدد والنظرة الشمولية للموقف من جميع جوانبه ، ولقد تميز ابن تيمية بغزارة العلم ونضج الفكر يشهد بذلك (أبو زهرة ، د.ت) عند وصفه للقرون الثلاثة السادس والسابع والثامن بقوله : " أمتاز بكثرة العلم ، لا بكثرة الفكر ، فقد كانت المعلومات كثيرة جدا وتحصيلها كان بقدر عظيم وعكوف الناس عليها كان كبيرا ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها ، والمقايسة بين صحيح الآراء وسقيمها ومقايسة حرة من التعصب الفكري ، والتحيز المذهبي لم يكن بقدر يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الأجيال ، فقد كانوا يتلقونها ويستحفظون عليها ، ولكن لا يقدرونها حق قدرها ، بالنظر الفاحص المجرد ، أو النظر الذي يعم كل الجوانب ، لا ينحاز إلى جانب من الجوانب وينظر من زاويته دون سواه فجاء ابن تيمية وفكر في هذه الثروة ، ونظر إليها من كل جوانبها " ص ١٥٦ . بل شهد بذلك قبله العلماء المعاصرون له فهذا (ابن عبد الهادي ، د.ت) يقول : " ... صنف التصانيف ، وصار من كبار العلماء في حياة

> شيوخه وله من التصانيف الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، شيوخه أكثر من مئتي شيخ ، ومعرفته بالتفسير إليها انتهى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقيمه فيما يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين _ فضلاً عن

المذاهب الأربعة ، فليس له نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له نظيراً ، ويدري جملة صالحة من اللغة ، وعربيته قوية جدا ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب...) ص٢٣ .

ويقول (الحنبلي ، ١٤٠٦ هـ) : " ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها . وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده ، وحدة ذهنه وسعة دائرة في السنة والأقوال ، مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكر و...) ص٦٣. وقال ابن دقيق العيد : "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه ، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ..." (الحنبلي ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٩) .

ويقول ابن الزملكاني : " كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يُعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه ...) (الدمشقي ، ١٤١١هـ ، ص١٠٩) .

ومما يشهد لشيخ الإسلام ابن تيمية في تقديره للعلم واهتمامه به ونشره ، مواقفه في إصلاح أهل السجون ، فقد كانت له مواقف حكيمة ، وجهوداً مشكورة مسددة ، نفع الله بها الناس ، وأنقذهم بها من الضلال إلى الهدى، ومن هذه المواقف :

- عندما سجن في سجن القضاة بمصر ، في الثامن عشر من شوال سنة ٧٠٧هـ ، أخذ يعلم السجناء ، ويرشدهم ، ويعظهم بالأساليب

الحكـــيمة ، فهـــدى الله على يديه خلقاً كثيراً ، وقد كانت تأتيه الفتاوى المشكلة فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة .

- وسجن في الإسكندرية في أول يوم من ربيع الأول سنة ٧٠٩هــ فـــنزل بهـــا بـــبرج متسع ، ووجد بها منكرات عظيمة ، فنفع الله به أهل الإسكندرية ، فقد بين لهم الحق ، وحذرهم من البدع والمنكرات .

- وســـجن في قلعـــة دمشق مرات ، وآخر ذلك في ستة عشر من شوال سنة ٧٢٦هــ ، ففرح بذلك وقال : أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة ، وأقبل في هذه المدة على التلاوة وتصنيف الكتـــب، والرد على المخالفين . وكان رحمه الله لا يهمه الإفراج عنه من السجن مادام باستطاعته نشر العلم بلسانه وقلمه . (البيطار ،١٤٠٧هــ، ص٣٤ – ص٣٥) .

وبهذا يتبين للباحث مكانة العلم وقدره عند سيخ الإسلام ابن تيمية ، فكل ما ذكر من أقوال ومواقف تشهد له بذلك أضف إلى ذلك أنه رحمه الله لم يـــنقطع عن البحث والتأليف طيلة حياته في الشام أو في مصر ، في الســـجن أو في البيـــت ، بل أنه كان يتوجع ألما وحسرة حينما أخرجوا الكتـــب والأوراق من عنده في أخريات أيامه ، عندما كان سجيناً بقلعة دمشق . (هراس ، ١٤٠٥هــ ، ص٢٧) .

٣- رفض التعصب واتباع الهوى

لمـــا كان القرن السابع الهجري اشتد الأمر وأصبح الظلام دامساً ، وافترقت الأمة إلى فرق ومذاهب ، وتناحر المسلمون بينهم من أجل عقائد لا صـــلة لها بالدين ، واشتد التعصب حتى نسوا القرآن والسنة ، وانتشر حـــتى نـــال مؤسسات التعليم فانقسمت إلى مدارس للشافعية ، وأخرى

للحنفية ، وثالثة للمالكية ، ورابعة للحنابلة ، وذهب كل فريق إلى تحديد مـــنهاج تربوي لا يخرج عن حدود الإطار المذهبي الذي حصر نفسه فيه فضعفت مكانة العلماء والمفكرين (الكيلاني ، ١٤٠٧هـــ ، ص١٧٩) .

وفي هـــذه الفترة ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عالج الكثير من المفاهـــيم التربوية من خلال دراساته وأبحاثه ، فرفض التعصب وأنكر على المتعصبين ونهى أن يجعل المتعلم معياره هم أصحابه ، كما نهى أن يدعو إلى مقالـــة لأنها قول أصحابه بدون النظر إلى الدليل ، وفي هذا يقول : "وإذا تفقـــه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ ، فلـــيس له أن يجعل وأصحابه هم المعيار ، فيوالي من وافقهم ، ويعادي من خـــالفهم ، فينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر ، وكمائن القلوب تظهر عند المحن ، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله بـــه ورسوله أو أخبر الله به ورسوله ، لكون ذلك طاعة لله ورسوله " (ابن تيمية ، ١٣٨٩هـــ ، ج٢٠ ، ص ٨ - ص٩) .

كما حذر ابن تيمية من التعصب عند التنازع بدون معرفة الحق وفي هذا يقول : " وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهـــل ولا هوى ، بل ينظر في الأمر فإذا تبين الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره ، وسواء كان المبطل مـــن أصحابه أو أصحاب غيره ، فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله واتباع الحق" (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـــ ، ج ٢٨ ، ص ١٦) .

وأوصـــى كذلـــك المعـــلمين أن لا يزرعوا بذور التعصب –لهم أو لآرائهـــم– في نفوس المتعلمين فيحزبوهم ضد غيرهم مما يؤدي إلى العداوة

والبغضاء ، كما نهى عن معاقبة من لم يتعصب لهم أو لآرائهم . (ج٢٨ ، ص١٥- ص١٦) .

إن رفض التعصب كان مذهبه يرحمه الله فرغم أن جده مجد الدين ، ووالـــده اللذين تلقى التعليم على أيديهم كانا عالمين فاضلين ، ومن أئمة الفقه الحنبلي إلا أنه لم يتعصب لهما ولا لفقههما أو مذهبهما الحنبلي ، غير أنـــه كـــان معجباً بفقه الإمام أحمد بن حنبل لكن إعجاب الفاهم المدرك المرجح صاحب العقل الواعي المتفتح حيث ينظر في الأقوال ويرجح بينها ، ويقـــول في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : " كان أعلم من غيره بالكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً ، كما يوجد لغيره ، ولا يوجد له قول ضعيف ، ... وأكثر مفاريده التي اختلف فيها مذهبه عن غيره يكون قوله راجحاً " (أبو زهرة ، د.ت ، ج٢ ، ص ٤٢٩) .

ورغـــم كل هذا الوصف إلا أن شيخ الإسلام لم يكن مقلدا للإمام أحمد كمقلدي عصرنا ، بل كان يفضل مذهب الإمام أحمد على غيره من المذاهب لقربه من الكتاب والسنة ، ولم يكن يرى لزاما عليه التقيد بأقواله بل كان يعتبر التعصب لواحد من الأئمة وإهمال جهود وفهوم الآخرين أمر غـــير صحيح ، بل يعتبره نابعا من الهوى لا من الحجة والبرهان فيقول : " مـــن تعصب لواحد من الأئمة بعينه فقد أشبه أهل الأهواء ... ثم غاية المتعصــــب لواحد منهم أن يكون جاهلا بقدره في العلم والدين ، وبقدر الآخرين فيكون جاهلا ظالما ... وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله ، وهما خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما مـــن الســـنة والحجة ما أوجل عليهما عدم اتباعه وهما مع ذلك يعظمان إمامهما " . (البستوي ، ١٤١٨ هـــ ، ص٩٠) .

بالإضـــافة إلى ذلـــك كله كانت له دعوة صريحة إلى الانفتاح على خبرات الآخرين وحشد لذلك معارفه الشرعية والعقلية وقدراته الذهنية ؛ لأنه أعلم العباد هو الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـــ ، ج١٠ ، ص٨٥) . وأجاز ابن تيمية ترجمة أفكار غير المسلمين ليعلم ما عندهم ، وينتفع به في مخاطبتهم ومناظرتهم كما كان يفعل عبد الله بن سلام ، وسليمان الفارسي وكعب الأحبار ، وزيد بن ثابت وغيرهم ممن كانوا يترجمون ما في لغاتهم الأولى ليستشهدوا به على موافقة ماجاء به الرسول وليكون حجة عليهم ، ودعـــا إلى نقل علوم الآخرين في مسائل الطب والحساب وغير ذلك من العلوم ما دام الهدف هو الانتفاع بها لصالح الإسلام والمسلمين (ابن تيمية ، ١٣٨٩ هـــ ، ج٤ ، ص ١٠٩ – ص١١٥) .

ولقـــد حـــذر ابـــن تيمية من خطورة الانغلاق عن علوم الآخرين والانكفـــاء على علوم الشريعة وحدها واستشهد بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال : " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية " .(الكيلاني ، ١٤٠٧هـــ ، ص١٩٦) . ووضح ذلك شيخ الإسلام بقوله : " إن من عرف الشر وذاقه ، ثم عرف الخـــير وذاقه ، فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمـــل ممن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما . بل من لم يعرف إلا الخـــير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر ، فإمّا أن يقع فيه ، وإمّا أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه . ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنمـــا تـــنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلـــية . وهو كما قال عمر ؛ فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف لم

يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضررة ما عند من علمه، ولا يكـــون عنده من الجهاد لأهله من عند الخبير بهم ، ولهذا يوجد الخبير بالشـــر وأســـبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره .

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم ، لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر ، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر والمعاصـــي ، ولهـــذا مـــن ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك .

وإن من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه ، والمحـــبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس . مثل من كان مشركا أو يهوديا أو نصرانيا وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر ، ثم شرح الله صدره للإسلام وعرفه محاسن الإسلام ،فإنه قد يكون أرغب فيه ، وأكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والإسلام ، بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا ، أو مقلد في مدح وذم هذا "(ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـــ ، ج١٠ ، ص٣٠٠- ص٣٠٢).

ثم يعـــرج (الكيلاني ، ١٤٠٧ هـــ) على دعوة ابن تيمية للانفتاح عـــلى خـــبرات الآخرين والتفاعل معها أن " لا يسمح للمسلمين بفتح الأبواب والنوافذ على مصاريعها لأي تيار غريب ، وإنما الواجب أن يجري ذلـــك مـــن خـــلال المختصين المسلمين الذين يتلقون الأفكار والعقائد والثقافات الوافدة من خارج ثم يدرسونها ويحللونها ويهضمونها ويسمحون لمـــا يـــتلاءم مع روح الإسلام منها " ص ١٩٨ . ويشارك (باقارش ، والآنســـي ، ١٤١٥هـــ) الكيلاني في ذلك بقولهما : ومع ذلك لا يدعو

إلى الانفتاح الكامل على الثقافات الأجنبية ، بل يطالب بوجود متخصصين يدرسون الأفكار والثقافات الوافدة ويحللونها ويسمحون بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية . ص٣٤٧ .

ومن ذلك نخلص إلى أن دعوة شيخ الإسلام للانفتاح على خبرات الآخرين ليست مطلقة وعامة بل هي دعوة منضبطة . حيث اشترط في الفرد المسلم أن يكون موقفه موقفا إيجابيا . بمعنى أنه يخضع ما ينبغي تقبله والتفاعل معه للدراسة والنقد والتحليل والتمحيص ، ثم يأخذ ما لا يتعارض مع تعاليم الدين وكان فيه مصلحة ومنفعة للإسلام والمسلمين ، ويرفض ما عدا ذلك .

٤- الاجتهاد

إن الاجتهاد صفة ملازمة لصاحب الانفتاح العقلي ، وتتطلب من صاحبها أن يكون متبحرا في العلوم ، ومتمكنا من أدلة الكتاب والسنة ومطلعاً على الأحوال والظروف ومتطلباتها ومقتضياتها ، وإن شيخ الإسلام كان يتمتع بجميع هذه الخصال والمحامد حيث لم يكن يجاريه فيها أحد ولا يدانيه .

يقول الزملكاني واصفاً شيخ الإسلام ابن تيمية : " اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ...) (الدمشقي ، ١٤١١هـ ،ص ١٠٩) . فكان رحمه الله مجتهداً بمعنى أنه كان يفاضل بين أقوال الفقهاء وأئمة الدين". (فروخ ، ١٤١١هـ ، ص ٥٢) .

وكان يدعو إلى الاجتهاد واستخدام المصالح المرسلة في البحث عن الحل للمشكلات الدينية والاجتماعية التي كان يواجهها المسلمون . وكان من أهم قضايا عصره التي كانت الأمة تواجهها مسألة التطليقات الثلاث

وكــان له دور مهم في حل هذه المشكلة الاجتماعية ، والذي حصل له بسببه البلاء العظيم ، ويذكر (آل منصور ، ١٤٠٥هـــ) رأي ابن تيمية في ذلــك وهو : عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أو ألفاظ متعددة ســواء كانــت في مجلس واحد أو مجالس ، في طهر واحد أو أطهار قبل الـــرجعة أو العقد ، وأن الطلاق الثلاث لا يعتبر إلا إذا طلقها واحدة في طهر لم يجامعها فيه ثم يراجعها إذا كانت في عدمّا أو يعقد عليها إذا كانت قـــد انتهــت منها ،ثم يطلقها الثانية في طهر لم يجامعها فيه مرة واحدة ثم يـــراجعها في عدمّا أو يعقد عليها إذا كانت قد انتهت عدمّا ، ثم يطلقها المـــرة الثالثة في طهر لم يجامعها فيه كذلك مرة واحدة ، وبذلك يكون قد طلقهـــا ثلاثا ، وهذا هو الطلاق الثلاث الذي دلت عليه النصوص . وهو الطلاق الذي تحرم به الزوجة حتى يتزوجها زوج غيره . وما عدا ذلك من ألفـــاظ الطلاق فلا يقع عليها منه إلا واحدة .(ج٢ ، ص٧٨٥) .وهكذا ذهب رحمه الله وهو إذ يقول ذلك يخالف الأئمة الأربعة وينفرد بهذا الرأي عـــنهم عن اجتهاد مبني على الدليل الصحيح ، والفهم السليم ، ويستدل عـــلى مذهبه بقوله : إن كل طلاق شرعه الله في القرآن ، في المدخول بها إنما هو الطلاق الرجعي ،لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعا ، ولم يشـــرع له أن يطلق المدخول بها طلاقا بائنا ولكن إذا طلقها قبل الدخول بانت منه ، فإذا انقضت عدمّا بانت منه . (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـــ ،ج٣٣ ص٩) . وأيضا كذلك مسألة الحلف بالطلاق إذا لم يقصد الحالف الطلاق بل قصد به اليمين ، ويكون يمينا ، لا يقع به الطلاق ، ويلزمه كفارة يمين، فالأئمـــة الأربعة قالوا :يلزمه الطلاق ، وهو خالفهم في وقوع الطلاق . (ابـــن تيمية ، ١٣٩٨هـــ ،ج٣٣ ، ص١٢٧) . واستند رحمه الله في ذلك عـــلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم فقال رحمه الله : إذا كان الصحابة

مثل ابن عمر وابن عباس وعائشة وأم سلمة وزينب ربيبة النبي ﷺ وغيرهم من الصحابة قالوا فيمن قال : إن فعلت كذا فكل مملوك لي حر ، قالوا يكفر عن يمينه ولا يلزمه العتق ، هذا مع أن العتق طاعة وقربه ، فالطلاق لا يلزمه بطريق الأولى ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما (الطلاق عن وطر ، والعتق ما ابتغى به وجه الله) (البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الطلاق في الإغلاق والكره ، ص ١٠٤٣) .

ثم قال رحمه الله بين ابن عباس أن الطلاق إنما يقع بمن غرضه أن يوقعه ، لا لمن يكره وقوعه ، كالحالف به والمكره عليه ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كل يمين وإن عظمت فكفارتها كفارة اليمين بالله ،وهذا يتناول جميع الأيمان ، من الحلف بالطلاق ، والعتاق ، والنذر ، وغير ذلك ، والقول بأن الحالف بالطلاق لا يلزمه الطلاق مذهب خلق كثير من السلف والخلف ، لكن فيهم من لا يلزمه الكفارة ، كداود وأصحابه ومنهم من يلزمه كفارة يمين كطاووس ، وغيره من السلف والخلف . (ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ ، ج ٣٣ ، ص ٦١) .

٥- التوسط والاعتدال :

لقد تميز شيخ الإسلام ابن تيمية بسعة الاطلاع وطول الباع ، وسعة المدارك العقلية ، والفقهيه والفهم الواسع لأحكام الإسلام وعقائده ، والمعرفة التامة بأدلة الخصوم على أنواعهم ، وقد تمكن من إعمال الفكر والنظر في مبحث النقد والجرح والتعديل بعين التوسط والاعتدال ، فكانت تلك الخاصية من سماته . وتتضح هذه الخاصية في حياته بصفة عامة وفي منهجه النقدي بصفة خاصة ، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

- تملكت ابن تيمية روح النقد والثورة على ما في عصره من عقائد مخالفة

لمـــا في مذهـــبه الســـلفي فانبرى لنقدها والرد عليها في كثير من الإفاضة والتحلـــيل ، ولقد ساعده على ذلك معرفته بما عند كل فرقة من الآراء ، وما يمكن أن يورد عليها من النقوض ، فتسنى لابن تيمية أن ينظر في هذه المذاهب كلها نظر الناقد الحصيف بعين التوسط والاعتدال ، وأن يستخدم ما كانت تعارض به كل فرقة أختها في إبطالها جميعا .

وكان رحمه الله يستخدم في مناقشته للفرق المختلفة أساليب منطقية في غاية الهدوء والاتزان كقوله :

" فـــإن مـــن نفى بعض ما وصف الله به نفسه كالغضب والرضا والمحبة والـــبغض ونحو ذلك ، وزعم أن ذلك يستلزم التجسيم والتشبيه قيل له فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين فقل فيما أثبته مثل قولك فيما نفيته وأثبته الله ورسوله لا فرق بينهما فإن قال أنا لا أثبت شيئا من الصفات قيل له فأنت تثبت لـــه الأسمـــاء الحسنى مثل حي وعليم وقدير ، والعبد يسمى بهذه الأسماء ولـــيس مـــا تثبت للرب من هذه الأسماء مماثلا لما تثبت للعبد ، فقل في صـــفاته نظير قولك في مسمى أسمائه فإن قال أنا لا أثبت أسماءه الحسنى بـــل أقـــول هـــي مجـــاز أو أسماء لبعض مبتدعاته كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة قيل له فلا بد أن نعتقد أنه حق قائم بنفسه وليس هو مماثلا لها ... " (ابن تيمية ، د.ت ، ج١ ، ص ١٧٥) .

إن شـــيخ الإســـلام في هذه المناقشة مع خصومه كان هادئا مسايرا لخصومه غير متشدد ولا معنفاً في حدود دائرة التوسط والاعتدال ، حيث تـــنزل معهم إلى أبعد الفروض ، وكل ذلك بقصد إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ومن ثم دعوتهم إلى الخير والرشاد ونهيهم عن الزيغ والضلال .

٦- سبر غور علوم المخالفين قبل الخوض في الرد عليهم ونقدهم.

لقـــد أشار الباحث في مبحث سابق أن من ضوابط الانفتاح العقلي في التربـــية الإسلامية سبر غور علوم المخالفين ، فصاحب الانفتاح العقلي

لابد وأن يكون مدركا لحقيقة علوم المخالفين محيطا بأصولها وأسسها التي بنيــت علــيها قد سبر غورها وعلم منشأها ، وذلك ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قام بدراسة واسعة لمذاهب المخالفين من الفلاســفة والمتكلمين وذلك ليتمكن من نقدها نقدا علميا نزيها بعيدا عن شوائب الطعن ، " فقد كان يعتقد كما اعتقد الغزالي قبله أن نقد المذهب قــبل الوقــوف على حقيقته خبط في ظلام " . (هراس ، ١٤٠٥ هــ ، ص ٣١) . ولم يكن يقصد من وراء تلك الدراسة الواسعة نحلة يتبعها أو عقــيدة يأخذ نفسه بها ، فقد تشبع من أول نشأته بمذهب الحنابلة ،وهو المذهــب الذي وضعه أحمد بن حنبل رحمه الله ،والمعروف بمذهب السلف وأكثر المذاهب اعتمادا على الكتاب والسنة كما أشرت إلى ذلك من قبل. ص ٣١ . إن ابــن تيمــية كــان يعتقد في قرارة نفسه أن سبب ضعف المســلمين وتفرقــتهم هــو ما وجد في الإسلام من بدع واستحدث من مذاهــب فرقــت جماعة المسلمين وجعلتهم شيعا ، فكان لابد له ، وهو يحــاول الإصــلاح والنهوض بالمسلمين أن يحارب هذه الفرق والمذاهب الــباطلة ، وأن يرجع بالناس إلى أصول دينهم الأولى من الكتاب والسنة ، ويدعوهــم إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وبين رحمه الله أن من لم يسبر غور مقالات المتفلسفة والمتكلمين خيف عليه من غائلــتها ، فقــال : " فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخــاف على من لم يدخل فيه ، ومن قد أنهاه نهايته ، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية ، ومن أنهاه فقد عرف الغاية ، فما يبقى يخاف من شيء آخر فــإذا أظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فيتوهم ما يلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظم[1] هؤلاء ، وقد قال بعض الناس : أكثر

---

[1] في الأصل (لمعظمة) .

ما يفسد الدنيا : نصف متكلم ، نصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحـــوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان " (ابن تيمية ، ١٣٩٨ هـــ ، ج٥ ، ص ١١٨) .

إن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من المتوسطين في معرفة علـــوم المخالفين ، هو موقف صاحب الانفتاح العقلي الواعي والمنضبط ، ولذلـــك ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ؛ لأن اعتماده يغرس في نفس صاحبه الـــتوهم ومن ثم التقليد الأعمى ، ثم الانبهار والافتتان . وفي المقابل دعوته إلى سبر علوم المخالفين وإدراكها ، ينبغي الأخذ بها ؛ لأنها تمكن صاحبها مـــن التعامل مع المخالفين من موقع العزة والاستعلاء ومن ثم يتمكن من حرية الانتقاء ، فنستطيع التقبل منهم والتفاعل معهم ونحن الأعلون بإيماننا وتوحيدنا بإذن الله تعالى .

الفصل الخامس

تصور مقترح للأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أولاً : طرق التدريس الملائمة .

ثانياً : المقررات الدراسية .

ثالثاً : النشاط المدرسي .

مدخل :

جاء الإسلام بمهمة تغييرية شملت كل جوانب الحياة ، والإنسان هو المقصود الأول للتغيير ، والمدخل الطبيعي لتغيير هذا الإنسان هو العقل ، حيث يتم من خلاله كل تحول ، ولأهمية العقل بالنسبة للإنسان كان اهتمام الإسلام به اهتماماً بالغاً فهو الذي يوجه النشاط والحركة الإنسانية، وهوالأداة التي بها يفهم ، ويتأمل ، ويفكر ، ويتعلم والعقل هو الأساس الذي يكلف المرء على أساسه بتكاليف الشريعة ،ومن ثم فهو طريقه إلى الله .

والحقيقة أن العالم الإسلامي منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي مقتلع النوافذ والأبواب في وجه الفكر الغربي منهجاً وثقافة وعلماً وحضارة ... وأصبحت الحصون الفكرية والثقافة الإسلامية تتهاوى واحد بعد الآخر ، والأجيال المسلمة تتعرض لعملية استلاب فكري ، ثقافي هائل ، انتهت بأن أصبحت معارفنا النظرية غربية ، حيث أخضعت جوانب كثيرة منها للتطوير والوسائل والطرائق الغربية في توصيل المعرفة وتقديمها وبناء فلسفتها ومعالجة قضاياها وموضوعاتها . وانهارت بذلك المقومات الأساسية العقلية والنفسية لدى الإنسان المسلم ؛ وبانهيار المقومات الأساسية التي بها توجد العقلية وتصاغ من منهج ومعرفة انهارت وانمحت الشخصية الإسلامية . (العلواني ، ١٤١٤هـ ، ص١٣) .

إن هذا الفعل قد أحدث هزة عنيفة وقوية ، كأنها الإعصار ، حيث نسف الكثير من المسلمات والثوابت لدى العقلية المسلمة مما يستدعي ويحتم إعادة صياغة العقلية الإسلامية اليوم صياغة جديدة وفق مناهج وأساليب إسلامية صحيحة عن طريق تعليمها وتنويرها لتعود إلى أصالتها.

وهذه المهمة أصيلة وحتمية وأساسية في عملية بناء الفرد المسلم الواعي ، وهي مهمة تتطلب فكراً تربوياً ينهض بعملية تعليم الفرد المسلم ، ويكون وفق الشروط التالية :

١- أن يكـــون نابعاً من الأصول الإسلامية القرآن الكريم والسنة النـــبوية ، ثم اتجاهات التراث الفكري بعد نقدها وغربلتها لأخذ المفيد منها .

٢- أن يكون هدفه كما هو هدف الإسلام تغيير الواقع إلى الإسلام ومن ثم فالفكر التربوي التعليمي الذي يعتمد على المجتمع الإسلامي يجب أن يغيّر الواقع الآسن الذي يعيشه المجتمع إلى واقع متحرك .

٣- أن يكون فكراً منفتحاً ممسكاً بالأصول ، منفتحاً على تجارب الأمـــم والشـــعوب يســـتخرج مـــنها المفيد، فيكون جامعاً بين الأصالة والمعاصرة .

٤- أن يتصـــدى للمشكلات الراهنة للأمة والتي تعوق حركتها في الاتجاه نحو الأفضل . (أبو العينين ، ١٩٩٨م ، ص١٦- ص١٧) .

وبهـــذا يكون الانفتاح المنضبط وفق الأصول الإسلامية من العوامل الـــتي تنهض بتعليم الفرد المسلم ، ولا غرابة من ذلك فهو من الاتجاهات العلمية ذات الأهمية البالغة ، إلا أنه لم يحظ في مجال التربية والتعليم بالقدر الكـــافي من الفهم والاستيعاب وذلك المجال الذي تعلق عليه آمال عراض من خلال الفرص المهيأة التي تتخذ لها منفذا قوياً إلى عقول المتعلمين ، في ظـــل وجـــود طـــرائق وأساليب التدريس الملائمة ، وما تحويه المقررات الدراسية ، وما تنطوي عليه الأنشطة المدرسية .

ولهـــذا فقـــد رأى الباحث أن يضع تصورا مقترحا للأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم ، وهذا ما سيكون بصدده في هذا الفصل إن شاء الله .

أولاً: أساليب وطرق التدريس الملائمة :

تعتـــبر الطريقة من أهم أدوات تحقيق الأهداف ، بل إن نجاح أي عملـــية تعليمـــية ، أو تربوية يعتمد على الطريقة التي يستخدمها المعلم ، ويتوقف نجاح الطريقة من عدمه على قدرة المعلم على تهيئة نفوس المتعلمين للدرس ليتعلموا ، ويصلوا إلى الأهداف المطلوبة ، حتى لقد قيل بأن "المعلم الـــناجح هـــو في الحقـــيقة طريقة تدريسية ناجحة " بمعنى أن الطريقة في التدريس هي أساس نجاح نقل المعلومات إلى الطلاب ،وبالتالي فهمهم لها.

ومهما كان المعلم متميزاً بغزارة علمه وكثرة معلوماته فإن المعلومات تبقى دون أثر واضح إذا لم يستطع إيصالها إلى أذهان التلاميذ .

وفـــيما يـــلي يحـــاول الباحث إيضاح مفهوم الطريقة ، وأهميتها ، وأنواعها ، ثم اقتراح للأساليب والطرائق التي تساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلالها .

أ – مفهوم الطريقة :

يختلف تعريف طرق التدريس باختلاف المداخل والرؤى التربوية ، فمـــنهم من حددها وحصرها في حجرة الدراسة والموضوع ، ومنهم من نظـــر إلـــيها بصـــورة أشمل وأعم . فأصحاب النوع الأول يرى أنها : " الوسيلة التي نتبعها لتفهيم التلاميذ أي درس من الدروس ، في أي مادة

من المواد أو هي الخطة التي نضعها لأنفسنا قبل أن ندخل حجرة الدراسة ، ونعمل على تنفيذها في تلك الحجرة بعد دخولها " . (الأبراشي ، د.ت ، ص٢٦٧) . وتعريف آخر يحصرها في " الأساليب التي يتبعها المدرس في توصيل المعلومات إلى أذهان التلاميذ " . (الجمبلاطي ، التوانسي ، ١٩٧١م ، ص٢٣) . وهؤلاء وبتعريفهم للطريقة على هذا النحو حصروا وظيفة المعلم في إلقاء المعلومات داخل الفصل ، وأغفلوا الأنشطة والمجالات الأخرى ، وبهذا جعلوا من الطالب مجرد متلق فقط .

وأصحاب النوع الثاني يعدها شاملة " للوسائل التعليمية التي بها تنفذ أهداف التعليم وغاياته " (غنيمة ، ١٩٥٣م ، ص١٧٧) .

وأصحاب هذا النوع نظروا إلى طريقة التدريس نظرة شاملة لمختلف جميع جوانب تعامل المعلم مع التلميذ والمحتوى لتحقيق النمو الشامل للتلاميذ ، وهذا ما نادت به التربية الحديثة التي ترى أن مهمة المعلم تقوم على التوجيه ،والتعريف بالاختيارات الممكنة والبدائل الصحيحة لمواجهة الموقف المشكل .(الشريف ، ١٤١١ هـ ، ص٣٢١).

وعلى هذا فإن لطريقة التدريس معنيين ، الأول : يدل على الكيفية التي يعرض بها المحتوى التربوي للمتعلمين ، والثاني : يعني الكيفية التي يتعامل بها المعلمون والمتعلمون مع المحتوى . (عبد الله ، ١٤٠٦هـ ، ص٩٨) . وقد ذهب إلى هذا من قال : " إن طريقة التدريس هي الوسيلة التي بها يستطيع المعلم أن ينظم أفكاره وأن يرسم طريقه للوصول إلى ما يريد تحقيقه مع تلاميذه " . (سالم ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٦٥).

وخلاصة القول إن تحديد الطريقة يختلف باختلاف المدخل التنظيري الذي تصدر عنه ، فهناك من نظر إليها بنظرة التربية التقليدية القائمة على النظرة الثنائية ، وهناك من نظر إليها بنظرة التربية الحديثة القائمة على

النظرة التكاملية لجوانب الإنسان روحاً ، وعقلاً ، وجسما ، فتعتمد على المشـــاركة والنشاط . أما طريقة التدريس في التربية الإسلامية فإن هدفها إيصـــال المتعـــلم إلى كماله الإنساني ، فالإنسان وليس المحتوى وحده هو محور العملية التربوية ، والمعلم يهتم بالمتعلم إلى جانب اهتمامه بالمحتوى ، وتمتاز التربية الإسلامية بعدم رفضها للتلقين في التدريس ، ولكنها تضبطه بضوابط تجعله مؤثراً وفعالاً ، وخاصة في المراحل العمرية الأولى للإنسان كمـــا أنها تولي المعلم اهتماماً بالغاً باعتباره قدوة لتلاميذه ، فالقدوة من طـــرق التعليم الفعالة التي لا يجوز إغفالها . وتقوم التربية الإسلامية على ضـــبط ســـلوك التلاميذ ولكن دون المساس بكرامة الإنسان ومشاعره . (عبد الله ، ١٤٠٦هـــ ، ص١٠٣) .

وطريقة التدريس في التربية الإسلامية تعتني بمبدأ التكامل بين كل من المعـــلم والمتعلم ، فهي لا تغفل دور المتعلم ، بل ترى أن له كبير الأثر في طلب العلم والمعرفة كما أنها تهدف إلى جذب انتباه المتعلم حتى يستوعب مـــا يعطـــى له ، كما أنها تهتم بجميع جوانب شخصية المتعلم في تكامل واضـــح فـــتعمل عـــلى إيصاله إلى مرحلة التفتح الذهني والنضج العقلي والوجـــداني والأخلاقـــي ، والاجـــتماعي ، (الشريف ، ١٤١١هـــ ، ص٣٢٣) . وعليه يرى البعض أن أهم خصائص الطريقة ما يلي :

١- أنهـــا هـــي وسيلة المدرس لإيصال المعرفة إلى تلاميذه ، وتغيير سلوكهم ، وفهم الأهداف التربوية .

٢ - أنهـــا تعني أكثر من مجرد أداة لتوصيل المعلومات والمعارف إلى أذهان التلاميذ ، فهي تعني إضافة إلى ذلك مساعدة المتعلم على اكتساب المهارات ، والعادات ، والاتجاهات ، والميول ، والقيم المرغوبة .

٣- إن نجاح طريقة التدريس تبعا لذلك يقاس بمقدار ونوعية التعلم الذي ينتج عند المتعلم .

٤- إن نشـــاط الـــتدريس هو نشاط موجه ، وهادف ، ومتعدد والجوانب ، يشمل المحادثة ، والتكلم ، والشرح ، والوصف ، والتصوير ، وضــــرب الأمثلة ، وإجراء التجارب ، والإملاء ، والكتابة ، والتوجيه ، والإرشاد ، والمقارنة ، والاستنباط ، والقياس ، والاستقراء ، وغير ذلك .

٥- إن طريقة التدريس هي عملية ، وذلك يقتضي أن تتكون من عـــدة خطوات ، وكثير من الخطوات والعناصر المستعملة في طريقة معينة للتدريس ، يمكن استعمالها في طرق أخرى ، والربط بين هذه العناصر في عملـــية فعالة هي المسؤولية الأساسية للمدرس . (الشيباني ، ١٩٨٦م ، ص ٤٠٣) .

وبهذا يتضح أن طريقة التدريس الفعالة هي تلك العملية التربوية التي يتم فيها التفاعل بين المعلم والمتعلم ، باختيار افضل السبل لنقل المحتوى ، وتوظيفه في تكوين شخصية المتعلم وقدرته على الإبداع ونحو ذلك .

ب – أهمية طريقة التدريس في العملية التربوية .

تكمن أهمية طريقة التدريس في أنها التي تبين كيفية استغلال محتوى المـــادة بشـــكل يمكـــن الطلاب من الوصول إلى الهدف المرسوم للمادة، وواجب المدرس أن ينتقل بالتلميذ من مستواه الذي وصل إليه محاولاً أن يصل به إلى الهدف المنشود . ولذلك يركز التربويون على طرائق التدريس وأساليبه التي يمكن أن تعوض فقر المادة العلميّة وسلبيات المقرر الدراسي ، ومن هنا فإن طريقة التدريس الناجحة من الشروط الأساسية لنجاح المعلم في أداء رســـالته .(الســـبحي ، وبنجر، ١٤١٧هـــ، ص٢٠ ،ص٢١) .

ويعدونها من أهم عناصر العملية التربوية عامة ، فهي جزء ضروري ومتمم للمنهج ، ومن الصعب أن نفصل بين المنهج والطريقة فلا جدوى من المنهج إذا كانت الطريقة فاشلة . (مرسي ، ١٩٨٨م ، ص ١٦٤) .

وطريقة التدريس الجيدة تسهم في نجاح العملية التعليمية من خلال إدراك المعلم وتقديره لمسئولياته ومهامه وواجباته ، ولذلك فإننا نشير إلى أهمية الربط بين كل من المادة العلمية وطريقة التدريس وحاجة التلميذ للتعلم، ومتى ما تم الارتباط السليم بينهما فإننا نستطيع أن نجتاز الموقف التعليمي بنجاح . ولذلك يؤكد رجال التربية والتعليم دائماً على أن الطريقة التدريسية مهمة جداً وعليها يتوقف نجاح المعلم في أدائه وعمله . (السبحي ، وبنجر، ١٤١٧هـ، ص ٢١) . وعلى وجوب العناية بها لعدة أسباب منها :

١ – أنه لا يمكن فصل الطريقة عن المادة.

٢ – يجب أن يوصل تناول المادة إلى الهدف.

٣ – أن اختيار الطريقة المثلى أمر علمي قائم على أصول معينة، لا يمكن مجانبتها . (الركابي ، ١٩٧٣م ، ص ٢٣) .

وتعد طرق التدريس على اختلاف أنواعها وصيغها ، هي الموصلات أو وسائل الاتصال الحقيقية الحاملة لوظيفة التعليم ، سواء كان محتوى هذه الوظيفة معرفة ، أم عاطفة ، أم حركة أم قيمة ، بل إن كل ما سواها مما يستخدم في التعليم ، أو التدريس من تحفيز ، وتنظيم ، وتوجيه، وضبط ، وتقسيم ، وخطط تحضيرية ما هو إلا رديف لها ، ومعين رغم أهميته . (حمدان ، ١٤٠٥هـ ، ص ١١٦) .

والطريقة الجيدة تحمي الجهود من الضياع وتحفظ الانتباه من التشتت وتمنع العقل من الشرود ، والطريقة الجيدة تشحذ الذكاء ، وتنشط الإرادة

وتوقظ الانتباه مما يسهل الوصول إلى النتائج بأقل الإمكانات والجهود . (الشريف ، ١٤١١هـ ، ص١٧٨) .

وهكذا يتضح أهمية الطريقة في إنجاح العملية التربوية ، وتحقيق أهدافها ، بحيث يستطيع المعلم أن يؤثر في المتعلمين ، ويعودهم على إعمال عقولهم والإعلاء من شأن فكرهم وبالتالي تتفتح عقولهم وتتسع مداركهم .

ولا شك أن طرق التدريس تختلف فاعليتها وأثرها في تنمية الانفتاح العقلي لدى المتعلمين ، وتتنوع في أشكالها وأساليبها ، وسيحاول الباحث بيان أنواعها وأثر كل منها في تنمية الانفتاح العقلي في شخصية المتعلمين .

ج- أنواع أساليب وطرق التدريس :

إن أساليب وطرق التدريس كثيرة ومتنوعة تبعاً لاختلاف وتنظيم الخبرات ونمط اكتسابها ومن أبرزها ما يلي :

١ – طريقة الإلقاء :

وهي تقوم على أساس عرض المعلم المعلومات والخبرات المتصلة بموضوع درسه عرضاً منظماً وبأسلوب شائق جذاب يشرح بوضوح تام الجوانب الغامضة من هذه المعلومات ويلخصها ويبين أهم العلاقات بين أجزائها مستخدماً وسائل تعليمية مناسبة . وتتمثل هذه الطريقة في خطوات هاربارت Herbart المعروفة ، وهي خمس خطوات كان يتبعها في مجال التدريس . (السبحي ،بنجر ،١٤١٧هـ ، ص٨٧) وهذه الخطوات هي :

أ – **التمهيد** : وفيه يثير اهتمامات التلاميذ بربط خبراتهم السابقة بموضوع الدرس الجديد .

ب – **العرض** : يعرض المعلم المعلومات والأفكار الجديدة للدرس بناءً على معلومات الدرس السابقة وفي العرض يحاول المعلم تبسيط الأفكار والعناصر وتوضيحها بشكل جيد .

ج – **الربط والمقارنة أو الموازنة** : وفيها يوازن المعلم بين المعلومات الجديدة والمعلومات القديمة ، ويقارن بينها .

د – **التعميم** : وتسمى هذه الخطوة الاستنباط ويتم فيها استخلاص التعاريف والقواعد العامة وإدراك أوجه الشبه أو الاختلاف .

هـ – **التطبيق** : ويتم فيها وقوف المعلم على مدى فهم التلاميذ للدرس وتثبيت المعلومات في أذهانهم . (السبحي ، بنجر ، ١٤١٧هـ ، ص ٨٧) .

ولطريقة الإلقاء عدة أساليب معروفة مثل :

أ – أسلوب المحاضرة .

ب – أسلوب الوصف والشرح .

ج – أسلوب القصة . (السبحي ،بنجر ، ١٤١٧هـ ، ص ٨٨) .

وهذا الأسلوب الأخير يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين ؛ لاشتماله على الفوائد التالية :

١– التشويق وجذب الانتباه ،وتركيز الذهن ، وإثارة المشاعر بما يشد السامع إلى مجريات القصة حتى يستجلي أحداثها، ويعرف نتائجها .

٢– تحفيز السامع أو القارئ إلى أخذ العبرة من أبطال القصة واختيار السبيل المناسب .

٣- دفـــع السامع أو القارئ إلى الاقتداء بأبطال القصة في الأمور الخيرة ، ونبذ ما سوى ذلك .

٤- إشباع حب الاطلاع لدى السامع ، أو القارئ لمعرفة مواقف وفواصل وتداخلات القصة حتى يصل إلى عقدة الحل .(الزنتاني ،١٩٨٤م، ص١٢٠) . إضافة إلى ذلك " فالقصة لها دور في التربية من حيث التأثير النفســي والعاطفي للأحداث والظواهر الإنسانية ، ومن حيث مناسبتها للتعبير عن التاريخ والأخبار الماضية ". (يالجن، ١٤١٦هـــ، ص ١٩٣) .

٢ – طريقة المناقشة الجماعية :

يقوم الطلبة في هذه الطريقة بدراسة موضوع الدرس بأنفسهم قبل حضور الحصة ، ثم يتناقشون فيما حصلوه من معلومات ، وما توصلوا إليه مـــن استنتاجات من المراجع المختلفة . (مطاوع ، واصف ،١٤٠٦هـــ، ص٣٠) . وهـــذه الطريقة تتمتع بميزات تعود على التلاميذ بفوائد كثيرة منها :

١- تعـــلم التلامـــيذ حب المشاركة والنقاش القائم على التحليل والتطبيق والفهم .

٢- تعـــلم التلامـــيذ حســـن الـــتفكير،وروح البحث والإبداع، والابتكار.

٣- تـــنمي في التلاميذ حب الجماعة والعمل الجماعي وتربي فيهم روح القيادة والإدارة .

٤- تنمي في التلاميذ حب العمل وتقديره كمسئولية يجب تحملها .

٥- خير وسيلة لتدريب التلاميذ على الحوار والمحادثة وإبداء الرأي بشجاعة دون خوف أو خجل .

٦- تشـــجع التلامـــيذ كـــي يتعلموا من بعضهم ويستفيدوا من أخطـــائهم ومشـــاركاهم بـــرحابة صدر وتسامح وإدراك للمسئولية . (السبحي، بنجر، ١٤١٧هـ، ص ٩٤) .

إن تحقـــيق هذه الفوائد في نفوس المتعلمين وتمثلها في شخصياهم لجديـــر بـــأن يكسبهم القدرة على التقبل والتعامل والتفاعل مع الآخرين ويخلـــق فيهم روح التسامح والشعور بالمسئولية التي تعد من الأسس التي يقـــوم علـــيها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية كما سبق الإشارة إلى ذلـــك في الفصل الثالث من هذه الدراسة وبالتالي فهذه الطريقة أو هذا الأســـلوب يعد من الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم .

٣ – طريقة الاستقراء والقياس :

طـــريقة الاستقراء : وهي التوصل إلى الأحكام العامة من الحقائق الجزئـــية ، وفـــيها يـــتعين على المعلم أن يتيح الفرصة لتلاميذه ليكتشفوا بأنفسهم هذه العلاقة وليعبروا عنها بأسلوهم ، وتتميز بتثبيت المعلومات في ذهـــن المتعـــلم لمدة طويلة ؛ لأنه توصل إلى القواعد بنفسه . (مطاوع ، واصف ، ١٤٠٦هـ ، ص٣١) . وينبغي إدراك أن هذه الطريقة تعد من العوامل التي تساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلم ؛ " لأنها تنمي قدرة التلميذ على التفكير والوعي والإدراك ودقة الملاحظة وإثارة النشاط الذهني والعقلي للوصول إلى المعرفة ". (السبحي ، بنجر ، ١٤١٧هـ ، ص٩٦).

طريقة القياس : وتسمى الطريقة الكلية لأنها تبدأ من الكل وتنتهي إلى الجزء ، وتتميز بالسهولة والسرعة وعدم تكليف التلميذ مشقة التفكير. (مطاوع ، واصف ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣١) .

والاستقراء والقياس طريقتان متكاملتان في التدريس :

ففـــي القـــياس يحاول المعلم تبسيط القاعدة ، ثم يستعرض الأمثلة والتطبـــيقات علـــيها ، وفي الاســـتقراء يحاول تقديم الأمثلة ، ومساعدة الطـــلاب في الوصـــول إلى التعمـــيمات والمبادئ ، فالقياس هو وسيلة لـــلمحافظة على الحقائق وتفسيرها ، بينما الاستقراء وهو وسيلة للكشف عـــن حقائق جديدة ، ومن هنا اهتم المربون باستخدام القياس والاستقراء معاً ، على أن تتم طريقة التدريس وفقاً لما يلي :

أ – يبدأ المعلم بتقديم أمثلة جزئية محسوسة .

ب – مناقشة الأمثلة ومقارنتها وموازنتها لاستنباط القاعدة .

ج – صياغة القاعدة النهائية .

د – يحاول الطلاب تقديم أمثلة جزئية في ضوء القاعدة التي وصلوا إليها . (هندي ، عليان ، ١٤١٦هـــ ، ص ١٨٩) .

٤ – طريقة حل المشكلات :

وتهـــدف هـــذه الطريقة إلى إكساب التلاميذ الأسلوب العلمي في الـــتفكير وتنمـــية مهـــاراتهم في الـــنواحي العلمية . (السبحي ،بنجر ، ١٤١٧هـــ ، ص٩٩) . وهي طريقة تثير التفكير عند التلاميذ وتعمل على تشـــويقه وإلهـــاب خياله ، كما تدربه على حل المشكلات التي هي خير تدريـــب لـــه لمواجهة ما يقابله من مشكلات أخرى في مستقبل حياته . (مطاوع ، واصف ، ١٤٠٦هـــ ، ص٣٤) .

ولطريقة حل المشكلات إيجابيات تعود على التلاميذ ، و من أبرزها :

أ – تدريـــب التلامـــيذ على بعض المهارات مثل : مهارة القراءة والنقد والفهم، وجمع المعلومات والبحث والتنقيب عنها .

ب – الاستعانة بالكتاب المدرسي إضافة لبعض المراجع .

ج – تنمية إحساس التلاميذ ببعض المشكلات التي تتطلب التفكير والمشاركة بصورة منطقية تعاونية .

د – تنمية إحساس التلاميذ بالواقع الحقيقي الذي يحيط بهم .

هـ – غرس حب العمل الجماعي لدى التلاميذ . (السبحي، بنجر ١٤١٧هـ، ص ١٠٠) .

٥ – طريقة المشروع :

المشروع في نظر (وليم كلبا تريك) هو سلسلة من النشاط الذي يقوم به فرد أو جماعة لتحقيق أغراض واضحة ومحددة في محيط اجتماعي برغبة وحماس . (الوكيل ، المفتي ، ١٩٨٠م ، ص٣٨٨) .

وهي طريقة عملية تقوم على اقتراح مشروع لحل مشكلة أو لخدمة غرض . (مطاوع ، واصف ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٦) .

والمشروع : هو نشاط تربوي يخطط له الطلاب مع معلمهم لتحقيق هدف منشود وفي المشروع يقوم الطلاب بنشاطات متنوعة يكتسبون من خلالها بعض الاتجاهات الإيجابية بالإضافة إلى الخبرات الغنية بالمهارات والمعلومات والحقائق. (هندي ، عليان ، ١٤١٦هـ ،ص١٨) .

وتتميز هذه الطريقة بأنها :

أ – تساعد على تأكيد الخبرة المباشرة، وإقرار مبدأ التعليم الذاتي وإيجابية التلميذ في الأداء ، وإكساب التلاميذ المهارات الفردية والجماعية وحب العمل وحسن التعامل مع الآخرين وتحمل المسئولية . (السبحي ، بنجر ، ١٤١٧هـ ، ص٩٩) .

ب – تثير اهتمام التلميذ ،كما أن نجاح المشروع يزيد من ثقة التلميذ بنفسه ويدفعه إلى المزيد من النجاح، وتساعد هذه الطريقة على تنمية روح الإبداع والابتكار والاعتماد على النفس، مما يساعد على

تكويـــن شخصـــية علمية واعية متفتحة، كما أنها تربط التدريس بالحياة ومشكلاتها. (مطاوع ، واصف ، ١٤٠٦هـــ ، ص ٣٦) .

ج – تكســـب المتعـــلمين من خلالها المعلومات النافعة والمهارات المفـــيدة ، وتكون لديهم الاتجاهات الصالحة، وتنمي قدرتهم على التفكير العلمي . (الوكيل، المفتي ، ١٩٨٠م ، ص ٣٨٩) .

وبعـــد اســـتعراض هـــذه الأنواع المتعددة من الطرق والأساليب التدريسية ومعرفة مدى مساعدتها في تحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلمين في التربية والتعليم ، **يمكن للباحث أن يقترح بعض الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال طرق التدريس ومن تلك الأساليب ما يلي :**

١- تشجيع التلاميذ على إبداء الرأي :

إن مدلول حرية الرأي يشمل عنصرين مهمين :

أولهمـــا : حـــرية الإنسان في طرق النظر العقلي وأساليبه ، دون فرض معطيات وأدوات من الآخرين من شأنها أن تؤدي إلى الخطأ ، أو أن يلزم بسلوك طرائق معينة من شأنها أن توصله إلى نتائج مبتغاة سلفاً .

وثانيهما : حرية الإنسان في إبداء الرأي الذي توصل إليه بالنظر والبحث وإشـــاعته بين الناس والمنافحة عنه والإقناع به .(النجار ، ١٤١٣هـــ ، ص ٤٣ – ص٤٤) .

ويمكـــن أن نُظهـــر هذين العنصرين بوضوح لدى المتعلم في حالة إفساح المجال أمامه من قبل المعلم ، من خلال تشجيعه على اختيار طريقته الخاصـــة في الـــنظر العقلي دون أن يلزم بأمور قد تعلم نتاجها مسبقا ، فيصبح هذا المتعلم مفكراً بعقل غيره لا بعقله .

وفي حالــة تمكيــنه من إبداء رأيه الذي توصل إليه مقابل إلزامه من معــلمه بالدفــاع عن رأيه ومناقشته مناقشة علمية موضوعية بعيدة عن الأحكام الجاهزة والنتائج المسبقة بشرط أن تكون المناقشة مقرونة بالدليل والــبرهان ، ومن ثم فإن عناية المعلم بتربية تلاميذه وتشجيعهم على إبداء الــرأي المقــرون بالدليل والبرهان ، والتخلص من التلقي المجرد مما سوى الوحــيين يخــدم في تنمية الانفتاح العقلي لديهم ، ذلك الانفتاح الواعي المنضــبط الذي يمكن صاحبه من أن يقف موقفاً إيجابياً تجاه ما يسمع أو يرى من مؤثرات خارجيــة .

فمن المعلوم أن من مشكلات الجيل المعاصر التبعية في الرأي والسير وراء الآخــرين تلــك الخاصــية التي تكون الأرضية المناسبة لتلقي التأثير الخــارجي عــلى الشخص أياً كان مصدر هذا التأثير ، وتحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلمين عن طريق تشجيعهم على إبداء آرائهم يشكل بإذن الله درعــاً واقــياً لهم من المؤثرات الأخرى ، ويربي في نفوسهم الموقف الإيجــابي تجاه ما يرد إليهم بدلاً من كونهم يتلقون ويتلقفون كل ما يرد إليهم حينها تتحطم الكثير من العوائق أمام هذه الشخصية .

إن حرية الرأي والتعبير عنه دعامة راسخة من دعائم الفكر الإسلامي ولعــل المــتأمل الجيد في تاريخ المسلمين أو التاريخ الإسلامي يتبين له أنه كلما ضيق الخناق على إبداء الرأي في زمان أو مكان أدى ذلك إلى ضيق في مســاحة المعطيات والسبل التي تتأسس عليها المعارف والأحكام فتنتج عن ذلك عقلية جزئية لا تثمر إلا الفرقة والشتات . (النجار ، ١٤١٣هـــ ص٥٢) .

وتشــجيع المتعــلم على إبداء الرأي يعكس نتائج مثمرة في ميدان التربية والتعليم منها :

أ - حصول المتعلم على الخبرة الإبداعية عن طريق التعامل الحر مع أفكـــاره والتعبير بصدق عن أحاسيسه عندما يجري ويستكشف ويتخيل بنفســـه . (الفنيش ، ١٩٩٢م ، ص ١٧١) .

يؤكد ذلك (عصر ، ١٩٩٩م) بقوله : " وتسهم الحرية النفسية كثيرا في الإســـراع بالابتكار وتجميله وخاصة عندما يتاح للأطفال حرية التعبير " ص٨٢ .

ب - خلـــق جـــو من التفاهم الحواري الذي تتقابل فيه الآراء ، وتظهر فيه الحجج والبراهين ، ويظهر الرأي الأكثر صوابا .

ج - تربـــية عقل المتعلم على الشمول والسعي للمعرفة من طرقها السليمة بعيدا عن التعصب والجمود والتضييق وكبت الآراء .

يقـــول (الـــنجار ، ١٤١٣هـــ) : " وحينما تتاح حرية الرأي في مســـتوى الإعـــلان والحجـــاج فإن العقل ينفتح على الرأي المخالف ، والمعطـــيات المضـــادة ، وتتم في نطاق الحوار المقابلة بين الآراء فيسقط الضعيف ، ويصح القوي ، وذلك أمر بين بالمشاهدة ، أما الكبت ، والمنع من التعبير ، والمحاورة فلا يثمر إلا الانغلاق على الرأي الواحد ، والتشبث به والتعصب له " ص ٦١ .

إن الانفـــتاح العقـــلي لا يكون ممكناً في وجود الكبح والقمع ، أو القواعـــد الصـــارمة ، أو الضبط الزائد عن حده ، أو الخوف أو القلق . (الفنيش ، ١٩٩٢م ، ص١٧١) .

٢- تشجيع التلاميذ على نقد الآراء :

المقصود بالنقد : " أن يسلك العقل في حركته المعرفية مسلكا يجمع فـــيه بـــين المتقابلات من الآراء ، ويقابل بين الاحتمالات المختلفة ، ثم

يمحصـــها ويختبرها على أساس ذلك التقابل " . (النجار ، ١٤١٣هـــ ، ص٣٨) .

ويقصد الباحث بذلك النقد البناء الذي يظهر مواطن القوة والضعف في العمـــل ، أو الفكرة التي هي معروضة للنقد والمناقشة ، والذي يوصل صـــاحبه إلى الصـــواب ، ويمكن صاحبه من تطوير ما لديه من فكرة أو مشـــروع ما ؛ لأن الناظر الواحد قد تخفى عليه بعض الزوايا ، أو يكون مـــتأثرا ببعض العوامل النفسية التي تدفعه للتعصب والتحيز دون أن يشعر مع الفكرة أو ضدها . (الأميري ، ١٤١٩هـــ ، ص ٢٤) .

وهذا مؤشر من مؤشرات الانفتاح العقلي الواعي والمنضبط بضوابط الإسلام ، ومما يزيد الأمر وضوحاً تأكيد بعض المربين من أن التفتح العقلي لـــدى المتعـــلم ينطلق من عدة مؤشرات تبدو واضحة في شخصية ذلك المتعلم ، ومن تلك المؤشرات :

أ - اتخـــاذ القـــرارات القائمة على التقويم ،وتقديم الأدلة وإعادة تقويمها .

ب - تحـــدي الأفكـــار والقـــرارات ، ومجابهتها نقداً ، وفحصاً ، وتفنيداً .

ج - مواجهـــة الآخـــرين لا خصاماً وإنما عقلاً وأدلة . (عصر ، ١٩٩٩م ، ص ١١٩) .

إن العملية التربوية تقوم على تبادل الآراء بين المعلم وتلاميذه داخل الحجرة الدراسية وخارجها حتى يربي فيهم روح النقد البناء ، مع القدرة على مواجهة مختلف المواقف التي قد تعرض للطالب ، وتحتاج منه إلى وعي تام ، وتفتح في العقل ، وقدرة على الإيجابية الأمر الذي يعني عدم وقوفه سلبياً تجاه ما يعتري مسيرته الدراسية .

إن عناية المعلم وتشجيعه لتلاميذه على النقد البناء يخلق منهم أفراداً متعـــلمين ناضجين واعين يقفون موقفا إيجابياً تجاه ما يجابهون في حياتهم العلمية وغير العلمية ، وهذا الأسلوب متمم لسابقه (التشجيع على إبداء الـــرأي) والـــذي ســبق وأن أشار الباحث إليه ، فالنقد البناء يسهم في إصـــلاح نواحـــي القصور ، واستبدالها بما هو أفضل ، وهذه هي نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ، وبالتالي فإن تشجيع المعلم لتلامـــيذه على النقد البناء لمختلف الآراء أمر ضروري لتوسيع مداركهم وأفكـــارهم ومـــن ثم تفتحهم العقلي ، وفي المقابل فإن التقليل من حجم أفكـــار التلمـــيذ النقدية لا يعني شيئا سوى الجمود العقلي ، والتعصب الأعمـــى ، وقلـــة الوعـــي التي ربما أصبحت ملاصقة لشخصية التلميذ المستقبلية .

إن مـــن الواجـــب علينا في ميدان التربية والتعليم أن نربيَ في أبنائنا القدرة على اتخاذ القرارات ، وتقويم الأفكار في جو من التفاهم بعيدا عن التجريح في تلك الأفكار المنقودة ، فالمقصود نقد الفكرة لا صاحبها .

إن القـــدرة عـــلى تحدي أفكار الآخرين تقع بالدرجة الأولى على الأســـلوب الأمثل الذي نسلكه مع المتعلمين ، دون استصغار آرائهم بأي حال من الأحوال " فإذا أردنا للصغار أن يكونوا ناقدين ، فلا بد من أن نشجع فيهم تحدي أفكارنا نحن الكبار ، وأساليبنا في التفكير بدلا من أن يقعـــوا في حبائلـــنا ؛ ممـــا يسفر عنه قدرة الطفل على فحص الأفكار ، وتدقيقها ، وعرضها على محك العقل وهذا مطلب ليس هيناً " (عصر ، ١٩٩٩م ، ص ١١٨) .

٣- تعويد التلاميذ على النظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله :

إن تعويد المتعلم على النظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله ، في تدرج

يتلائم مع نمو عقله وقدرته على التفكير والتأمل ، يعد من أجدر الطرق المنمية لطاقة العقل الكامنة ، ومن أقربها ثمرة ، وأجداها بناءً وإقناعاً دون مشقة ، وهو الأسلوب الذي سلكه الإسلام في بناء عقول أبنائه ، وبثه في كتابه الكريم في آيات تدعو إلى إعمال العقل ، والإعلاء من شأن الفكر لإيقاظ العقول من غفلتها ، واستنهاضها من خمولها وتحريرها من أغلال جمودها ومن تلك الآيات قول الحق سبحانه وتعالى :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة يونس . وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة السجدة . والآيات ففي ذلك كثيرة ، وقد سبق أن أشار الباحث إلى الكثير منها في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

إن تعويد المعلم للتلاميذ على تلاوة هذه الآيات والتأمل العقلي في معانيها باستمرار والعمل بمقتضاها يكسبهم تفتحا في العقل ونضجاً في التفكير ، وقوة في الإيمان ، ويؤكد ذلك (الحليبي ، ١٤١٩ هـ) بقوله : " الطفل إذا نشأ تالياً لهذه الآيات الكريمة ، ووجد من يعينه ، ويلفت نظره إلى واقعها في الحياة عن طريق النظرة المتأملة لصفحة الكون أو للسماء والأرض ، أو الليل والنهار ، أو للنبتة الصغيرة والشجرة السابقة ، أو للقطة الوادعة ، أو للنحلة العاملة ، فكم تؤثر هذه في النظرة في تفتح عقل الطفل ونضجه " ص ٢٨٦ .

إن انتهاج الإسلام لهذا الأسلوب في بناء عقول أبنائه ، وبثه في كتابه يستلزم من رجال التربية والتعليم تأكيد ذلك في ميدانهم ، وتشجيع

أبنائهم وتعويدهم عليه ؛ بل ويمكن للمعلم أن يتخذ من ذلك وسيلة للفت عقل المتعلم وتفتيح مداركه إلى مخلوقات الله في هذا الكون ليرى ما فيها من عناية ربانية ، وحكم سامية ومنافع متعددة ، فمن خلال الممارسة العملية بالنظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله ، تتكون أفكار المتعلم ، وتنمو طاقات عقله ، وتتفتح مداركه ، ويرسخ إيمانه .

٤- توجيه المتعلمين إلى مصادر المعرفة :

من الأساليب التربوية التي ينبغي على المعلم أن يسلكها تجاه تلاميذه خلال سيره في العملية التدريسية توجيههم لمصادر المعرفة التي تنمي فكرهم وتثري معلوماتهم ، وتساعدهم على فهم الواقع ، وتعمل على توسيع مداركهم ، وتفتح عقولهم . فكما لا ينبغي للمعلم التقيد بمحتوى الكتاب المقرر تقيدا مطلقا ، فكذلك الحال بالنسبة إلى الطالب الذي لا ينبغي أن تتوقف به المعلومة عند آخر حرف قرأه في الكتاب المدرسي .

إن دلالة المتعلم على الكتب والمراجع المفيدة ، ينمي فيه حب الاطلاع منذ صغره ويجعله شغوفا بالمطالعة الحرة خصوصا وقت فراغه ، وأوقات الإجازات الدراسية والحصص التي يتواجد فيها داخل المكتبة المدرسية .

ومن المعلوم أن القراءة هي غذاء للعقل يحتاجه المتعلم باستمرار ، مثل حاجته إلى الطعام ، ولربما أشد وإلا بقي هذا المتعلم محدود الفكر ضيق البصيرة ؛ فالقراءة نشاط عقلي يجمع بين نوعي التفكير الناقد ممثلا في حل الكلمات والعبارات والجمل ، والابتكاري ممثلا في التخيل والتوصل إلى نتائج والقيام بحل مشكلات . (عصر ، ١٩٩٩م ، ص٣٣٧) .

ولا يهمنا إثبات أهمية القراءة بقدر ما نريد الإشارة إليه في هذا المقام من أن القارئ الواعي يضيف إلى خبرته خبرات الآخرين ، فيعيش حياته

بشكل أعمق وأغنى وكذلك الذي يعي أفكار الآخرين يضيف أفكاراً إلى فكره . وعندما سئل عبقري الفيزياء الأشهر نيوتن عن سر إنجازاته وتفوقه أجاب : لقد وقفت على أكتاف العمالقة الذين جاءوا قبلي . (هازيلت ، د.ت ، ص٢٧١) . أي أنه قرأ ما كتبوا ، وفهمه واستفاد منه ، وأضاف إليه .

وطلابنا اليوم يحتاجون من يرشدهم إلى المراجع والكتب التي تقدم شرحا أوسع وأدق للموضوعات التي تتناولها الكتب المدرسية ، وغيرها ؛ ليشبعوا فهمهم المعرفي وخير من يقوم بهذه المهمة المعلمون ، لاسيما ونحن نعيش في عالم متغير وسريع الحركة .

إن تعويد أبنائنا على القراءة من خلال توجيههم للكتب المفيدة أمر يستحق المزيد من الرعاية والعناية لاسيما في عصرنا الحاضر ؛ إذ كثرت فيه الصوارف والشواغل للجيل المعاصر ، مما يجعل العناية بذلك في مرتبة متأخرة من اهتمامات الطالب . (الدويش ، ١٤١٩هـ ، ص٤٦-ص٤٧) .

وحين يلمسون عنايتنا بهم بما نقدمه لهم من توجيه وتعويد على القراءة من خلال دلالتهم على الكتب والمراجع المفيدة ، فإننا نساهم في دفع الهم العلمي لدى طلابنا مرحلة أعلى مما هي عليه في الواقع .

٥- تعويد المتعلم على التعقل وضبط النفس :

إن التعقل وضبط النفس خلق إسلامي نبيل ، ينبغي أن نعيه تمام الوعي معلمين ومتعلمين ، وأن نحاول دائما أن نربي أبناءنا الطلاب على ضبط الذات وعدم الاندفاع أو الاعتماد على الانطباعات السريعة الطائشة التي قد لا تقوم على الأحكام العقلية المتأنية ؛ لأن ذلك يؤدي – بطبيعته – إلى تكون جيل من المتعلمين محدود الذهن ، ليس لديه القدرة على

التمهل أو الإمعان في الفكر أو البعد في النظر ، فيكون فكره سطحيا وربما أورث ذلك في نفسه درجة عالية من التعصب والانقياد لرغبات الذات .. يقـــول (عصر ، ١٩٩٩م) : " ومما يساعد التلاميذ على ضبط الذات ، التمهل ، والتأني ، وانتظار الدور والتريث حتى يفرغ الآخرون ، ومن ثم يكتسبون القدرة على تحديد تتابع الأحداث الجارية حولهم ، أو أمامهم أو التي يفعلونها ، أو يفعلها الآخرون " . ص٢٢٩ .

فهنا أشار (عصر) إلى الأسلوب الأمثل الذي ينبغي على المعلم أن يســـلكه مع تلاميذه حتى ينمي فيهم طريقة التمهل وضبط النفس . ومن ثمرات ضبط النفس لدى المتعلمين :

أ – زيادة نموهم العقلي والمعرفي .

ب – ربط النتائج بالأسباب .

ج – عـــدم التســـرع في إصدار الأحكام . (عصر ، ١٩٩٩م ، ص ٢٢٩) .

والانفتاح العقلي في مجال التربية والتعليم لا تكاد تخرج ثماره عن ما ذكر أعلاه ، وما من شك أن إدراكنا لهذه الأمور ، وغرسها في نفوسهم يـــؤدي إلى تكويـــن اتجاهات علمية في شخصياتهم ، ومن بينها الانفتاح العقلي ، وبهذا يتبين أن هذا الأسلوب من العوامل المساعدة على الانفتاح في مجال التربية والتعليم .

٦- وإضـــافة إلى ما سبق فإن هناك العديد من الأساليب التربوية لابـــد من استثمارها لتحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلم في مجال التربية والتعليم ومن خلال طرق التدريس الملائمة ، سوف يتطرق إليها الباحث ويوضح كيفية الاستفادة من هذه الأساليب في بناء عقول الطلاب ، والحد

مـــن ضـــيق الأفق الذي قد يعتري البعض منهم ، ليس في داخل المدرسة فحسب ، وإنما في مسيرتهم الحياتية وهذه بعض من تلك الأساليب :

أ - أسلوب الحوار :

الحوار في أقرب تعريفاته الاصطلاحية هو : " حديث يجري بين شخصين أو أكثر ". (خلف الله ، ١٤١٩هـــ ، ص٥١) .

ونقصـــد بـــه هنا ذلك النقاش البناء الذي يسهم في بناء العملية التربوية مشتملا على الأخذ والعطاء ، وتبادل الآراء ، ووجهات النظر بين المعلم والتلاميذ .

فـــالحوار نافذة فكرية وشعورية بين الفرد وبين الآخرين ، والذي يســـتغني عـــن الحوار يعيش منغلقاً على ذاته ، لا يرى الأمور إلا من زاويته الشخصية ، فيكون أكثر تعرضاً للخطأ ، وإن زعم أنه أقرب إلى الصواب من سواه ، وأغلب الذين يرفضون الحوار إما بدافع الخوف منه لعجـــزهم عـــنه أو لضـــعف أدلتهم ، وإما بدافع الجمود والتعصب . (الأميري ، ١٤١٩هـــ ، ص٢٨) .

ولـــلحوار أهمية تربوية عظيمة ، وقيمة حضارية إنسانية ،حيث يـــؤدي إلى كشف الحقائق وخاصة إذا كانت غائبة ، إضافة إلى دوره البناء في تكوين شخصية المتعلمين ، وخلق روح التنافس بينهم ، وبث الروح الجماعية فيهم وتعويدهم على النظام والتعاون ، ويخلق في ذواتهم روح الابتكار . (خلف الله ، ١٤١٩هـــ ، ص٥١ – ص٥٢) .

ومن إيجابيات الحوار في العملية التعليمية والتربوية :

١- استثارة قدرات التلاميذ العقلية ، وجعلها في أفضل حالاتها .

٢- تقارب أفكار التلاميذ وآرائهم .

٣- تنمية معلومات التلاميذ وزيادة حصيلتهم العلمية .

٤- إبعـــاد التلامـــيذ عـــن روح التعصب للآراء والمقترحات .
(خلف الله ، ١٤١٩هــ ، ص٦٧) .

وقـــد زاد اهـــتمام المربين بأسلوب الحوار في عملية التدريب ، واعتـــبروه أسلوبا مفضلا ومجديا في التعليم ؛ لأن أسلوب الحفظ عن ظهـــر قلب لا يجدي وإنما يخلق أطفالا ضيقي الأفق عقيمي التفكير ، ومن أولئك المربين الزرنوجي ، يقول (الزرنوجي ،١٤٠٦هــ) : " إن قضـــاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار " . ص١٤٠ . ولكي تؤدي الطريقة الحوارية الغرض المرجو منها فلا بد من توافر عدة شروط منها :

١ – اختيار المعلم وقتا مناسبا لطرح الأسئلة .

٢ – اختيار الأسئلة الحوارية المناسبة لمستوى عقول الطلاب .

٣ – حرص المعلم على استمرارية التفاعل داخل الصف .

٤ – التأكد من مشاركة جميع التلاميذ في الحوار .

٥ – التحـــلي بـــروح البحـــث عن الحقيقة ، وتحري الصدق .
(خلف الله ، ١٤١٩هــ ، ص٥٥ – ص٥٦) .

وبهذا نجد أن للطريقة الحوارية دور كبير في تنمية الانفتاح العقلي لـــدى المتعـــلمين ، وذلـــك عن طريق توسيع قاعدة الفهم لديهم ، وتعويدهم على تقبل الآراء والأفكار والحقائق ، واحترام وجهات النظر والقدرة على النقاش وإبداء الرأي .

فالعقل الذي لا يفكر يموت والعضو الذي لا يتحرك يضمر ويفقد صـــلاحيته والمـــاء الـــراكد بيئة خصبة لنمو الطحالب والفطريات .. وبتقليب الأرض وحرثها تستنبت البذور .

ومــن المعلوم أن لكل مادة من المواد الدراسية طريقتها المناسبة ، والذي يهمنا بالدرجة الأولى هو استغلال الطريقة التي تمكن المتعلم من إعمــال عقلــه وفكره ثم تبعثه على العمل ، وتكوّن لديه فهما قويا ، ومهــارات واتجاهات عقلية بناءة ، ومن هنا فإنه لا مانع من استخدام أكثر من أسلوب في العملية التعليمية .

ولهــذا فإننا سنتطرق – أيضاً – إلى أساليب أخرى تضاف إلى الأسلوب الحواري الذي ناقشنا جانبا منه قبل قليل .

ب – أسلوب إثارة أذهان المتعلمين باستمرار :

ويحتاج المتعلم إلى أسلوب إثارة الذهن احتياجا تاما للتغلب على الركود الذهني الذي قد ينتابه نتيجة التعود على طريقة واحدة تخلق في نفسه روتيناً مملا يجعله لا يأبه بقيمة الأفكار أو المعلومات التي يسمعها ولو كانت على جانب كبير من الأهمية .

ولكــي تعالج الظاهرة فلابد للمعلم أن يعمل جاهداً على مخاطبة عقــل المتعلم وإثارة ذهنه ، ودعوته إلى المشاركة باستمرار ، والعمل على إيقاظ فكره ، وتبصيره بأهمية الموضوع الذي تتم مناقشته .

إن المتعــلمين الذين تعودوا على طريقة السماع العادي بعيدا عن إثــارة الذهن تجدهم يواجهون صعوبات بالغة في التمييز بين الأفكار . وقد تفوتهم فكرة مهمة لم تعرض عليهم بأسلوب يثير تفكيرهم من قبل الأمــر الذي أدى إلى غموضها وعدم وضوح أهميتها ، ولهذا فإنه " لا يكفي أبداً فهم الأفكار فهما عابراً لكسب المقدرة العلمية الصحيحة إذ لابــد من الوقوف عليها ، ومعرفة حدودها وإزالة الغموض تماماً عن جمــيع جوانــبها حــتى تتضح في الذهن تماماً "(يالجن ، ١٤١٦هـــ، ص ١٠٤) . ومــن العوامــل التي تساعد على إثارة الأذهان : تكرار

الكلام ، والقيام بحركات انفعالية ، ونظرا لأهمية هذا الأسلوب في مجال التربية والتعليم فقد قرر التربويون : " أنه إذا كان الأسلوب الذي تقوم به المعلومات يثير الأذهان والانفعالات يؤدي إلى ترسيخ المعلومات لأنه يهيئ الاستعدادت النفسية للانتباه ". (يالجن ،١٤١٦هـ ،ص٢٠٠).

ثانيا : المقررات الدراسية .

تعتبر المقررات الدراسية دعامة أساسية من دعامات المنهج ، غير أن الاقتصار عليها في تحديد مفهوم المنهج أمر غير مقبول لأمرين أساسيين :

الأول : أن المدرسة لا تقدم لطلابها المقررات الدراسية فقط ، وإنما تقدم أنشطة أخرى لا تقل أهمية عن تلك المقررات في تحقيق الأهداف التربوية ، كالنشاط غير الصفي ، والمكتبة المدرسية ، والامتحانات ، والإدارة المدرسية ، والتوجيه التربوي ، والإشراف الجماعي ...

الثاني : أن هذه الأنشطة التي تقدمها المدرسة تسهم مع المقررات الدراسية في تحقيق الأهداف التربوية . (الشافعي ، الكثيري ، علي ، ١٤١٧هـ ، ص٢٦ - ص٢٧) . وهذا لا يعني انتقاصاً من أهميتها فهي خلاصة أفكار خبراء التربية والتعليم ، وثمرة قيمة من ثمرات الخبرة البشرية وهي الأساس لكل تقدم ثقافي .

وفيما يلي يحاول الباحث إيضاح المقصود بالمقررات الدراسية ، ثم يشير إلى ما ينبغي مراعاته عند صياغة المقررات ؛حتى تؤدي وظيفتها في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم ، ثم اقتراح للأساليب التي تساعد على الانفتاح من خلال المقررات الدراسية .

أ - المقصود بالمقررات الدراسية هي : " المواد التي تدرس للتلميذ داخل الفصل في مجالات من المعرفة المختلفة ، يأخذها التلميذ ؛ ليصل بها

إلى مستوى مـا ، أو ليتخرج بها من المدرسة مثلاً ".(مجاور، الديب ، ١٤٠٤هـ ، ص١٠٨) .

ومنهم من عرفها بأنها : تلك الكتب التي يعدها خبراء التربية والتعليم للمواد الدراسية ، وتحت إشراف وزارات المعارف والتربية والتعليم وغيرها وتقوم بتوزيعها على الطلاب ليتم تدريسهم على ضوئها ، وكذلك الكتب التي تقرر على الطلاب من غير مطبوعات الوزارة . (ابن جبار ، ١٤١٩هـ ، ص ١٣٦) . وهي بهذا تعتبر جزءاً من المنهج حسب مفهومه الواسع ، والذي يشمل الكتب والمراجع والوسائل التعليمية ، والنشاط الصفي ، وأساليب التقويم وطرق التدريس ، ونحو ذلك . (سرحان ، ١٤٠٥هـ ، ص١٦-ص١٨) .

ولقد تقدمت التربية في بناء المقررات تقدما كبيراً ،حتى أصبح بناؤها فناً هندسيا رائعا ، يمارسه المتخصصون ، ويخضعونه للتجربة والمراجعة المستمرة وذلك للحاجة الملحة إلى التطوير دائماً بما يساير العصر، ومتطلباته .

وبهذا فإن المقررات تشمل جميع التخصصات لتفي بحاجة الإنسان سواءً منها الدينية الخالصة ، أم العلمية البحتة ، أم التطبيقية أم الوجدانية ، وفي التربية الإسلامية تشمل علوم الدين والدنيا ، وذلك لكونها مستمدة من المصادر التالية :

١- الوحي الإلهي المنزل على الرسول ﷺ المتمثل في القرآن والسنة.

٢- العلم البشري المكتسب عن طريق النظر ، والتأمل ، والتفكر ، والتدبر ، وتحكيم العقل فيما لا يخالف النقل .

٣- تراث الإنسانية المطور المنقح ، الخالي من التقليد الأعمى والجمود . وكلها تتعاون في مد الإنسان بالمعرفة في عالم الغيب ،

والشـــهادة ، والوجـــدان معرفة متصلة ، ومترابطة تلتقي على التصور الصـــحيح الشامل للإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة . (النجار ، ١٤١٠ هـــ ، ص١٧٢) .

ولا يخفـــى على أحد قدر قوة المصادر التي تستقى منها المقررات ، تكـــوّن قوة المقررات الدراسية أو ضعفها ، ولاشك أنه لا يوجد مصادر لأي معرفة أقوى من مصادر الشريعة الإسلامية ، فحينما تكتب المقررات الدراســـية على ضوئها فإنها عندئذ تخاطب العقل والوجدان وتسعى إلى إرضـــائهما ، فينتفع المتعلم بذلك ، ويعتدل سلوكه ، وتتهذب أخلاقه ، ويتفـــتح عقلـــه ، وتنبني شخصيته بناءً سليماً شامخاً أمام عواصف الحياة ومغرياتها .

وهكـــذا نجد أن المقررات الدراسية وجدت لتؤدي الغرض المطلوب مـــنها تجاه المتعلم ، وتسهم في غرس الاتجاهات العلمية البناءة في شخصية المتعلم ومن ضمنها ذلك الاتجاه الجدير بالأهمية وهو الانفتاح العقلي .

ب – أمور ينبغي مراعاتها عند صياغة المقررات الدراسية :ولكي يؤدي المقرر الدراسي وظيفته في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم ، فإنه لابـــد مـــن مـــراعاة عدة أمور عند صياغة هذا المقرر وأخذ ذلك بعين الاعتبار :

١- أن تكـــون محققة للأهداف المنشودة ، التي تعين الفرد المسلم عـــلى عبوديته لربه ، والقيام بوظيفته في الحياة ، وتعين المجتمع على أداء مهمته في نشر الخير وبناء حضارة إنسانية ،كما حدث للرعيل الأول .

٢- أن تكـــون المقررات وثيقة الصلة بحياة التلاميذ ، ومستوياتهم الفكـــرية ومطالب نموهم ، وذلك لأن المدرسة مجتمع مصغر ، فينبغي أن

تخدم المجتمع الكبير فيخرج المتعلم إلى المجتمع وهو يجيد الاحتكاك والتفاعل معه ، مع مراعاة السن والفروق الفردية .

٣- أن تفـي المقـررات بحاجة المجتمع ، ومتطلباته ، فالمجتمع هو المدرسـة الكبرى ويحتاج من المدرسة الصغرى أن تعد له أفرادا صالحين ، يتفاعلون معه ، ويخدمونه ، ويطورونه ،ويسعون إلى رقيه ،ورفع مستواه . (ابن جبار ، ١٤١٩هـ ، ص١٣٩) .

٤- أن تـؤدي إلى اكتساب العادات الصالحة التي تساعد الطلبة عـلى التكيف الإيجابي مع المجتمع وتؤهلهم لتحمل المسئولية ، والاعتماد عـلى الـنفس والتضحية في سبيل تحقيق الخير العام والاهتمام بمشكلات المجتمع والعمل على دراستها والمساهمة في حلها .

٥- أن تـؤدي المقررات إلى تكوين الاتجاهات العقلية المرغوبة مثل القدرة على ربط الأسباب بالنتائج ، والملاحظة الموضوعية ، وعدم التحيز في الحكم ، والاهتمام بالقيم الاجتماعية التي تتمشى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة . (جان ، ١٤١٦ هـ ، ص ١١٨) .

٦- الشـمول ؛ إذ يشترط في المقررات الدراسية أن تشتمل على العقـائد والسلوك والعبادات ، وكل ما ينفع الطالب في دنياه وأخراه ، إضافة إلى مستويات المعرفة الأخرى ومنها :

أ- الحقـائق : ويقصد بها حقائق معينة وصفية ، مثل معرفة الجهاز الهضمي .

ب - مستوى الأفكار : وهي التي تبرز العلاقات السلبية بين الثقافة الإنسـانية والبيئة الطبيعية ، وهي تمثل بنية العملية التعليمية من حيث أنها تمكن التلميذ من تنظيم العلاقات بين الحقائق ، وتوفر السياق الذي يتحقق فيه الاستبصار والفهم ، وهو نوع من المعرفة يتسم بالحركة الفاعلة .

ج- مســتوى المفاهيم : وهي انساق معقدة من الأفكار ، وبالغة التجريد ،ويمكن أن تتكون من خلالها خبرات متتابعة في سياقات متنوعة .

د- الأنســاق : ويقــع في هذا المستوى النظم الفكرية والطرائق البحثــية الــتي تتألف من قضايا ومفاهيم توجه مسار البحث والتفكير . (هندام ، جابر ، ١٩٧٨م ، ص١٠٢) .

٧- أن تخــدم المقررات الدراسية البيئة وحاجاتها ، وتتضمن البيئة بمفهومها الواسع ما يلي :

أ – المجتمع : ويتضمن البشر في إطار ما يربطهم من علاقات دينية، واجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وأخلاقية ، وغيرها .

ب – الــثقافة : وهــي الجانب الذي صنعه الإنسان من بيئة سواء أكان معنويا أو ماديا .

ج- المصــادر الطبيعية : وتمثل جميع الظروف الطبيعية في البيئة من أرض ، وبحار ، وماء ، شمس ، وهواء ، وحيوانات ، ونباتات ، وثروات طبيعية . (رحان ، ١٤٠٥هــ، ص٥٣-ص٥٤) ،فإذا اشتملت المقررات الدراسية على البيئة بمفهومها الواسع وكذلك المستويات المادية إضافة إلى العقائد والسلوك والعبادات كانت مجدية ومؤثرة ، وأدت رسالتها بنجاح ، وبهــذا تكون مقررات ناجحة محققة للأهداف المرسومة . معينة للمتعلم على الكيفية السليمة لاستغلال الثروات الطبيعية ، وبناء حضارات إنسانية من جانب ، ومعرفة بناء العلاقات مع الآخرين من جانب آخر .

وعلــيه يمكن للباحث أن يقترح بعض الأساليب المساعدة على الانفتاح العقلي من خلال المقررات الدراسية على النحو التالي :

١- إبراز الآراء المختلفة في بعض القضايا :

إن ما يراه المتعلم في حياته وأمام عينيه لا يكاد يتفق في بعض أحواله

وإذا ما رأى التلميذ الخلاف جاداً والصراع محتدماً بين الأفكار تجاه قضايا معينة بين مؤيد ومعارض ؛ فإن ذلك يؤدي إلى إحدى نتيجتين :

أولاهمـــا : إصابة هذا المتعلم بالإحباط ، وعدم الثقة في الواقع الذي أمامه ، ومن ثم اللجوء إلى العزلة ورفض الدخول في الأمور الخلافية .

ثانيهما : محاولة الدخول في ثنايا تلك المسائل الخلافية ، والرغبة في الإسهام بوجهة النظر التي يراها .

أما النتيجة الأولى فهي مرفوضة نظرا لآثارها السلبية على شخصية المتعـــلم ، وأما النتيجة الأخرى فهي مطلب ضروري ، يتعود المتعلم من خلاله على الدخول في شتى مناحي الحوار والنقاش وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر وبالتالي الإسهام في تكوين العقلية الناضجة الواعية والمتفتحة، التي تستطيع التعامل مع الحقائق والأفكار وفق أسس وضوابط محددة .

ونظـــراً لأهمية إبراز الآراء المختلفة داخل محتوى المقررات الدراسية فقـــد نـــادى بعض المربين بضرورة وجودها ، ومن ضمنهم (الرغبان ، ١٤١٩هـــــ) الـــذي يرى أهمية الحرص على تربية الطلاب على أدب الخلاف ، واتساع الصدر في تقبل الرأي والرأي الآخر . ص ٥٩ .

ويقول (بكار، ١٤٢٠هـــ) : " يحتاج الطالب إلى دراسة مقرر ، يتـــناول شيئا من تاريخ التشريع وأسباب اختلاف الفقهاء ، ويتم التركيز فـــيه عـــلى الأسس الثقافية التي تمكن من إقامة علاقات الحوار والتعاون والـــتعايش وذلـــك مـــن خلال كسر حدة العصبية المذهبية والحزبية ، واكتشاف آفاق جديدة للتعاذر والفهم الجيد لوجهات النظر المختلفة " . ص٢٦٥.

وقبل الانتهاء من مناقشة هذا الأسلوب ، يود الباحث أن يشير إلى أن المسائل الخلافية التي تثار داخل المقررات الدراسية مثل الفقه مثلا ينبغي

أن تكــون ملائمة لمستوى فهم الطالب وقدراته العقلية ، وتختار المرحلة المناســبة لإثــارة أي قضية أو مسألة خلافية ، ولهذا فإنه لابد من مراعاة الدقــة التامة عند طرق باب المسائل الخلافية ، والبعد تماماً عن أي مسألة قــد تورث التعصب في نفس الطالب ، فالهدف من مناقشة بعض المسائل الخلافية هو تبصير الطالب بثراء مصادر الشريعة الإسلامية واستيعابها لكل قديم ومعاصر وما سوف يستجد بإذن الله .

٢- اشتمال المقررات الدراسية في محتواها على بعض المبادئ مثل :

الاجتهاد :

حيث يعد الاجتهاد مظهرا من مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

ولذلك ينبغي إدراجه ضمن المقررات الدراسية لتنمية الانفتاح العقلي في شخصية المتعلم ، فهو بدوره يدفع المتعلمين من مجرد التقليد والتبعية إلى التفكير الاجتهادي القائم على أسس سليمة من أجل مواجهة قضايا العصر بروح الإنسان المسلم المعاصر .

إن رسم مناهج الاجتهاد بدقة من خلال التعرف الدقيق على مقاصد الشريعة الغراء ، لتحريك الحياة والحضارة ومعالجة أمراضهما ومشاكلهما يعــد من الوسائل المهمة في بناء العقلية المسلمة الواعية والمتفتحة ، وعلى ضــوئها ينتج علماً عملياً ننقل به العالم الإسلامي إلى ميدان الخبرة التقنية والإبداع العلمي . (عبد الحميد ، ١٤١٦هـــ ، ص ١٨٤) .

الواقعية :

المقصــود بها : " معرفة حقيقة ومقدرة الإنسان ومراعاتها عند تكليفه أو محاسبته " . (خياط ، ١٤١٦هـــ ، ص ٧٠) .

إن معـــرفة المتعلم بالواقعية ضرورة ملزمة ، لذلك ينبغي للمقررات الدراســية أن تتضــمنها حــتى لا تذهب بعقل المتعلم في غياهب المثالية والتجريد التي لا يمكن أن تفيده ، ولا تربطه بالواقع المعاصر ، بل إنها قد تأتي مخالفة تماماً لما هو موجود ، فتسهم سلباً في تكوين شخصية محدودة الفكـــر ، ضـــيقة الأفق ، غير قادرة على مجابهة الواقع الذي يعايشه هذا المتعلم .

إن البعض من المعلمين أو المتعلمين قد يرتفع مستوى الحماسة لديه ، ويرى أنه قادر على تحقيق ما يريد فيرسم لنفسه أهدافاً طموحة ، ونظرة مثالية يصعب الوصول إليها . ومعرفته بحقيقته ومقدرته (الواقعية) يمنعه مـــن ذلـــك وتعرفه بأن وضعه لأهداف تفوق قدراته أي أعلى من الوقع الـــذي يعيشـــه سيشعره بالفشل وضعف النتاج وطول الطريق ، وحينها يـــدرك أهمـــية الواقعية في الأهداف والطموحات ، ويرسم لنفسه أهدافاً تتسق مع الواقع ويمكن ترجمتها إلى واقع عملي . (الدويش ، ١٤١٩هـــ، ص ١٠٦) .

شمولية النظر :

وهـــي صـــفة التوجه في النظر المعرفي إلى جميع مادة المعرفة ، واستجماع المعطيات للقضايا المعينة التي يقصد العقل إلى كشف الحق فيها . (النجار ، ١٤١٣هـــ ، ص ٤٩) . فالنظرة الشمولية تكون نظرة ثاقبة تأخذ بعقـــل المتعلم إلى التفكير الشامل بدلاً من التفكير الجزئي الذي يتمحور حـــول قضية معينة ويهمل بقية الجوانب الأساسية ، وهي نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

الموضوعية :

ويقصد بها : التجرد من الأهواء الشخصية والبعد عن العوامل الذاتية ؛

فـــإذا كـــان العقل محجوبا بعوامل الهوى المختلفة فإنه يتوجه الوجهة التي ترتضيها الأهواء الذاتية ، ويجعله يقرر الأحكام بحسب ما تطلبه الأهواء . (الـــنجار ، ١٤١٣هـــــ ، ص ٦٢) . وهذا كله ذو مردود سلبي على عقـــل المتعـــلم . فيكون دائم التعصب لأفكاره ، مقيدا بأهوائه الذاتية . وبالتالي فإن إدخال (الموضوعية) ضمن المقررات الدراسية وتأكيدها في نفـــوس المتعلمين يحميهم من ذلك كله ، ويجعل منهم أفراداً قادرين على التعامل مع الآخرين بعيداً عن التعصب والأهواء الشخصية .

٣- صـــياغة المقررات على نحوٍ يرفع من درجة حساسية المتعلمين نحو الحلال والحرام ويبصرهم بالإنجازات الحضارية الإسلامية والتحديات التي تواجه أمة الإسلام في العصر الحديث ، والإمكانات المتوفرة لها نظراً لأن بنيتنا الثقافية الإسلامية مهددة اليوم بالوافدات الأجنبية ، مما يستلزم تركـــيزا جيدا على العلوم الشرعية والإنسانية . (بكار ،١٤٢٠هـــ ، ص ٤٤٣) . وبهذا يكون أبناؤنا من أصحاب البصيرة الإيمانية التي تقيهم الزيغ عن الحق والبصيرة العلمية التي تستند على العلم والفهم المتمكن في المجـــال الـــذي سيتفاعل معه ، ومن ذلك يتحقق الانفتاح العقلي في شخصية أبنائنا المتعلمين .

٤- صـــياغة مقـــررات معاصرة في طبيعة تصميمها ، وفي نوعية الموضوعات التي تتناولها .

فـــنظراً للـــتغير السريع في كل شيء ، ووجود العديد من المجالات والمســـائل الـــتي تتطلـــب معارف جديدة ، ولاسيما في المجال الأخلاقي والإنساني ،وحاجة أبنائنا المتعلمين إلى تعلم كيفية اتخاذ القرارات الراشدة والمـــتعلقة بهم وكيفية التعامل مع المتغيرات ، فإن الحاجة ماسة إلى صياغة مقـــررات معاصرة ، إضافة إلى ذلك " إن زماننا هذا يتطلب جيلا يعرف

خصوصيته الحضارية ، ويتمتع بدرجة جيدة من العقلانية والمرونة إلى جانب النظرة البعيدة المدى والاستعداد للعمل ضمن فريق ، وهذا هو المحك الحقيقي لفعالية أداء المناهج لوظيفتها التثقيفية والتربوية " (بكار ، ١٤٢٠هـ ، ص ٤٤٤) .كما لا ننسى في مقام حديثنا عن صياغة مقررات معاصرة أن نشير إلى أن لكل مقرر أهدافا توضع منذ بداية تأليفه ولهذا ينبغي تقويم مدى تحقيق المقرر للأهداف المرجوة منه بين حين وآخر فإن تحققت كل الأهداف أو بعضها كان ذلك بمثابة الدافع القوي لاستمرار مفردات ذلك المقرر مع متابعتها بانتظام ، وإن حصل العكس من ذلك فلابد من إعادة النظر في أسباب عدم تحقق الأهداف ، وبالتالي إعادة بناء وصياغة تلك المقررات من جديد .

ثالثاً : النشاط المدرسي :

يعتبر النشاط المدرسي من أهم الوسائل التربوية التي تسهم في تربية الأبناء في جميع مراحل التعليم تربية متوازنة متكاملة روحاً ، وجسماً، وعقلاً، لتنشئة الأجيال الصاعدة أقوياء أصحاء سعداء ، مزودين بأسس اللياقة البدنية والنفسية والصحية والعقلية والاجتماعية ، ليكونوا لبنات قوية في تحقيق تقدم ونهضة المجتمع . وكان بداية دخول هذا النشاط المدرسي بالولايات المتحدة على يد البرفوسور فرتويل ، ومنها إلى مختلف دول العالم ، وذلك بهدف محاربة الملل الذي يصيب التلاميذ من جراء الدراسة النظرية ، وكان يطلق على هذا النوع من النشاط المدرسي (نشاط خارج المنهج) وكان هذا النشاط يغلب عليه الطابع الحركي ، ثم اتسع مجال النشاط بعد ذلك ، وأصبح يضم مناشط مختلفة ، حتى صار ذا أهداف ثقافية واجتماعية ونفسية وروحية ، وعندما تغير مفهوم المنهج من

المقررات الدراسية إلى الحياة المدرسية بجميع مكوناتها ، لم يعد هناك مكان للتحدث عن نشاط خارج المنهج فقط ، بل أصبح النشاط ركيزة رئيسية من ركائز المنهج ، مصاحباً له وفي خدمته ، ويعتبر النشاط حالياً الدعامة الأساسية في التربية والتعليم ، وذلك يقتضي منا الاهتمام والاعتناء به . (عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص١٩- ص٢٠) .

وفيما يلي يحاول الباحث إيضاح مفهوم النشاط المدرسي ، وأهميته، وأهدافه وما ينبغي مراعاته عند تنفيذه ، ثم دوره في تحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلم .

أ – مفهوم النشاط المدرسي :

عرفه القاموس التربوي على : " أنه يعتبر وسيلة وحافزاً لإثراء المنهج ، وإضفاء الحيوية عليه ، وذلك عن طريق تعامل التلاميذ مع البيئة وإدراكهم لمكوناتها المختلفة من طبيعية إلى مصادر إنسانية ومادية ، بهدف اكتسابهم الخبرات الأولية التي تؤدي إلى تنمية معارفهم واتجاهاتهم وقيمهم بطريقة مباشرة ". (Good , 1973) نقلاً عن (عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص٢٠) . ويعرفه (اللقاني، ١٤١٥هـ) بأنه : " ذلك الجهد العقلي أو البدني الذي يبذله المتعلم من أجل بلوغ هدف ما ". ص١٨٥. ويعلق على ذلك (هندي ، عليان ، ١٤١٦هـ) بقولهما : " ويشير هذا التعريف إلى أن النشاط له مضمون وله خطة يسير عليها وله هدف يسعى إلى تحقيقه، وهو بحاجة إلى تقويم لمعرفة مدى نجاحه في تحقيق الهدف المراد بلوغه وهذا يؤكد طبيعة العلاقة القائمة على التفاعل بينه وبين عناصر المنهج الأخرى وهي الأهداف والمحتوى والتقويم ". ص ١١١ .

وجاء تعريف النشاط المدرسي في دليل النشاط المدرسي الذي أعدته الإدارة العامة للنشاط المدرسي بوزارة المعارف عام ١٤٠٦هـ بأنه

" ذلــك الــبرنامج الذي تنظمه المدرسة متكاملاً مع البرنامج التعليمي ، والذي يقبل عليه الطلاب برغبتهم بحيث يحقق أهدافاً تربوية معينة ، سواء ارتبطـــت هذه الأهداف بتعليم المواد الدراسية ، في داخل الفصل أو بعد انـــتهاء الدراســـة على أن يؤدي ذلك إلى نمو في خبرة الطالب ، وتنمية هواياته وقدراته في الاتجاهات التربوية والاجتماعية المرغوبة . (الشريف ، ١٤٢٠هـــ ، ص٩) .

ب – أهمية النشاط المدرسي :

النشـــاط المدرســـي يعد مكملا للبرنامج الدراسي ، بل هو جزء أساســـي منه ويسهم النشاط بدرجة كبيرة في إثراء المنهج ، حيث يضفي حيوية على موضوعاته ، ويسهم في تحقيق أهداف يعجز البرنامج الدراسي بمفرده عن تحقيقها . (عطيفة ، ١٤١٥هـــ ، ص ١٤٥) ، ويرجع ذلك لخصائص النشاط المدرسي التي لا تتوافر بنفس القدر لتعلم المواد الدراسية وذلــك لأن الطالــب عنصر فعال في اختيار نوع النشاط المدرسي الذي يشترك فيه ، وفي وضع خطة العمل وتنفيذها . مما يجعل إقباله عليه متميزاً عـــن إقباله على المواد الدراسية . الأمر الذي يؤدي إلى تعلم أكثر اقتصاداً ودومـــاً ، هذا بالإضافة إلى أنه يهيئ فرص تعلم المبادرة وتوجيه الذات . (ريان ، ١٩٩٥م ،ص٧٥) .

عموماً يمكن حصر أهمية النشاط فيما يحققه من فوائد على النحو التالي :

١- يسهم كثيراً في تثبيت المفاهيم وإدراكها أثناء عملية التعلم .

٢- يتعلم التلاميذ عن طريقه تحمل المسئولية ، والعمل التعاوني بين أفـــراد الجماعة ، كما يتدربون عملياً على التحلي بروح الإيثار ، وإنكار الـــذات ، وما شابه ذلك من عادات سلوكية إيجابية تساعد التلميذ على تحقيق الانفتاح العقلي والاعتماد على النفس .

٣- يحقق النشاط الاستقلال والثقة بالنفس .

٤- يتعلم التلاميذ من خلال النشاط كثيراً من الصفات الاجتماعية المفـيدة مـثل : اكتساب القدرة على النقد البناء ، القدرة على مشاركة الجماعة في تحقيق أهدافها بنجاح ، القدرة على التعامل الإيجابي المتبادل مع أفراد الجماعة بروح طيبة .

٥- يحقق النشاط الحرية والاعتماد على النفس ، فمن خلال سيادة روح الاعـتماد عـلى النفس ، وتقسيم العمل بين أفراد الجماعة ، يتعلم التلامـيذ كـيف يناقشون بحرية ، كما يتدربون على التصرف والسلوك السوي للوصول إلى الأهداف المنشودة .

وهـناك فوائد كثيرة يشعر بها كل من المعلم أو المتعلم أثناء ممارسة النشاط ، وخاصة الجوانب النفسية والروحية والإيجابية التي تتكون وتنمو وتـتزايد مع تزايد الانغماس في النشاط ومتابعة السير فيه ، والنشاط بهذا يستطيع أن يسهم في تنمية التلميذ بدنياً وروحياً وفكرياً .

وهناك أمور ينبغي مراعاتها عند تنفيذ النشاط المدرسي :

١- محاولة إثارة شوق التلاميذ واهتمامهم بالنشاط .

٢- إعداد الأماكن والأدوات والأجهزة اللازمة المناسبة ، وتوفيرها قدر الإمكان حسب الظروف المتاحة .

٣- محاولة توجيه التلاميذ للنشاط وليس دفعهم إليه .(عبد الوهاب ١٤٠٧هـ ، ص٢٣) .

٤- البعد عن الجانب النمطي الشكلي الذي درجت عليه كثير من المـدارس ، حيث رسخ في عقول الكثيرين أن النشاط مجرد عمل روتيني تخصـص لـه حصـة معينة في الجدول الدراسي ، ويجتمع فيه المعلم مع الطلاب ، ويكتبون محضراً باجتماعهم وهم في حقيقة الأمر ممن يفهمون

هدف النشاط ومغزاه التربوي .. يقول (عطيفة ، ١٤١٥هـ) : " إننا نستطيع أن نقرر بكل ثقة أن برامج الأنشطة غائب في مدارسنا في مجتمعاتنا الإسلامية ، أو هو -على أحسن تقدير- محدود الفاعلية ، فضلاً عن عدم توجيهه الوجهة الصحيحة التي تخدم بناء الشخصية المسلمة " ص ١٤٥ . والواجب " أن يكون لدى المسؤولين عن التربية والتعليم عامة وعن إدارة المدرسة خاصة إيمان بأهمية منهج النشاط في العملية التربوية التعليمية السليمة يجعلهم يتحررون من النمطية المعقدة التي تعرقل سير هذا المنهج في اتجاهاته السليمة " (إبراهيم ، ١٩٨٤م ، ص٥٢٤) .

٥- التركيز على جوانب التفكير الإبداعي لدى المتعلم ، وتشجيع الإبداع العلمي وتوفير المختبرات ، ومعامل التجريب ، مع السخاء في توفير المواد التي يحتاجها روادها والإعلان في المدرسة عن مسابقات للإبداع والابتكار ، مع توفير جوائز قيمة وحوافز حقيقية للفائزين والمبدعين . (أبو سمك ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٢٢٦) .

٦- أن يعمل كل مدرس مع مجموعة غير كبيرة من التلاميذ حتى يستطيع أن يعطي كل تلميذ منهم وقتاً كافياً لتوجيهه التوجيه المناسب الضروري ، ووقتاً كافياً للإشراف على نشاطه إشرافاً سديداً . (إبراهيم، ١٩٨٤م ،ص٥٢٤) .

ج – أهداف النشاط المدرسي :

١- بناء شخصية التلميذ على أسس سليمة من الدين القويم .

٢- تعويد التلاميذ على مقابلة الجموع ، وإبداء رأيه بحرية .

٣- تعويد التلاميذ وتربيتهم على العمل الجماعي ، وحب الجماعة.

(الفرج ، ١٤١٦هـ ، ص١٢٣ – ص١٢٤) .

٤- تجديـــد النشاط للتعلم ، فيرجع الطالب إلى دروسه وهو أشد انتباها وأكثر نشاطاً . (أبو سمك ، ١٤٢٠ هـــ ، ص ٥٧) .

٥- اكتشـــاف المواهـــب والقدرات والاستعدادت المختلفة لدى الطلاب ، وصقلها وتطويرها ، وتوجيهها الوجهة السليمة .

٦- تحويل الدراسات النظرية إلى خبرات عملية .

٧- ربط الطالب باحتياجات البيئة ، وتوسيع معرفته بها .

٨- بث روح التنافس .

٩- تنمية الذوق المهني والإنتاجي .(الرغبان ،١٤١٩هـــ،ص١٥) .

١٠- الارتباط الوثيق بتاريخ الأمة الإسلامية ، وحضارتها والاقتداء بسيرة السلف الصالح . (الشريف ، ١٤٢٠هـــ ، ص ١١) .

١١- تنمية الروح الرياضية واللياقة البدنية والحركية .

١٢- تعويد التلاميذ على الانتفاع بوقت فراغهم .

١٣- تأكيد وترسيخ المناهج الدراسية بشكل علمي وتطبيقي .

١٤- وسيلة لخلق الجيل الفاعل والمتفاعل مع البيئة التي يحياها .

١٥- احترام العمل وتقدير العاملين ، وذلك من خلال الانخراط في جو العمل العلمي المدرسي .

١٦- تنمية جانب الإبداع والابتكار .

١٧- تحقيق أغراض التربية الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا والهادفة إلى خلق المجتمع العلمي المبدع المنتج .

١٨- تربـــية التلامـــيذ على احترام الأنظمة والقوانين ، وإكسابهم القـــدرة عـــلى مناقشة الآراء دون تعصب ، وغيرها من المهارات اللازمة للمشاركة الإيجابية . (عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـــ ، ص ٤٢ – ص ٤٤) .

د- دور الأنشطة المدرسية في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم :

١- التسامح :

ويقصد به "قيمة تهدف إلى معاملة الآخرين بالرحمة والإحسان والعدل والحكمة وفق الضوابط الشرعية "(الحسين ، ١٤١٩هـ،ص٢٧).

والأنشطة المدرسية تسهم في ترقية عقول المتعلمين ، وتدعوهم دائما إلى التقارب الفكري ، وتغرس في نفوسهم جانباً كبيراً من التسامح ، والتجاوز عن الأخطاء التي قد يقع فيها البعض من الطلاب ، وفي ذلك يقول (عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ) : " فيتاح الوقت الكافي من خلال النشاط المدرسي لتنمية الاتجاهات المرغوبة ... مثل القيادة ، والتعاون ، والتسامح ، والتحلي بروح الفريق والعمل الجماعي التعاوني ، وغير ذلك من صفات حميدة إيجابية " . ص٤٢ . الأمر الذي حدا بهم إلى توسيع مداركهم وتفتح عقولهم ، وإكسابهم القدرة على مواجهة أمور أكبر ومشكلات أصعب تقتضي المرونة والتسامح .

٢- تبادل الأفكار :

الممارسة العملية للأنشطة المدرسية تؤدي إلى اجتماع العديد من الأفكار بين الطلاب ، حيث يدلي كل تلميذ بدلوه ، ويطرح كل طالب فكرته ، فيستفيد الطالب من زميله فكرة ، وينقل إليه فكرة ، " إذ أن مجالات النشاط تتيح الفرصة للاستفادة من مجموع الخبرات التي يكتسبها التلميذ بطريقة عملية تؤدي إلى إدراك العلاقات التكاملية بينها وأثرها في الحياة العملية " (عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ ، ص٤١) .

وبتبادل هذه الأفكاروالخبرات ينشأ جيل علمي قادر على الحوار والتفاهم. بل قادر على تبادل الأفكار مع الآخرين ، واحترامها ، وقبولها ،ومناقشتها دون تعصب .

٣- تعويد المتعلم على حب العمل الجماعي :

عــندما يــندمج المتعلم مع زملائه في جماعة النشاط ، ويشعر بقوة الروح الجماعية ، وقدرتها على القيام بأصعب الأعمال وبأقل المجهودات في وقــت قصير وتكلفة محدودة . فإن إحساسه بالمسؤولية تجاه الجماعة يكبر وحــبه للعمــل الجماعي يقوى ويزداد ، وبالتالي يتعود على ذلك ، وفي المقابل يبدأ يتخلى تدريجياً عن فكرة (الفردية في العمل) ، يقول (عطيفة ، ١٤١٥هـــ): " ومــثل هذه المشاركة تمكنه أيضاً من اكتساب صفات أخرى جيدة مثل : التحرر من الخرافات ، ورفض الاتكالية ، والتجريب ، والتعاون "ص١٤٥. ويقول أيضاً : " والحقيقة التي يجب أن نعيها جيداً أن الأنشطة المدرسية الصفية واللاصفية ، تستطيع أن تسهم بدرجة كبيرة في تكويــن الاتجاهات المرغوبة ، وفي تعديل الاتجاهات والسلوكيات الحالية غــير المرغوبة " ص١٤٥. ويؤكد (الكيلاني ، ١٤١٨هـــ) على أهمية العمل الجماعي وهيمنته على نشاطات الحياة الجارية ؛ " لأن ردود الفعل التي يبديها الناس لمواجهة التحديات ، وتلبية الحاجات في بيئتهم المحيطة ، لا تكون فاعلة – مؤثرة – إلا إذا قامت على تنظيم الجهود واجتماعها ، وحســن التنســيق بيــنها واختيار أحسن الوسائل والمؤسسات والنظم والأســاليب ثم المضــي في استعمالها وتعديلها وتقويمها انطلاقاً من وعي الجماعة بمتطلبات المواقف التي يمرون بها " ص٦٢ .

٤- إبعاد المتعلم عن العزلة الاجتماعية :

كلــنا يــدرك خطورة انعزال المتعلم بأفكاره عن الآخرين ، فهذه الأفكــار قــد تموت في مهدها إذا لم تجد الدعم والتشجيع والاندماج في روح الجماعة ، وبدلاً من أن يبقى المتعلم في عزلة عن زملائه الطلاب عليه

أن ينضـــم إليهم حتى يتعود على الخلطة بأفراد مجتمعه ،وذلك هدف من أهداف النشاط المدرسي .

يقول (عبد الوهاب،١٤٠٧هـــ):" فخلال مواقف النشاط المدرسي يمكن معالجة بعض المشكلات النفسية والاجتماعية مثل الانطواء والخجل وحـــب العـــزلة . ويتم العلاج بطريقة عملية مثل تشجيع التلاميذ على الـــتعامل مع زملائهم والاندماج معهم مما يساعدهم على التغلب على ما يعـــانون من مشكلات" ص٤٢ . فيصبح فيما بعد مؤثراً ومتأثراً ، يسهم بدرجـــة كـــبيرة في بناء مجتمعه ويسمح لنفسه وفكره أن ينضج ويتفتح لـــيأخذ ويعطـــي في جـــو اجتماعي بعيداً عن العزلة بنفسه وأفكاره عن الآخرين .

٥- تنمية جانب الإبداع والابتكار :

مـــن ثمار النشاط المدرسي تنمية الجانب الإبداعي والابتكاري لدى المتعـــلم حيـــث تكون لدى بعض الطلاب قدرات ابتكارية عجيبة ، فإذا لقيـــت بيـــئة علمية مناسبة ، نبتت وآتت ثمارها كما ينبغي أن تكون ، لاسيما إذا وجد المتعلم جماعة النشاط الملائمة لمستواه العقلي ، واستعداده الفكـــري ، وتلقي التوجيهات السديدة من معلمه المشرف على النشاط ، فإن هذا المتعلم قد يكون في يوم من الأيام من المبدعين الذين يشار إليهم بالبنان ، وهذا المبدع لم يصل إلى هذه الدرجة إلا بعد سلسلة من مراحل التفـــتح الذهني ، والاستيعاب الفكري ، والقدرة على التفاعل البناء مع متغيرات العصر ومتطلباته ، والتمكن من اكتساب المرونة الفكرية اللازمة، حتى توصل في نهاية الأمر إلى عالم الإبداع والابتكار ، الذي كان منطلقه الأول البيئة المدرسية ، وتحديداً من خلال جماعة النشاط التي كان منصباً

إليها ، والنشاط " وسيلة من وسائل الإنتاج والخلق والإبداع والابتكار " (عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ ، ص٤٣) ، " ويشجع التلميذ على التعرف على الميادين الممكنة لإشباع++ الميل المهني ، وعلى التعرف على المهنة التي يشعر بالميل إليها أكثر من غيرها ، وتتاح أمامه فرصة لتذوق هذه المهنة وممارستها في المستوى الذي يستطيعه ،كما تتاح أمامه فرص لتنمية القدرة على الابتكار والإتقان " (إبراهيم ،١٩٨٤م ، ص٥٢٣) .

ومن ذلك يخلص الباحث إلى أن النشاط المدرسي يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلال :

تعويدهم على التسامح ، وتدريبهم على تبادل الأفكار ، وتعويدهم على حب العمل الجماعي ، وإبعادهم عن العزلة الاجتماعية ، وتنمية جانب الإبداع ، والابتكار لديهم .

خـــاتمة البحـــث

أولاً : النتائج .

ثانياً : التوصيات .

أولاً : النتائج

يمكن إجمال النتائج التي انتهى إليها البحث في النقاط التالية :

١- أن العقـــل خلقه الله تعالى ليقوم بوظيفته التي خصه الخالق بها وفي الحدود التي حدها الشرع ، وإذا تعطل عمل العقل عن القيام بما أختصه الله تعـــالى به ، فيكون الجمود العقلي الذي تنطلق منه الانحرافات العقدية والتي يتفجر بها العقل فيكون أثرها التدميري ، والواجب وضع العقل في موضعه ، فلا جمود مع تحقير العقل وإهمال عمله ، ولا افتتان بالعقل إلى حد تأليهه .

٢- لا تعارض في الإسلام بين النقل الصحيح ، والعقل الصريح ، وإنما همـــا متعاضـــدان ، متكاملان ، ويبقى الوحي أكبر من العقل وأشمل ، وهو الأصـــل الـــذي يرجع إليه العقل ، والميزان الذي نختبر به مقررات العقل ، ومفهوماته ، وتصوراته ، وبه تصحح إخلالات العقل ، وانحرافاته .

٣- إن لفـــظ العقـــل لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الاسم وإنما ورد بصيغة الفعل ، لكن وردت مرادفات له مثل : الألباب والنهى .

٤- العقـــل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الواعي المتفتح الذي يدرك الحقـــائق ، ويميز بين الضار والنافع ، والخير والشر ، وهو العقل الذي يقابله الجمود ، والعنت ، والضلال .

٥- للانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة معالم أساسية تتمثل في :

أ- رفض الظن في موضع اليقين .

ب- عدم اتباع الهوى .

ج- رفض التقليد والجمود العقلي .

د- النظر العقلي .

هـ- الاعتماد على الدليل والبرهان .

٦- للانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أهمية تتمثل في :

أ- أنه يحقق للمسلمين بناء مجتمع متميز .

ب- أنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري .

ج- أنه سبيل لبناء العادات الحسنة ، والتحرر من إسار التعصب ، والجمود .

د- أنه وسيلة للإقناع الإيماني .

٧- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية أسس يقوم عليها :

أ- الإيمان بالله .

ب- الأمانة العلمية .

ج- التواضع .

د- الشعور بالمسئولية .

هـ- تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية .

٨- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية مظاهر تدل عليه منها : أ-

أ- سلامة العقيدة .

ب- مكانة العلم وقدره .

ج- رفض التعصب واتباع الهوى .

د- الاجتهاد .

هـ- التوسط والاعتدال .

و- قبول الحق من المخالفين .

٩- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ضوابط تتحكم فيه منها : ما يتعلق بالشخص الذي يتصف بهذه الصفة :

أ- أن يكون صاحب عقيدة صحيحة ،ومنهج واضح، راسخ

في العلم ، قد امتزج نور الوحي بعقله ، وسمعه ، وبصره .

ب- أن يراعي توحيد الجهود المبذولة في التقبل من الآخرين .

ج- أن يتعامل مع الغرب من موقع العزة والاستعلاء بالإسلام.

د- أن يكون مدركاً لحقيقة علوم الآخرين ، محيطا بأصولها، وأسسها التي بنيت عليها .

ومنها ما يتعلق بالشيء أو المادة المراد تقبلها من الآخرين :

أ- موافقة الأصول الإسلامية .

ب- الاعتماد على الحجة والبرهان .

ج- تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين .

١٠- أبـــرز مظاهر الانفتاح العقلي عند المربين المسلمين الذين تناولهم الباحـــث بالدراسة في هذا البحث (عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الإمام الشافعي رحمه الله ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله) هي :

أ- سلامة العقيدة .

ب- مكانة العلم وقدره .

ج- رفض التعصب واتباع الهوى .

د- الاجتهاد .

هـــ- التوسط والاعتدال .

و- الشورى .

ز- بعد النظر .

ح- الانفتاح المنضبط على خبرات الآخرين .

ط- المجادلة بالتي هي أحسن .

ي- سبر غور علوم الآخرين .

١١- طريقة التدريس في التربية الإسلامية تعتني بمبدأ التكامل بين المعلم والمتعلم ،فهي لا تغفل دور المتعلم بل ترى أن له كبير الأثر في طلب العلم والمعرفة كما أنها تهدف إلى جذب انتباه المتعلم حتى يستوعب ما يعطى له ، كما أنها تهتم بجميع جوانب شخصية المتعلم في تكامل واضح فتعمل على إيصاله إلى مرحلة التفتح الذهني ، والنضج العقل ، والوجداني ، والأخلاقي والاجتماعي ، ومن الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي من خلالها :

أولاً : تشجيع التلاميذ على إبداء الرأي .

ثانياً : تشجيع التلاميذ على نقد الآراء .

ثالثاً : تعويد التلاميذ على النظر والتأمل في مخلوقات الله .

رابعاً : دلالة المتعلمين على مصادر المعرفة .

خامساً : تعويد المتعلمين على التعقل ، وضبط النفس .

سادساً : استخدام الأسلوب الحواري .

سابعاً : إثارة أذهان المتعلمين باستمرار .

١٢- تساعد المقررات الدراسية على الانفتاح العقلي من خلال الأساليب التالية :

أولاً : إبراز الآراء المختلفة في بعض القضايا .

ثانياً : اشتمال المقررات الدراسية في محتواها على بعض المبادئ مثل : الاجتهاد ، الواقعية ، شمولية النظر ، الموضوعية .

ثالثاً :صياغة المقررات على نحو يرفع من درجة حساسية المتعلمين نحو الحلال والحرام .

رابعاً : صياغة مقررات معاصرة في طبيعة تصميمها ، وفي نوعية الموضوعات التي تتناولها .

١٣- النشاط المدرسي يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلال : تعويدهم على التسامح ، وتدريبهم على تبادل الأفكار ، وتعويدهم علـــى حب العمل الجماعي ،وإبعادهم عن العزلة الاجتماعية ، وتنمية جانب الإبداع والابتكار لديهم .

ثانياً : التوصيات

في ضوء ما تقدم يمكن اقتراح التوصيات التالية :

١- أن تتـــبنى الجهـــات القائمة على صياغة الأهداف التربوية تنمية الانفتاح العقلي وإعطاءه الأولوية وربطه بالغايات العليا المتعلقة بترسيخ الإيمان والعقيدة الصحيحة .

٢- أن يتم إبراز مفهوم الانفتاح العقلي في مختلف مستويات الأهداف الـــتربوية لجميع المراحل الدراسية بشكل يتضح معه كيفية ترجمته إلى أهداف إجرائية وسلوكية .

٣- أن يـــتم تطويـــر برامج إعداد المعلم في الجامعات حتى تسهم في تخـــريج معلمين أكْفاء يستطيعون فهم المعارف المعاصرة ويقفون منها موقفاً إيجابياً ، موقف النقد والتحليل في ضوء الكتاب والسنة ، وهذا يستلزم إعداد المعلم في المجالات الآتية :

أ- الإعداد الإيماني الذي يكفل للمعلم التحلي بالأخلاق الفاضلة النابعة أساساً من العقيدة الإسلامية الصحيحة .

ب- الإعـــداد الـــثقافي الذي يعطي المعلم قدراً كافياًمن الثقافة الإســـلامية وقدراً ملائماً من الثقافة المعاصرة ، حيث تمكن من خلالهما من التعامل الصحيح والتفاعل البناء مع متغيرات العصر ومستجداته .

ج- الإعداد التخصصي الذي يكفل للمعلم القدر المطلوب من التمكن في مجال تخصصه سواء كان هذا التخصص شرعياً ، أو لغوياً ، أو طبيعياً ، أو اجتماعياً .

د- الإعدا التربوي الذي يمكن المعلم من انتهاج الأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم سواء كان ذلك من خلال اختيار طرق التدريس الملائمة ، أو السير في المقررات الدراسية ، او تنفيذ الأنشطة المدرسية . وعلى ضوء ذلك يتم إعداد المعلم بالمستوى المطلوب ، حتى يؤدي رسالته المناطة به ، بحيث يساهم في تنمية شخصية المتعلم ، وتوسيع مداركه العقلية .

٤- أن يتوفر للمؤسسات التربوية المناخ اللازم الكفيل بتنمية الانفتاح العقلي لدى المتعلمين ، من خلال التفاعل والمشاركة في إدارة شؤون المؤسسة وحل مشكلاتها والتشاور وتبادل الآراء ، ومناقشة مشكلات المجتمع والأمة .

٥- أن تعمل المؤسسات التربوية على إيجاد برنامج تربوي منظم في شكل موضوعات ضمن المقررات الدراسية حيث يتم من خلالها توضيح أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية وغرس ذلك في نفوس التلاميذ .

٦- أن يعاد النظر في أسلوب صياغة المقررات الدراسية في مختلف المراحل التعليمية لمحاولة تقديمها بشكل يتيح للتلاميذ فرصة أكبر للمشاركة والتفكير ، والإبداع ، والابتكار ، ويمكنهم من توظيف المعلومات والمعارف التي يحصلون عليها في حياتهم العملية ومواجهة مشكلاتهم .

٧- التقبل والتفاعل مع الآخرين أمر ضروري للمسلمين ولذلك يوصي الباحث بتكليف فرق من المتخصصين للوقوف على المؤسسات التعليمية في كافة الدول وخاصة الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، لتزويد مراكز البحث والجامعات بتقارير عن النظم

التعليمـــية لتلك البلاد ، سواء من ناحية المنهاج أو الوسائل والتجهيزات أو المحـــتوى مـــن الأنشطة والمقررات الدراسية ونحو ذلك من جوانب العملية التعليمـــية ، وذلك للاستفادة من خبراتهم ؛ لتحسين وتطوير العملية التربوية والتعليمـــية . شريطة توفر ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية فيمن يقوم بتلك المهمة .

قائمة المراجع

قائمة المراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر .

أ- علوم القرآن الكريم .

١- أبـــو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى ، د.ت ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار الفكر .

٢- أبو حيان ، محمد بن يوسف ، ١٤٠٣هـــ ، البحر المحيط ، ط٢ ، بيروت ، دار الفكر .

٣- الألوســـي ، الســـيد محمود ، ١٤١٥هـــ ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٤- ابـــن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، ١٤١١هـــ ، تفسير القرآن العظيم ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل .

٥- الـــبغوي ، الحسين بن مسعود ، ١٤١٧هـــ ، تفسير البغوي معالم التتريل ، ط٤ ، الرياض ، دار طيبة ، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش .

٦- الـــبقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي .

٧- البيضـــاوي ، عـــبد الله بن عمر الشيرازي ، ١٤٠٢هـــ ، أنوار التتريل وأسرار التأويل ، دار الفكر .

٨- الذهبي ، محمد حسين ، ١٤١٦ هـــ ، التفسير والمفسرون ، ط ٦، القاهرة ، مكتبة وهبة .

٩- الزمخشـــري ، محمـــود بن عمر ، د .ت ، الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي .

١٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ١٤١٤هـ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عالم الكتب ، تحقيق محمد زهري النجار .

١١- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ١٣٨٧هـ ، الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، مكتبة دار التراث .تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

١٢- الشوكاني ، محمد بن علي ، ١٤١٢هـ ، فتح القدير ، ط١ ، دمشق ، دار الخير .

١٣- القاسمي ، محمد جمال الدين ، ١٤١٥هـ ، محاسن التأويل ، ط١، بيروت ، دار إحياء التراث . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١٤- القرطبي ، محمد بن أحمد ، ١٤١٣هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ، لبنان .

١٥- قطب ، سيد ، ١٤١٢هـ في ظلال القرآن ، ط ١٧ ، القاهرة ، دار الشروق .

١٦- القنوجي ،صديق بن حسن بن علي ، ١٤١٠هـ ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، بيروت ، المكتبة العصرية .

١٧- المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، د.ت ، فيض القدير ، بيروت ، دار المعرفة .

ب- السنة النبوية وعلومها .

١٨- أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، د.ت ، سنن أبي داود ، بيروت ، دار الفكر .

١٩- الألباني ، محمد ناصر الدين ، ١٤٠٨هـ ، صحيح الجامع وزيادته ط٣ ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

٢٠- الألباني ، محمد ناصر الدين ، د .ت ، سلسلة الأحاديث الصحيحة بيروت ، المكتب الإسلامي .
٢١- ابـــن أبي عاصم ، عمر الحافظ عمرو ،١٤٠٠هـــ ، السنة ، ط١، المكتب الإسلامي ، تخريج وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني .
٢٢- ابـــن أنـــس ، مـــالك ، ١٩٩٤ م ، الموطأ بروايةسويد بن سعيد الحدثاني ، ط١ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، دراسة وتحقيق : عبد المجيد تركي .
٢٣- ابن حجر ، أحمد علي ، ١٤٠٧هـــ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط٣ ، القاهرة ، دار المطبعة السلفية .
٢٤- ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، د.ت، مسند الإمام أحمد ، بيروت ، دار الفكر .
٢٥- ابـــن رجب ، عبد الرحمن بن شهاب الدين ، ١٤٠٠هـــ ، جامع العلوم والحكم ، ط٥ ، مصر ، مكتبـــة ومطبعـــة مصطفى الباني
٢٦- ابن ماجة ، محمد بن يزيد، ١٤٠٥هـــ ، سنن ابن ماجة ، د.ت ، بيروت ، دار الفكر
٢٧- البخاري ، محمد بن إسماعيل ، ١٤١٩هـــ ، صحيح البخاري ، د .ت ، بيت الأفكار الدوليّة .
٢٨- الـــترمذي ، محمد الحكيم ، ١٤١٣هـــ ، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، ط١ بيروت ، دار الكتب العلمية .
٢٩- الترمذي ، محمد بن عيس بن سورة ، ١٤٠٨هـــ ، سنن الترمذي ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية . تحقيق : أحمد محمد شاكر .
٣٠- الحـــاكم ، أبي عـــبد الله ، د.ت ، المستدرك على الصحيحين ، بيروت ، دار المعرفة .

٣١- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ١٤٠٩هـ ، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف .

٣٢- المباركفوري ، محمد ، د .ت ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ط ٣ ، بيروت ، دار الفكر .

٣٣- مسلم ، ابن الحجاج ، ١٤١٦هـ ، صحيح مسلم ، ط١، بيروت دار ابن حزم .

٣٤- النسائي ، أحمد بن شعيب ،١٤٠٩هـ ، سنن النسائي ، ط٢، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبدالفتاح أبو غدة .

٣٥- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، د . ط بيروت ، دار الكتب العلمية .

ثالثاً : المراجع :

٣٦- الأبراشي، محمد عطية، د.ت ، روح التربية والتعليم ، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٣٧- إبراهيم ، عبد اللطيف فؤاد ، ١٩٨٤م ، المناهج أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها ، ط٦، القاهرة ، مكتبة مصر .

٣٨- أبو العينين ، علي خليل مصطفى ، ١٩٨٨م ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، ط٣ ، السعودية .

٣٩- أبو العينين ،علي خليل مصطفى، ١٤٠٩هـ ،عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٤٠- أبو زهرة ، محمد ، ١٣٦٧هـ ، الشافعي حياته وعصره -آراءه وفقهه ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربي .
٤١- أبو زهرة ، محمد ، د.ت ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي .
٤٢- أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، ١٤١٠هـ ، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ط٢، داربن الجوزي .
٤٣- أبو سليمان ، عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، أزمة العقل المسلم ط٣ ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي .
٤٤- أبو سمك ، أحمد عبد العزيز ، ١٤٢٠هـ ، التربية الترويحية في الإسلام أحكامها وضوابطها الشرعية ،ط١، الأردن، دار النفائس .
٤٥- أبو غدة ، عبد الفتاح ، ١٤١٣هـ ،صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ، ط٣ ، دمشق ، دار القلم .
٤٦- أبو نعيم ، أحمد بن عبدالله ، د.ت ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
٤٧- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ،١٣٩٩هـ،كتاب الخراج ، بيروت ، دار المعرفة .
٤٨- الآجري ، محمد بن الحسين ،١٤٢٠هـ ،كتاب الشريعة ، ط٢، الرياض ،دار الوطن، تحقيق :عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي .
٤٩- أرسلان ، الأمير شكيب ، ١٤٠١هـ ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم القاهرة ، المركز السلفي للكتاب .
٥٠- أسد ، محمد ، ١٤١٨هـ، الإسلام على مفترق الطرق ، بيروت ، دار الملايين ، ترجمة عمر فروخ .

٥١- الأشقر ، عمر سليمان ، ١٤١٨هـ ، محاضرات إسلامية هادفة ، ط١١، الأردن ، دار النفائس .

٥٢- الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد ، ١٤١١هـ ، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، ط١ ، الرياض ، دار الراية ، تحقيق : محمد المدخلي ، ومحمد أبو رحيم .

٥٣- الأصفهاني ، الراغب ، ١٤١٨هـ ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢، جدة ، دار البشير .

٥٤- الأصفهاني ، الراغب ، د.ت ، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تحقيق : عبد المجيد النّجار .

٥٥- إقبال ، محمد ، ١٩٦٨ م ، تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ط٢ القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٥٦- آل الشيخ ، عبد الرحمن بن حسن ، د.ت ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ط١ ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية .

٥٧- آل منصور ،صالح بن عبد العزيز ، ١٤٠٥هـ ، أصول الفقه وابن تيمية ، ط٢،شبرا ، مصر ، دار النصر للطباعة الإسلامية .

٥٨- الأميري ، أحمد البراء ، ١٤١٩هـ ، التفكير السديد طريقك إلى النجاح والتفوق ، الرياض ، دار الناس الدولي .

٥٩- الأنصاري ، فريد ، ١٤١٦هـ ، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية ، ط١ ، الدوحة ، وزارة الشؤون الإسلامية ، قطر ، كتاب الأمة ، العدد ٤٨ السنة الخامسة عشرة .

٦٠- ابن الجوزي، عبد الرحمن، ١٤١٧هـ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ط١، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، تحقيق : علي محمد عمر .

٦١- ابن القيم ، أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، د.ت ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، مصر ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي، تحقيق : سيد كيلاني .

٦٢- ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ١٣٩٢هـ ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، بيروت ، دار الكتاب ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٦٣- ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ،١٤٠٦هـ،زاد المعاد في هدي خير العباد،ط١٣ بيروت ، مؤسسة الرسالة ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط .

٦٤- ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ١٤١٨هـ ، مفتاح دار السعادة ، ط١ ، مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفى الباز .

٦٥- ابن بدران ، عبد القادر ، د.ت ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ط١ دمشق ، المكتبة العربية .

٦٦- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، ١٣٩٦هـ ، مجموع الفتاوى ، ط٢ ، الرياض ، دار الإفتاء والدعوة والإرشاد ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم العاصمي .

٦٧- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، ١٣٩٦هـ ،الردعلى المنطقيين ، ط٢ ، الرياض ، مكتبة الحرمين .

٦٨- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، ١٣٩٩هـ ، درء تعارض العقل والنقل ، ط٢، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٦٩- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ،١٤٠٤هـ ،رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ط٢،بيروت ، المكتب الإسلامي، تحقيق :زهير الشاويش.

٧٠- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، ١٤٠٩هـ ، الاستقامة ، ط٢ القاهرة ، مكتبة السنة . تحقيق : محمد رشاد سالم .

٧١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، ١٤٢٠هـ، التسعينية ،ط١ الرياض ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، تحقيق : محمد بن إبراهيم العجلان .

٧٢- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، د.ت ، منهاج السنة النبوية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، وبهامشه الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

٧٣- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم،١٤١٧هـ ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ط٥ ، الرياض ، مكتبة الرشد ، تحقيق : ناصر بن عبد الكريم العقل .

٧٤- ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم ،د.ت ،الوصية الكبرى ، الطائف مكتبة الصديق تحقيق : عثمان ضميرية ، محمد النمر .

٧٥- ابن حجر ، أحمد بن علي ، ١٣٢٨هـ ، الإصابة في تميز أسماء الصحابة ،ط١ ، دار العلوم الحديثة .

٧٦- ابن حنبل ، عبدا لله ، ١٤٠٦هـ ، مسائل الإمام أحمد ، ط١ المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، تحقيق : علي سليمان المهنا .

٧٧- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، ١٤١٩هـ ، مقدمة ابن خلدون ، ط١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق : درويش الجويدي .

٧٨- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، ١٤١٨هـ ، جامع بيان العلم وفضله، ط٣ ، الدمام ، دار الجوزي ، تحقيق : أبي الأشبال الزهري .

٧٩- ابن عبد الهادي ،محمد بن أحمد، د.ت ،العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ،بيروت ،دار الكتب العلمية، تحقيق : محمد حامد الفقي.

٨٠- ابن عبد ربه ، ١٤٠٤هـ ، العقد الفريد ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية تحقيق : عبد المجيد الترحيني .

٨١- ابن فارس ، أبو الحسن أحمد ، ١٤١١هـ ، معجم مقاييس اللغة ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٨٢- ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد ، ١٣٨٩هـ ،المغني ، القاهرة، الفجالة الجديدة ،مكتبة القاهرة ، تحقيق :طه محمد الزيني .
٨٣- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، د.ت ، البداية والنهاية ، القاهرة ، دار أم القرى ، تحقيق : أحمد أبو ملحم ، علي نجيب عطوي ، فؤاد السيد ، مهدي ناصر الدين ، علي عبد الساتر .
٨٤- ابن مانع ، سعيد بن علي ،١٤١٢هـ ، المسايرة والمغايرة ، مكة المكرمة ، مطابع الجامعة .
٨٥- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد ، د.ت، لسان العرب ، ط١، بيروت دار صادر .
٨٦- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، بيروت ، دار المعرفة ،حققها وضبطها ووضع فهارسها :مصطفى السقا ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي .
٨٧- باقارش ،صالح سالم ،عبدالله علي الآنسي،١٤١٥هـ، مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ، ط٢، مكة المكرمة، شركة مكة للطباعة والنشر .
٨٨- البرديسي ، محمد زكريا ، ١٩٨٣م ، اصول الفقه ، ط١، القاهرة ، دار الثقافة للنشر التوزيع .
٨٩- البريكان ، إبراهيم بن محمد ، ١٤١٨هـ ، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ط٥ ، الخبر ، دار السنة .
٩٠- البزار ، عمر بن علي ،١٤٠٠هـ ، الأعلام العلمية في مناقب ابن تيمية ، ط٣، بيروت ، المكتب الإسلامي ، تحقيق : زهير الشاويش .

٩١- البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت ، ١٤١٧هـ ، الفقيه -والمتفقه ط١،الرياض دار ابن الجوزي .

٩٢- بكّار ، عبد الكريم ، ١٤١٧هـ ، مقدمات للنهوض بالعمل الدّعوي ، ط١، الرياض ، دار المسلم .

٩٣- بكّار ، عبد الكريم ، ١٤١٨هـ ، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية ، ط١ ، الرياض ، دار المسلم .

٩٤- بكّار، عبد الكريم ، ١٤١٣هـ ، فصول في التفكير الموضوعي ط١، دمشق دار القلم .

٩٥- بكّار ، عبد الكريم ، ١٤٢٠هـ، حول التربية والتعليم، ط١، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع .

٩٦- البلاذري ، أحمد بن يحيى البغدادي ، ١٩٣٢هـ ، فتوح البلدان ، ط١، القاهرة ، النهضة المصرية والتجارية .

٩٧- البيطار ، محمد بهجة ، ١٤٠٧هـ ، حياة شيخ الإسلام بن تيمية ، ط٣ ، المكتب الإسلامي .

٩٨- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ١٤١٧هـ ، مناقب الشافعي ط١، مجلس البنجري للتفقه في الدين .

٩٩- التبريزي ، الخطيب ، د.ت ، الإكمال في أسماء الرجال ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

١٠٠- جان، محمد صالح بن علي، ١٤١٦هـ، المناهج بين الأصالة والتغريب، ط١، الطائف ، دار الطرفين .

١٠١- الجرجاني ، علي بن محمد ، ١٤١٨هـ ، التعريفات ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

١٠٢- الجليل ، عبد العزيز بن ناصر ، ١٤١٨هـ ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ، ط١ ، الرياض ، دار طيبة .
١٠٣- الجمبلاطي ، علي ، التوانسي ، أبو الفتوح ، ١٩٧١م ، الأصول – الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، القاهرة ، دار نهضة مصر .
١٠٤- الجندي ، أنور ، ١٣٨٤هـ ، ترشيد الفكر الإسلامي، القاهرة دارالاعتصام .
١٠٥- الجندي ، أنور ، ١٤٠٥هـ ، شبهات في الفكر الإسلامي ، نشر الاتحاد الطني لطلبة الإمارات .
١٠٦- الجوهري ، محمود محمد خيال ، ١٤٠٠ هـ ، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ط١ ، الإسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر .
١٠٧- الحداد ، أحمد بن عبد العزيز بن قاسم ، ١٩٩٦م ، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي .
١٠٨- حسين ، طه ، ١٤١٤هـ ، مستقبل الثقافة في مصر ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٠٩- حسين ، محمد الخضر ، رسائل الإصلاح ،الدمام ، دار الإصلاح .
١١٠- حسين ، محمد محمد ، ١٤١٣هـ ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ط٩ ، مكة ، دار الرسالة .
١١١- حمادة ، فاروق ، ١٤١٧هـ ، أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية ، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع .
١١٢- الحمد ، محمد بن إبراهيم ،١٤١٩هـ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، مفهومها ،خصائصها ،خصائص أهلها ، ط٢ ،الرياض ،دار بن خزيمة.

١١٣- حمدان ، محمد زياد، ١٤٠٥هـ، التنفيذ العلمي للتدريس ، عمان، دار التربية الحديثة .

١١٤- الحموي ، ابن الحجة ، د.ت ، ثمرات الأوراق في المحاضرات ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

١١٥- الحميدي ، عبد العزيز بن عبد الله ،١٤١٨ هـ ، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، ط١، الإسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

١١٦- الحنبلي ، مرعي بن يوسف ، ١٤١٩هـ ، تنوير بصائر المقلدين ، ط١ ، بيروت ، دار ابن حزم ، تحقيق : عبد الله الكندري .

١١٧- الحنبلي ، مرعي بن يوسف الكرمي ، ١٤٠٤هـ ، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، ط١، بيروت ، دار الفرقان ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف .

١١٨- الحنبلي ، مرعي بن يوسف الكرمي ، ١٤٠٦هـ ، الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، ط١، بيروت ،دار الغرب الإسلامي، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف .

١١٩- الحنفي ، علي بن محمد بن أبي العز ، ١٤٠٢هـ ، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، الرياض ، مكتب المعارف ، مطبعة دار التأليف تحقيق : عبد الرحمن عميرة .

١٢٠- الحوالي ، سفر بن عبد الرحمن ، د.ت ، العلمانية ، ط١ ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى .

١٢١- الخزندار ، محمود محمد ، ١٤١٦هـ ، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً ، ط١، الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

١٢٢- الخطيب ، عمر عودة ، ١٤١٨ هـ ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، ط ١٤ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

١٢٣- خفاجي ، محمود أحمد ، ١٣٩٩هـ ، العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ، ط١ ، القاهرة ، دار الكتب .

١٢٤- خلف الله ، سلمان ، ١٤١٩هـ، الحوار وبناء شخصية الطفل، ط ١، الرياض مكتبة العبيكان .

١٢٥- خليل ، عماد الدين ، ١٤١٨ هـ ، دراسة في السيرة ، ط١ ، بيروت ، دار النفائس .

١٢٦- خياط ، محمد جميل ، ١٤١٦هـ ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، مركز البحوث التربوية والنفسية .

١٢٧- الدقر ، عبد الغني ، ١٤١٧هـ ، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر ط٦، دمشق ، دار القلم .

١٢٨- الدمشقي، محمد بن أبي بكر ابن ناصر الدين ،١٤١١هـ، الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ، ط٣ ، بيروت،المكتب الإسلامي ، تحقيق : زهير الشاويش .

١٢٩- الدويش ، محمد بن عبد الله ، ١٤١٩هـ ، المدرس ومهارات التوجيه ، ط٣، الرياض ، دار الوطن .

١٣٠- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، ١٤١٧هـ ، سير الخلفاء الراشدون ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، حققه وضبطه وعلق عليه : بشّار عوّاد معروف .

١٣١- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، ١٩٦٣م ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، بيروت ، دار المعرفة ، تحقيق : علي محمد البخاري .

١٣٢- الذهبي ، محمد بن أحمد ،١٤١٣هـ ، سير أعلام النبلاء ، ط٩ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

١٣٣- الرازي ، عبد الرحمن بن أبي حاتم ،١٤١٣ هـ ، آداب الشافعي ومناقبه ، ط٢، القاهرة ، مكتب الخانجي ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .

١٣٤- الرازي ، محمد بن أبي بكر ،١٩٨٨م ، مختار الصحاح ، بيروت مكتبة لبنان .

١٣٥- رضا ، محمد جواد ، ١٩٨٤م ، الإصلاح الجامعي في الخليج العربي ، ط١، الكويت ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع .

١٣٦- الرغبان ، هيثم إبراهيم، ١٤١٩هـ ، قضايا تربوية من الميدان ، ط١، جدة ، دار نور المكتبات .

١٣٧- الركابي ، جودت ، ١٩٧٣م ، طرق تدريس اللغة العربية ، دمشق دارالفكر .

١٣٨- الرومي ، فهد بن عبد الرحمن ، ١٤٠١هـ ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ط١ ، الرياض ، مؤسسة الرسالة .

١٣٩- ريان، فكري حسن، ١٩٩٥م، النشاط المدرسي أسسه، أهدافه، تطبيقاته، ط٥ القاهرة ، عالم الكتب .

١٤٠- الزبيدي ، محمد الحسيني ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، دار الفكر .

١٤١- الزبيدي ، محمد مرتضى ، ١٣٠٦هـ ، تاج العروس ، د.ت ، مصر ، المطبعة الخيرية .

١٤٢- الزرنوجي ، برهان الإسلام ، ١٤٠٦هـ ، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، تحقيق ودراسة : محمد عبد القادر أحمد .

١٤٣- الزنتاني ، عبد الحميد ، ١٩٨٤م ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، تونس الدار العربية للكتاب .

١٤٤- الزنيدي ، عبد الرحمن بن زيد ، ١٤١٥هـ ، حقيقة الفكر الإسلامي ، ط١ ، الرياض ، دار المسلم .

١٤٥- زيدان ، عبد الكريم ، ١٤٠٧هـ ، الوجيز في أصول الفقه ، مؤسسة الرسالة .

١٤٦- زين العابدين ، محمد بن سرور ،١٤٠٩ هـ ، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ، ط٣ ، الكويت ، دار الأرقم .

١٤٧- سالم ، عبد الرشيد عبد العزيز ، ١٤٠٢هـ ، طرق التدريس التربية الإسلامية ، ط٣ ، الكويت ، وكالة المطبوعات .

١٤٨- السباعي ، مصطفى ، ١٤٠٥هـ ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

١٤٩- السبحي ، عبد الحي ،بنجر ،فوزي ، ١٤١٧هـ ، طرق التدريس واستراتيجياته ، ط١،جدة ، دار زهران للنشر والتوزيع .

١٥٠- سرحان ، الدمرداش عبد المجيد ، ١٤٠٥هـ ، المناهج المعاصرة ط٥ ، الكويت ، مكتبة الفلاح .

١٥١- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ١٤١٩هـ ، النصيحة الربانية ، ط١ ، الرياض ، مكتبة أضواء السلف .

١٥٢- السلماسي ، يحيى بن إبراهيم بن أحمد ،١٤٢٠هـ ، منازل الأئمة الأربعة ، ط١، بيروت ، لبنان .

١٥٣- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحيم بن أبي بكر ، ١٤٠٩هـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، ط١ ، المدينة المنورة ، مطابع الرشيد ، تحقيق : ذيب القحطاني .

١٥٤- الشاطبي ، إبراهيم بن موسى ، د .ت ، الاعتصام ، مطبعة السعادة ، المكتبة التجارية الكبرى . تعريف محمد رشيد رضا .

١٥٥- الشافعي ، محمد بن إدريس ، د.ت ، الأم ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، أشرف على طبعه وباشر تصحيحه : محمد زهري النجّار .

١٥٦- الشافعي، إبراهيم ، الكثيري ،راشد ، علي ، سر الختم ،١٤١هـ المنهج المدرسي من منطق جديد ، ط١ الرياض ، مكتبة العبيكان .

١٥٧- الشافعي ، محمد بن أدريس ، ١٣٠٩هـ ، الرسالة ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

١٥٨- الشافعي ، محمد بن أدريس ، ١٤١٧هـ ، ديوان الشافعي ، ط١، بيروت ، دار الفكر ، جمعه وشرحه ورتبه : محمد عبد الرحيم .

١٥٩- شاكر ، محمود ، ١٤١٧هـ ، الفاروق وأسرته ، ط١، بيروت المكتب الإسلامي .

١٦٠- الشامي ، صالح أحمد ، ١٤٠٥ هـ ، من معين السيرة ، ط١ بيروت ، المكتب الإسلامي .

١٦١- الشرباصي ، أحمد ، ١٤٠٧هـ ، موسوعة أخلاق القرآن ، ط٣ بيروت ، دار الرائد العربي .

١٦٢- الشنقيطي ، عبدالله بن عمر ، ١٤١٤هـ ، التقليد في الشريعة الإسلامية ، ط١ ، المدينة المنورة ، دار البخاري .

١٦٣- شهلا ،جورج وآخرون ، ١٩٧٨م ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، ط٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين .

١٦٤- الشهرستاني ، أبو الفتح بن عبد الكريم ، ١٣٩٥هـ ، الملل والنحل ، ط٢، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

١٦٥- الشيباني، عمر محمد، ١٩٨٦م، فلسفة التربية الإسلامية، ط٦، طرابلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

١٦٦- الصافي ، لؤي ، ١٤١٩هـ ، إعمال العقل ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر .

١٦٧- فودة ، حلمي ، عبد الله ، عبد الرحمن ، ١٤١٠هـ ، المرشد في كتابة الأبحاث ، ط٢ ، جدة ، دار الشروق .

١٦٨- الصفدي ، صلاح الدين خليل ، ١٤١٢هـ ، كتاب الوافي بالوفيات ، ط٢، يطلب من دار النشر فرانز شتايتر بقيشبادن .

١٦٩- ضميرية ، عثمان جمعة ، ١٤١٧هـ ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ط٢ ، جدة ، مكتبة السوادي .

١٧٠- الطبري ، أبو جعفر أحمد ، ١٤٠٨هـ ، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة ، ط١ ، بيروت ، دار الندوة الجديدة .

١٧١- الطبري ، محمد بن جرير ، ١٤٠٧هـ، تاريخ الأمم والملوك ، ط١ بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٧٢- الطنطاوي ،علي ، الطنطاوي ،ناجي ،١٤٠٣ هـ، أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر ، ط٨ ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

١٧٣- العبد ، عبد اللطيف محمد ، ١٤٠٢هـ ، تأملات في الفكر الإسلامي ، د.ت ، مكتبة النهضة المصرية .

١٧٤- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، ١٤٠٨ هـ ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط ٢ ،القاهرة ،دار الحديث .

١٧٥- عبد الحميد ، جابر و أحمد خيري ، ١٩٩٠ م ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة ، دار النهضة العربية .

١٧٦- عبد الحميد، محسن عبد الحميد، ١٤١٦هـ، تجديد الفكر الإسلامي، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٧٧- عبد الخالق ، عبد الرحمن ، ١٤٠٥هـ ، السلفيون والأئمة الأربعة ط٣ ، الكويت ، الدار السلفية .

١٧٨- عبد الله ، عبد الرحمن صالح ، ١٤٠٦هـ ، ابن الجوزي وتربية العقل ، مكة المكرمة .

١٧٩- عبد الله، عبد الرحمن صالح، ١٤٠٦هـ، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ،الر ياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

١٨٠- عبد الوهاب ، محمد ، د.ت ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية .

١٨١- عبد الوهاب ، جلال ، ١٤٠٧هـ، النشاط المدرسي ، مفاهيمه ، ومجالاته، وبحوثه ، ط٢ الكويت ، مكتبة الفلاح .

١٨٢- عبيدات ، ذوقان وآخرون ، ١٩٩٦م ، البحث العلمي . مفهومه . أدواته . أساليبه ، ط٣ ، الرياض ، دار أسامة .

١٨٣- عريفج ، سامي وآخرون ، ١٤١٩هـ ، في مناهج البحث العلمي وأساليبه، ط٢، عمان ، دار مجد لاوي .

١٨٤- العساف ، صالح بن حمد ، ١٤١٦هـ ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ط١ ، الرياض ، مكتبة العبيكان .

١٨٥- عصر ، حسني عبد الباري ، ١٩٩٩م ، مداخل تعليم التفكير وإثراؤه في المنهج المدرسي ، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث .

١٨٦- عطيفة ، حمدي أبو الفتوح ، ١٤١٥هـ ، التربية وتنمية الاتجاهات العلمية من المنظور الإسلامي ، ط١ ، المنصورة ، دار الوفاء .

١٨٧- العقاد ، عباس محمود ، د.ت ، الإنسان في القرآن الكريم ، بيروت منشورات المكتبة العصرية .

١٨٨- العقاد ، عباس محمود ، د.ت ، التفكير فريضة إسلامية ، بيروت المكتبة العصرية .

١٨٩- العقاد ، عباس محمود ، د.ت ، مجموعة العبقريات الإسلامية كاملة بيروت ، المكتبة العصرية .

١٩٠- العقل ، ناصر بن عبد الكريم ، ١٤١٢هـ ، مباحث عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ط١ ، الرياض ، دار الوطن للنشر .

١٩١- العلواني ، طه جابر ، ١٤١٤هـ ، الأزمة الفكرية المعاصرة ، ط٤، الرياض الدار العالمية للكتاب الإسلامية .

١٩٢- علي ، سعيد إسماعيل ، ١٤١٢هـ ، الأصول الإسلامية للتربية ط٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربي .

١٩٣- العودة ، سلمان بن فهد ، ١٤١٢هـ ، ضوابط للدراسات الفقهية ط١ ، الرياض ، دار الوطن للنشر .

١٩٤- الغزالي ، أبو حامد محمد بن أحمد ، إحياء علوم الدين ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

١٩٥- الغزالي ، محمد ،١٤١٦ هـ ، خلق المسلم ، ط ١٢، جدة ، دار البشير .

١٩٦- غنيمة ، محمد عبد الرحيم ، ١٩٥٣م ، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، تطوان ، دار الطباعة المغربية .

١٩٧- الفرج ، عبد الرحمن بن مبارك ، ١٤١٦هـ ، أساليب وطرق تدريس مواد التربية الإسلامية، ط٢، مكتبة دار الحميضي .

١٩٨- فروخ ، عمر ،١٤١١هـ، ابن تيمية المجتهد بين أحكام الفقهاء وحاجات المجتمع ، ط١، بيروت ، دار لبنان للطباعة والنشر .

١٩٩- الفنيش ، أحمد علي ، ١٩٩٢م ، التربية الاستقصائية ، ط٢، طرابلس ، الهيئة القومية للبحث العلمي .

٢٠٠- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد ، ١٤١٦هـ ، القاموس المحيط ، ط٥ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

٢٠١- الفيومي ، أحمد بن علي ، ١٩٨٧م ، المصباح المنير ، بيروت ، لبنان .

٢٠٢- القرضاوي ، يوسف ، ١٤١٢هـ ، الصحوة الإسلام بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

٢٠٣- القرضاوي ، يوسف ، ١٤١٤هـ ، الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة .

٢٠٤- القرضاوي ، يوسف ، ١٤١٦هـ ، العقل والعلم في القرآن الكريم ط ١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة .

٢٠٥- القرضاوي ، يوسف ، ١٤١٦هـ ، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

٢٠٦- القرضاوي ، يوسف ، د.ت ، الرسول والعلم ، دار الصحوة .

٢٠٧- القطان ، مناع خليل ، ١٤١٧هـ ، تاريخ التشريع الإسلامي ط ١٤ ، بيروت مؤسسة الرسالة .

٢٠٨- قطب ، محمد ، ١٤١٠هـ ، واقعنا المعاصر ، ط٣ ، جدة ، مكتبة الصحابة .

٢٠٩- قطب ، سيد ، ١٤١٣هـ ، خصائص التصور الإسلامي ، ط ١٣ ، القاهرة ، دار الشروق .

٢١٠- قطب ، محمد ، ١٤١٢هـ ، قبسات من الرسول ، ط١١ ، القاهرة ، دار الشروق .

٢١١- قلعة جي ، محمد رواس ، ١٤١٨هـ ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ط٢، بيروت ، دار النفائس .

٢١٢- كرزون ، أنس أحمد ، ١٤٢٠هـ ، التخلف العلمي في واقع المسلمين المعاصر بيروت ، دار ابن حزم .

٢١٣- الكرمي ، سعيد حسين ، د.ت ، قول على قول ، بيروت ، دار لبنان .

٢١٤- الكروي ، إبراهيم سلمان ، شرف الدين، عبد التواب ، ١٤٠٤ هـ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل .

٢١٥- كمال الدين ، خوجة ، د.ت ، المثل العلى في الأنبياء ، دار الفكر المعاصر .

٢١٦- كوفي ، ستيفن ، ١٩٩٥م ، العادات السبع للقادة الإداريين ، ط١ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ترجمة:هشام عبدالله.

٢١٧- الكيلاني ، ماجد عرسان ، ١٤٠٧هـ ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٣ ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير .

٢١٨- الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤١٨هـ، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر ، ط١، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع .

٢١٩- الكيلاني ، ماجد عرسان ، ١٤٠٧هـ ، الفكر التربوي عند ابن تيمية ، ط٢، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث .

٢٢٠- اللقاني ، أحمد حسين ، ١٤١٥هـ ، المنهج. الأسس، المكونات، التنظيمات، ط١ ، القاهرة ، مكتبة عالم الكتب .

٢٢١- الماص ، بدر عبد الرزاق ، ١٤١٨هـ ، أخلاق المسلم وآدابه ، ط١، الكويت ، مكتبة الفلاح .

٢٢٢- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ، ١٤٠٥هـ ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط١ ،بيروت ، دار الكتب العلمية .

٢٢٣- المبارك ، محمد ، ١٣٩٨ هـ ، الإسلام والفكر العلمي ، ط١ بيروت ، دار الفكر .

٢٢٤- المباركفوري ، صفي الرحمن ، ١٤٠٠هـ ، الرحيق المختوم ، ط١ دار مكتبة وليد الكعبة .

٢٢٥- مجاور ، محمد صلاح الدين ، الديب ، فتحي عبد المقصود ، ١٤٠٤هـ ، المنهج المدرسي ، أسسه وتطبيقاته التربوية ، ط٦، الكويت ، دار القلم .

٢٢٦- المحاسبي ، الحارث بن أسد ، ١٣٩٨هـ ، مائية العقل وفهم القرآن ط٢ ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق : حسين القوّتلي .

٢٢٧- المحاسبي ، الحارث بن اسد ، د.ت ، آداب النفوس ، القاهرة ، دار الثقافة ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .

٢٢٨- محمود ، عبد القادر ، ١٩٧١م ، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث ، جامعة الخرطوم ، جمهورية السودان المطبعة الحكومية ، الخرطوم .

٢٢٩- محمود ، علي عبد الحليم ، ١٤١٢هـ، تربية الناشئ المسلم ، ط١ المنصورة ، دار الوفاء للطباعة والنشر .

٢٣٠- مرسي ، محروس سيد ، ١٩٨٨م ، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية ، القاهرة دار المعارف .

٢٣١- مصطفى ، إبراهيم ، أحمد حسن ، حامد عبد القادر ، محمد علي ، ١٣٩٢هـ ، المعجم الوسيط ، ط٢، استنبول ، المكتبة الإسلامية .

٢٣٢- مطاوع ، إبراهيم ، واصف، واصف عزيز ، ١٤٠٦هـ ، التربية العملية وأسس طرق التدريس ، بيروت ، دار النهضة العربية .

٢٣٣- المقدسي ، أحمد بن عبد الرحمن ، ١٤٠٨هـ ، مختصر منهاج القاصدين ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله الليثي الأنصاري .

٢٣٤- الملقي ، هيام ، ١٤١٥هـ ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ط١ ، الرياض ، دار الشرق .

٢٣٥- ملك ، بدر محمد ، أبوطالب ، خليل محمد ، ١٤٠٩هـ ، السبق التربوي في فكر الشافعي، ط١، الكويت ، مكتبة المنارة الإسلامية.

٢٣٦- المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، ١٤١٠، التوقيف على مهمات التعاريف ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر ، تحقيق : محمد رضوان الداية .

٢٣٧- المودودي ، أبو الأعلى ، د.ت ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، دار الخلافة للطباعة والنشر .

٢٣٨- المودودي ، أبو الأعلى، ١٣٩٧هـ ، نظام الحياة في الإسلام ، الكويت ، دار القرآن الكريم .

٢٣٩- الموسوعة العربية العالمية ، ١٤١٦هـ ، مجلد١٤، ط١، الرياض مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

٢٤٠- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، ١٤١٨هـ ، الحضارة الإسلامية ، ط١، دمشق ، دار القلم .

٢٤١- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، ١٤٠٨هـ ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ط٣ ، دمشق دار العلم .

٢٤٢- الميداني ، عبد الرحمن حسن ، ١٣٩٩هـ ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ط٢ ، بيروت ، دار الأرقم .

٢٤٣- الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة ، ١٤٠٣هـ ، بصائر للمسلم المعاصر ، ط١ ، دمشق ، دار القلم .

٢٤٤- الميداني ، عبدالرحمن حسن ، ١٤١٨هـ، الحضارة الإسلامية ،ط١ دمشق ، دار القلم .

٢٤٥- النجار، زغلول راغب ، ١٤١٠هـ ، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٤٦- النجار ، عبد المجيد ، ١٤١٣هـ ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٤٧- الندوي ، أبو الحسن ، ١٤٠٣هـ ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، ط٤ ، الكويت ، دار القلم .

٢٤٨ نصر ، محمد موسى ، ١٤١٣هـ ، مترلة العقل في الإسلام ، ط١ المدينة المنورة ، مكتبة الغرباء الأثرية .

٢٤٩ النقيب ، عبدالرحمن ، ١٩٩٦هـ ، مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية (رؤية مغايرة) .

٢٥٠- هازيلت ، هنري ، د. ت، التفكير علم وفن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ترجمة حامد العبد .

٢٥١- هراس ، محمد خليل ، ١٤٠٥ هـ ، باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ، ط٢، طنطا ، مكتبة الصحابة .

٢٥٢- هندام ، يحي ، جابر ، جابر عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، المناهج أسسها ، تخطيطها – تقويمها . ط٣، القاهرة ، دار النهضة العربية.

٢٥٣- هندي ، صالح ، تعليان ، هشام ، ١٤١٦هـ، دراسات في المناهج والأساليب العامة، ط٦، عمان ، دار الفكر .

٢٥٤- الوكيل ، حلمي أحمد ، المفتي ، محمد أمين ، ١٩٨٠م ، أسس بناء المناهج وتنظيماتها .

٢٥٥- الوكيل ، محمد السيد ، ١٤٠٦هـ ، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه ط١، جدة ، دار المجتمع .

٢٥٦- الياسين ، جاسم بن محمد بن مهلهل ، ١٤١٧هـ ، رسائل شباب الدعوة ، الكويت ، مؤسسة الكلمة للنشر والتوزيع .

٢٥٧- ياجن ، مقداد ، ١٤١٦هـ ، أخلاقيات المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية وآدابها ، الدار الصولنية للنشر .

٢٥٨- ياجن ، مقداد ، ١٤١٦هـ ، توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي ، ط٢، الرياض، مكتبة العبيكان.

رابعاً : الرسائل العلمية :

٢٥٩- أمـير ، جابـر إدريـس علي ، ١٤١٩هـ ، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة ، رسالة دكتوراه - منشورة من قسم العقيدة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٦٠- ابن جبار ، سالم بن سعيد بن مسفر ، ١٤١٩هـ ، الإقناع في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة من قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٢٦١- الـتويم ، خالد محمد ، ١٤١٧هـ ، التبعيّة الفكرية في مجال التربـية وعلاجهـا من منظور إسلامي رسالة دكتوراه - غير منشـورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى .

٢٦٢- الجمال ،حمدبن صادق ، ١٤١٤هـ، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصـر ، رسالة دكتوراه - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢٦٣- حسن ، عثمان بن علي ، ١٤١٨هـ ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير - منشـورة مقدمـة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢٦٤- الحسين ، عبد اللطيف إبراهيم ، ١٤١٩هـ ، تسامح الغرب مـع المسلمين في العصر الحاضر ، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢٦٥- الحليبي ، أحمد عبد العزيز ، ١٤١٩ هـ ، ثقافة الطفل المسلم ، رسالة ماجستير – منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢٦٦- الحليبي ، احمد بن عبد العزيز بن محمد ، ١٤١٧هـ ، المسئولية الخلقية والجزاء عليها ، رسالة دكتوراه – منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

٢٦٧- داود ،منى عبد الله حسن ، ١٤١٣هـ ، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية ، رسالة ماجستير – منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية بجامعة اليرموك .

٢٦٨- الشريف ، نايف بن حامد ، ١٤١١هـ ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي رسالة دكتوراه – غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

٢٦٩- الصوفي ، حمدان عبدالله ، ١٤١٦هـ ، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية رسالة دكتوراه – غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

٢٧٠- العريفي ، سعود بن عبد العزيز ، ١٤١٩هـ ، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ، رسالة ماجستير – منشورة مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

٢٧١- القرني ، عبد الله محمد ، ١٤١٩هـ ، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ، رسالة دكتوراه – منشورة مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى . مكة المكرمة .

٢٧٢- ميمني ، هدى عبد الرحيم ، ١٤٠٦هـ، التربية العقلية في القرآن الكريم - رسالة ماجستير - غير منشورة ، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى .مكة المكرمة .

خامساً : الندوات والمحاضرات :

٢٧٣- البستوي ، عبد العليم عبد العظيم ، ١٤١٨هـ ، شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في الدعوة الإسلامية، ط٢ ، بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة ، الرياض ، دار الصميعي .

٢٧٤- الشريف ، مدني بن عامر ، ١٤٢٠هـ ، المراد من دورات تدريب الرواد ، مجموعة محاضرات ألقيت في إدارة التعليم (قسم النشاط) بمحافظة القنفذة التعليمية .

٢٧٥- الطماوي ، سليمان بن محمد ، ١٤٠١هـ ، الفكر الحضاري لدى عمر بن الخطاب في أصول السياسة والإدارة الحديثة ، الرياض ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

سادساً : الدوريات :

٢٧٦- الحميدان ، عاصم بن عبد المحسن ، ١٤١٨هـ ، العبادة المهجورة ، مجلة الإعجاز ، العدد الثالث ربيع الثاني مجلة علمية متخصصة تصدرها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

٢٧٧- الشرقاوي ، محمود ، ١٤١٦هـ الإسلام وأثره في الثقافة العالمية ، دعوة الحق ، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، ربيع الآخر ، العدد ١٦٠ ، السنة الرابعة عشرة .

٢٧٨- صابر ، حلمي عبد المنعم ، ١٤١٨هـ ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، دعوة الحق ، كتاب يصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، العدد ١٨٣ .

٢٧٩- ضميرية ، عثمان جمعة ، ١٤١٦هـ ، دور العقل ومكانته ، العدد ٤٦ ، مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .

٢٨٠- عبد الحميد ، محسن عبد الحميد ، ١٤٠٥هـ ، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ة العدد رقم ٦ .

٢٨٢- العدوي ، محمد عبد العليم ، د.ت ، الداعية المجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية ، مجلة الدعوة الإسلامية ، م٨ .

٢٨٣- العزب ، محمد أحمد ، تأملات في تكوين الشخصية الإسلامية ، مجلة المنار،السنة الأولى ،العدد الرابع ،الإمارات العربية المتحدة .

٢٨٤- فهمي ، أحمد ، ١٤٢٠هـ ، صفات المربي ، مجلة البيان ، العدد ١٤٣، مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي .